

مُؤَلِّفِينَ

أَفْرَدُوا بِالْعَمَلِ فِي الْعَارِفِينَ لِشَيْءٍ لَقِينًا

مَعْرِفَةُ

الجزء الأول

تأليف سامة العلامة الرامل

أَيْتُ اللَّهِ الْحَاجِّ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِيِّ الطَّهْرَانِيِّ

أفاض الله علينا من بركات نفسه العبدية

تعريب:

عباس مهرداد الصافي

دار المحجة البيضاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الفهرست

فهرس مطالب وموضوعات

معرفة الله

الجزء الأول

الصفحات	المطالب
٩ - ٣	المقدِّمة الأولى
١٦ - ١٣	المقدِّمة الثانية

البحثان الأول والثاني :

تفسير آية النور

الصفحة ١٩ إلى الصفحة ٥٨

يشمل المطالب التالية :

٢١	تفسير العلامة الطباطبائي لآية النور
٢٣	تفسير العلامة الطباطبائي لـ: «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ»
٢٥	تفسير العلامة الطباطبائي لقوله تعالى: كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
٢٧	تفسير العلامة الطباطبائي لقوله تعالى: وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ
٢٩	بحث روائي للعلامة الطباطبائي في تفسير آية النور
٣١	اعتقاد طوائف المسلمين المختلفة في أنّ الله هو نور السماوات والأرض
٣٣	الوهابيون والحنابلة يعتقدون بجسمانية الله تعالى

٣٥	معنى النور : الظاهر بذاته ، المظهر لغيره
٣٩	الموارد التي أُطلق فيها لفظ النور في القرآن والأخبار على الأنوار المعنوية
٤١	الموارد التي أُطلق فيها النور في «نهج البلاغة» والأخبار على النور المعنوي
٤٣	الأخبار والروايات الواردة في «أول ما خلق الله»
٤٥	أول ما خلق الله : الحقيقة المحمدية
٤٧	الإنسان الكامل هو من تتجلى فيه تمام شؤون آية النور
٤٩	الأدعية التي أُطلق فيها لفظ النور على الله تعالى
٥٥	أصل طينة الأئمة عليهم السلام من النور
٥٧	الزهراء عليها السلام من رجال آية النور وفي بيوتها

البحثان الثالث والرابع :

استطاعة رؤية الله

الصفحة ٦١ إلى الصفحة ١١٧

يشمل المطالب التالية :

٦٣	آية : سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
٦٥	ضمير «أَنَّهُ الْحَقُّ» عائد إلى مُقَدَّرٍ ممتزِعٍ من «سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا»
٦٧	الله تعالى ظاهر في آيات الآفاق والأنفس ، لكنّ الناس يشكّون في لقائه
٦٩	إمكان معرفة الله تعالى بالله ، لا بسواه
٧١	آيات الشبستري الرفيعة في عدم إمكان معرفة الله بغير الله عزّ وجلّ
٧٥	اعتقاد العلماء عائد إلى طائفتين من أخبار رؤية الله تعالى
٧٧	قاعدة : لا يعرف شيء شيئاً إلّا بما هو فيه منه
٧٩	قابلية الإنسان في الخلقة لا متناهية
٨٣	إمكان معرفة الله التامة ولقائه الحقيقي من قبل المقرّبين إلى ساحته
٨٥	لقاء النبي لله تعالى ليلة المعراج ، وإيحاء الله إليه

- ٨٧ آيات سورة النجم دالة على رؤية النبي لله تعالى في المعراج
- ٨٩ الروايات الواردة في رؤية النبي لله عز وجل في المعراج
- ٩٣ كلام جبرئيل : لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ
- ٩٧ أشعار حكيم نظامي الكنجوي في معراج الرسول الأعظم
- ١٠١ لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل
- ١٠٣ ما سوى الله تعالى حجاب ؛ والمعرفة التامة مشروطة بانتفاء الحجاب
- ١٠٥ الأبيات الحكيمة لمجنون ليلي في معشوقته
- ١٠٩ جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ عَنَّا أَنْ يَكُونَ شَرِيعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ
- ١١١ بيان حال سيد الشهداء عليه السلام في الخلوة بالحبيب
- ١١٥ عظمة الأوج العرفاني لسيد الشهداء عليه السلام

البحث الخامس إلى الثامن :

الله عاشق ما سواه ، وما سوى الله عاشقه

الصفحة ١٢١ إلى الصفحة ٢٣٨

يشمل المطالب التالية :

- ١٢٣ تفسير آية : «يَأْيُهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلِّقِيهِ»
- ١٢٥ «رسالة العشق» لابن سينا : الله تعالى وجميع الموجودات الإمكانية عشاق
- ١٢٧ بيان العشق في النفوس المتألهة في «رسالة العشق» لابن سينا
- ١٣١ إثبات صدر المتألهين سريان العشق في جميع الموجودات
- ١٣٣ رد صدر المتألهين على الشيخ الرئيس في عشق البسائط غير الحية
- ١٣٥ استحالة الاتصال الحقيقي بين جسمين ، ووجود العشق بين جسمين
- ١٣٧ ليس في عالم الأجسام شيء تشناق إليه النفس
- ١٣٩ تجرد النفس يستدعي بقاءها وفناءها في ذات الله تعالى
- ١٤١ ينبغي معرفة الله بالله تعالى ؛ «جاءت الشمس على الشمس دليلاً»

- ١٤٣ العشاق هم ضحايا المعشوقين
- ١٤٧ كلام الإمام عليّ: البَعْرَةُ تَدُلُّ عَلَى البَعِيرِ ، وَالرَّوْثَةُ تَدُلُّ عَلَى الحَمِيرِ
- ١٤٩ أشعار الشبستريّ الرائعة في ضرورة الحركة صوب الله تعالى
- ١٥٥ «مفاتيح الإعجاز» في شرح أشعار «كلشن راز»
- ١٥٩ درجات ظهور الله تعالى في العوالم لامتناهية
- ١٦١ «العناء» هي الذات الواحدة المطلقة ؛ و«جبل قاف» هو الحقيقة الإنسانية
- ١٦٣ الجنة والنار مظهران موجودان في جميع العوالم الإلهية
- ١٦٥ أدلة إثبات وجود الجنة والنار في عوالم ما بعد عالم الدنيا
- ١٦٧ العوالم الخمسة : اللاهوت ، الجبروت ، الملكوت ، المُلْك والناسوت
- ١٧١ «جابلقا» مجمع البحرين للألوهية والإمكان ؛ و«جابلسا» تعين النشأة الإنسانية
- ١٧٥ جمع المشارق والمغارب في القرآن إشارة لعدم انحصار العوالم
- ١٧٧ إخراج بايزيد من مدينة بسطام اثنتي عشرة مرة بتهمة الإلحاد
- ١٧٩ سيّضح في الحشر أن كلّ ما سوى الحقّ تعالى سراب
- ١٨٣ الترغيب في المكاشفات والتجليات والسير في العوالم اللطيفة
- ١٨٥ ضرورة إرشاد الأستاذ الكامل للسير في العوالم الربوبية
- ١٨٧ ينبغي اللجوء إلى السلوك وسبيل العرفان مادامت الفرصة موجودة
- ١٩١ مَنْ لا يبحث عن نفسه هو أكثر الخلائق خسراً
- ١٩٣ طريق معرفة الله يتمثل في تخطّي عبادة النفس
- ١٩٥ مقولة «عليكم بدين العجائز» تعني الأمر بالانقياد المحض لا النهي عن ...
- ٢٠١ مادام السالك لم يتخطّ كلّ شيء ، فإنّه لن يصل إلى مراده
- ٢٠٣ شرائط وآداب سلوك الطريق إلى الله تعالى
- ٢٠٥ أنواع التجليات : آثارية ، أفعالية ، صفاتية ، وذاتية
- ٢٠٩ بقاء السالك ببقاء الحقّ ، بعد فنائه في التجليّ الذاتي
- ٢١١ على السالك أن يعبر التجليات الحسيّة والخياليّة والعقليّة

٢١٣	التجلي الذاتي للحق محال مادام وجود السالك باقياً
٢١٥	إذا زال جبل وجودك ، فليس بينك وبين الحق من فاصلة
٢١٩	السلوك والرياضات هي من أجل الاستعداد للجذبات الإلهية
٢٢١	معراج الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ليلة المعراج
٢٢٥	شطحات العرفاء وطاماتهم حال خروجهم عن طورهم
٢٢٩	مشاهدة السالك آثار وأحكام الأسماء والصفات الإلهية
٢٣١	معرفة الله تعالى بذاته وصفاته الكليّة محال ؛ والفناء في كل منهما ممكن
	آيات الشيخ البهائي الراقية في لقائه بالله تعالى ٢٣٣ بيان سماحة الحداد في كيفية قضاء
٢٣٧	الحاجات في حال الفناء

البحثان التاسع والعاشر :

إمكانية رؤية الله تعالى ولقائه من قبل المؤمنين الصالحين

الصفحة ٢٤١ إلى الصفحة ٣١١

يشمل المطالب التالية :

٢٤٣	التفسير الوارد في «الميزان» لآية : فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ
٢٤٥	إمكان لقاء الله منحصر في التوحيد الخالي من شوائب الشرك
٢٤٧	يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ
٢٤٩	غزل «فروغي البسطامي» في ظهور الله تعالى في جميع العوالم
٢٥٣	فقرات من مناجاة تاج الدين ابن عطاء الله الإسكندرّي
٢٥٥	فقرات المناجاة التي تُخبر عن التوحيد المحض
٢٥٧	آيات هاتف الإصبهاني في تجلي الله تعالى في كل مكان
٢٥٩	شرح مناجاة ابن عطاء الله الإسكندرّي
٢٦٥	نظر المجلسي رحمه الله في شأن دعاء عرفة وذيله
٢٦٧	المناجاة المشهورة لابن عطاء الإسكندرّي هي من تأليفه

- ٢٧١ إزالة الله تعالى الحُجُب عن عين الإنسان إثر سلوكه الحسن
- ٢٧٣ شرح اللاهيجي لحديث : «فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ»
- ٢٧٥ حديث : «كُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ» متفق عليه عند الفريقين
- ٢٧٩ تحقيق الشيخ البهائي حول خبر «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ» حسب نقل المجلسي
- ٢٨١ نقل المجلسي رحمه الله أدق المعاني لمضمون خبر «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٨٣ تحقيق الميرزا رفيعا حول خبر «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٨٥ نقل المجلسي لتحقيق المحقق الطوسي وغيره حول حديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٨٧ الروايات المروية في كتب الخاصة في حديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٨٩ الروايات المروية في كتب العامة في حديث : «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٩١ شرح وتفسير حديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ» في كتب أعلام العرفان
- ٢٩٣ أبيات ابن الفارض حول حديث : «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٩٥ ترجمة سعد الدين الفرغاني وبيان مقامه العلمي
- ٢٩٧ شرح الفرغاني لأشعار ابن الفارض حول حديث «لَا يَزَالُ الْعَبْدُ»
- ٢٩٩ معنى «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ» هو كلام الله على لسان عبده
- ٣٠١ معنى «كُنْتُ سَمِعُهُ وَ...» هو انكشاف تجلّى وجود الله في أفعال السالك
- ٣٠٣ أشعار المغربي والحكيم السبزواري في حقيقة الفناء في وجود الحق
- ٣٠٥ معنى كلام الإمام الصادق عليه السلام «حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا»
- ٣٠٩ الطرق العديدة عن الخاصة والعامة للخبر الصادقي : «مَا زِلْتُ ...»

البحثان الحادي عشر والثاني عشر :

الله في كلِّ مكان ، افتح عينيك وحدِّق

الصفحة ٣١٥ إلى الصفحة ٣٥٨

يشمل المطالب التالية :

- ٣١٧ تفسير «الميزان» لآية : مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ

٣١٩	تفسير آيات أوائل سورة العنكبوت في امتحان المؤمنين ورجاء لقاء الله
٣٢١	المراد بـ «الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ» هم المشركون الذين ...
٣٢٣	بيان العلامة : لقاء الله لا ينحصر في القيامة
٣٢٥	أشعار المغربي في ضرورة المجاهدة للوصول إلى لقاء الله تعالى
٣٢٧	آيات من لامية ابن الفارض في ضرورة المجاهدة للقاء الله تعالى
٣٣٣	اتحاد المحبوب والمحبت وتقارنهما في كل حال من الأحوال
٣٣٥	عشاق لقاء الله تعالى لا يخافون ممّا يصيبهم
٣٣٧	خبريونس بن ظبيان في صفات أولي الألباب
٣٣٩	الحجج الإلهية منحصرة في الأئمة الاثني عشر
٣٤١	رواية «مصباح الشريعة» : وَإِنَّ الْمُؤْمِنِينَ لَعَلَىٰ خَطَرٍ عَظِيمٍ
٣٤٣	قوة العشق الحقيقي هي وحدها التي تفتح سبيل الوصول إلى الله تعالى
٣٤٥	عشق قدوة العاشقين : سيّد الشهداء عليه السلام
٣٤٧	رواية ابن عباس في كربلاء عند الحركة باتجاه صفين
٣٤٩	لقاء عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير مع الحسين
٣٥١	عبد الله بن عمر ينصح الإمام الحسين عليه السلام بالصلح !
٣٥٣	لقاء الفرزدق مع سيّد الشهداء عليه السلام في طريق الكوفة
٣٥٧	توجه سيّد الشهداء عليه السلام إلى كعبة العشاق

المقدمة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً لا حدَّ له ، وشكراً لا عاداً له ، كما تستحقّه ذاته المقدّسة جلّ وعلا ، الذي خلق الوجود وعالم الخلق سبباً لتكامل وجود الإنسان ، وخلق الإنسان لعبادة ذاته المقدّسة .^١
وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ .^٢
ولا يمكن معرفة حقيقة العبادة دون معرفة حقيقة العبوديّة . لذا فإنّ معرفة ذاته سبحانه وتعالى وأسمائه الحسنی وصفاته العليا هي من جملة العلل الغائية والنهائية لوجود عالم التكوين .

وأما الغاية القصوى والهدف الأعلى من تلك المعرفة ، فهي الخضوع والخشوع للحیّ القيوم والاصطباغ بصبغة العبوديّة ، وارتداء لباس الذلّ والمسكنة في مقابل عزّ كبريائه ، ورؤية جميع عوالم الوجود كآية ومرآة

١- هناك بعض الآيات في القرآن الكريم وردت في سياق هذا المعنى؛ مثل الآية: أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَلَلَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ . (صدر الآية ٢٠، من سورة لقمان) والآية: وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ . (صدر الآية ١٣، من سورة الجاثية) والآية: وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ . (صدر الآية ٣٣، من سورة إبراهيم) والآية: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا . (صدر الآية ٢٩، من سورة البقرة). وقد جاء في الحديث القدسيّ: عَبْدِي! خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ لِأَجْلِكَ؛ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي . (كلمة الله، ص ١٦٩، عن «مشارك أنوار اليقين» لحافظ رجب البرسيّ).

٢- الآية ٥٦، من السورة ٥١: الذاريات.

لذات الحق ، والخروج من قيود الغرور ، والوصول إلى ذروة الإقرار والاعتراف بالفناء والزوال والانكسار في ذات الحق المقدسة :

وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا^١.

والتحيات الزاكيات والصلوات المباركات على الأنبياء العظام وملائكة الملائ الأعلى ، الذين أنقذوا بني البشر من سجن السبعية والبهيمية والشيطنة ، وذلك من خلال المساهمة في إيصال الوحي إليهم ، والذين عرفوهم سبل معرفة العبودية ، وجعلوهم قابلين ومستعدين للاستفادة من جميع المواهب الربانية والمتمتع السبحانية . وبالخصوص على سيد الرسل وهادي السبل وعقل الكل ، بداية البدايات ونهاية النهايات ، سيدنا محمد ابن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعلى صنوه وشقيقه ووصيه ووزيره وصهره ووليته وأخيه وخليفته ، علي بن أبي طالب أمير المؤمنين السابق في إيمانه ، والمتربع على كرسي مقام عز ذي الجلال ، وناشر لواء الحمد بيده ، ونائل المقام المحمود للشفاعة الكبرى .

وعلى ذريتهم الطاهرة ، الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، لا سيما مولانا بقرية الله في الأرضين الحجة ابن الحسن العسكري أرواحنا فداه ، الإمام الحي ، والواسطة للفيض الإلهي ، ومفيض الرحمة والوجود من العالم الأعلى وناشرها على الماهيات الإمكانية ، وباسط نور الرحمة الإلهية من مقام غيب الغيوب والكنز المخفي ، على النفوس العالمية ، كل حسب قابليته واستعداده .

وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ^٢.

١- الآية ١١١ ، من السورة ٢٠ : طه .

٢- الآية ٢١ ، من السورة ١٥ : الحجر .

ومنزل خزائن الجود والرحمة حسب إرادة الحق تبارك وتعالى
ومشيئته على كل ذرة من ذرات ماهيات عالم الوجود ، وموزع ذلك عليها
كل حسب قوته وما قدر له منها .

مَثَلُ نُورِهِ كَمَشْكُوءَةٍ فِيهَا مِصْبَاحُ الْمِصْبَاحِ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ
كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ^١.

نعم ، فمنذ عودة هذا الحقير المسكين من النجف الأشرف في شهر
شوال المكرّم سنة ١٣٧٦ هـ^٢ وحتى هذا التاريخ ، وهو شهر ربيع الأول من
عام ١٤٠٠ هـ ، كان محور البحث الذي دار بيني وبين الأشقاء والروحانيين
الأعزّاء وسادة الإيمان ، على أساس تفسير آي القرآن والبحث والتنقيب
في الروايات الواردة عن المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ،
وكانت في أحيان كثيرة تتضح مسألة تطابق الآيات القرآنية والأخبار
النبوية مع الحقائق ، سواءً من ناحية الاستدلال الفكري والذهني ، أم من
الناحية الوجدانية ومشاهدة الضمير ، وذلك باستخدام البحوث الفلسفية

١- جزء من الآية ٣٥ ، من السورة ٢٤ : النور .

٢- في هذا التاريخ ، قدّم الحقير إلى طهران بنيتة التوجّه منها للتشرّف بزيارة الضريح
الظاهر للإمام عليّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحية والثناء ، وبعد أداء الزيارة واللقاء
بالأساتذة السابقين للحوزة العلمية في قم وزيارة الأقرباء والأرحام - وكان فصل الصيف على
الأبواب - فرجعتُ مرّة أخرى إلى النجف الأشرف ، حيث كنتُ قد خلّفتُ بيتي مع أئانه وباقي
المتعلّقات الخاصّة هناك . ولأنّي كنتُ قد قرّرتُ الإقامة في طهران ، فقد جعلتُ عودتي إليها
في التاريخ المذكور ، وأقمتُ فيها حتّى انتهاء فصل الصيف ، ثمّ عدتُ ثانية إلى النجف ،
ومكثتُ فيها حتّى بعثتُ الدار ، فكانت عودتي إلى طهران أواسط شهر جمادى الأولى سنة
١٣٧٧ هجرية قمرية . ومنذ ذلك الوقت ، ذهبتُ إلى المسجد ، وتابعتُ من هناك الدرس
والبحث .

والعلمية من جهة ، والمحاورات الذوقية والعرفانية من جهة أخرى .
ولقد كانت لنا في مرّات عديدة وأوقات مختلفة بحوث خاصّة
بمسألة التوحيد والولاية والمعاد ، وتفسير الكثير من الآيات القرآنية
والعديد من المسائل الفقهية والعلمية .

ومع وجود التفاسير الكثيرة والبالغة أكثر من ثلاثين نوعاً ، فقد
اعتمدنا أكثر ما اعتمدنا على تفسير «الميزان في تفسير القرآن» تأليف
سماحة الأستاذ آية الله العظمى العلامة السيّد محمّد حسين الطباطبائي
التبريزيّ أمّد الله في ظلّاله السامية ، وكان ملاذنا في البحث والتدقيق .
وللتفسير المذكور مكانة سامية ومعرّزة غالية في نفس الحقير ، وإنّه
لذو معلّم خاصّ وفريد بين التفاسير الأخرى .

ولذا ، فقد استقرّ رأينا على تهيئة سلسلة كاملة من التفسير المشار إليه
وذلك باللغة الفارسيّة وبإنشاء سهل وتحرير مُدرَك وسلس ، يحوي جميع
المواضيع المذكورة فيه ، حتّى يتسنى للإخوة الناطقين باللغة الفارسيّة
الاستفادة كما يجب وبأقصى ما يمكن من ينابيع «تفسير الميزان» .

ثمّ رسا بنا المقام ، ولأسباب معيّنة ، إلى تأليف رسالة مستقلّة عن كلّ
من المواضيع المتعلّقة بالأبحاث العقائدية والأحكام التعبدية والمسائل
الأخلاقية والاجتماعية ، حتّى يتمّ بحث كلّ موضوع من تلك المواضيع
بتفصيل أكثر وإطناب أوسع ، تُستوفى فيه متعلّقات ذلك الموضوع كافّة ،
فتزول بذلك كلّ الإشكالات والشبهات والأسئلة ، وتُتضح جميع جوانب
ذلك الموضوع بشكل كامل ووافٍ .

وكان مجموع ما بلغ من تلك الرسائل حتّى الآن حوالي مائة رسالة ،
كرسالة إعجاز القرآن ، وإعجاز الأنبياء ، ورسالة الشفاعة ، ورسالة الولاية ،
ورسالة الإمامة والزعامة ، ورسالة النبوة ، ورسائل متفرّقة في أحوال وسيرة

الأئمة المعصومين سلام الله عليهم أجمعين ، ورسالة في البرزخ ، ورسالة في القيامة ، ورسالة في الحشر وقيام الإنسان عند الله ، ورسالة الميزان ، ورسالة الصراط ، ورسالة العبودية في الإسلام ، ورسالة الصلاة ، ورسالة الوجوبين العيني والتعيني لصلاة الجمعة في جميع الأزمنة ، ورسالة الصيام ، ورسالة الحج ، ورسالة الجهاد والحكومة ، ورسالة القرض الحسن والربا ، ورسالة الملكية وطرقها المشروعة وغير المشروعة ، ورسالة الحقوق العامة ، ورسالة حقوق المرأة ، وغير ذلك من البحوث الدينية والعلمية ، والتي هي صُلب ما يحتاج إليها شبابنا في العصر الحاضر وأجيالنا في المستقبل .

لكن ، ومما يؤسف له ، لم يُنجز من تلك الرسائل إلا النزر اليسير وذلك لكثرة الشواغل العلمية والأمور الاجتماعية التي كانت تحيط بي ، والتي حالت دون وصولي إلى الهدف المنشود .

إلا أن العناية الإلهية شملتني ، فتمكنت من جمع المواضيع القرآنية والتفاسير الروائية والعلمية والاجتماعية والتاريخية والأخلاقية على شكل سلسلة علمية سميتها «دورة علوم ومعارف اسلام» (=سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية) بحثت فيها تلك المواضيع ووضعتها بين يدي الإخوة الأعزاء ، فلم تقل أهمية عن ذلك الهدف المنشود .

وهذه السلسلة من العلوم ، هي من قسم العقائد وتنقسم إلى ثلاثة محاور رئيسة هي : معرفة الله ، ومعرفة الإمام ، ومعرفة المعاد ، وتعالج ثلاثة مواضيع مهمة : مسألة التوحيد والولاية والمعاد .

وأما في أقسام الأحكام والمسائل فتشمل أبحاثاً حول القرآن والصلاة والصوم والحج والمسجد والدعاء والربا ورؤية الهلال في شهر رمضان ولزوم اشتراك الآفاق بالنسبة إلى الدخول في الشهر الجديد ، وحول

جهاد وقضاء وحكومة المرأة، وتفسير الآية الكريمة الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ وبعضاً من الأحكام الأخرى والتي تم تأليف معظمها، وسيتم وضعها بين يدي القراء لدراستها ومطالعتها إن شاء الله تعالى. وهذا هو القسم الأول من سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية «معرفة الله».

وأصل هذه الأبحاث مأخوذ من تفسير الآية المباركة اللَّهُ نُورٌ وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، حتى آخر الآية الكريمة وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ.

وقد تم فيها معالجة مسألة التوحيد الذاتي والأسمائي والأفعالي لذات الحق المقدسة، وكيفية وجود عالم الخلق، والربط بين الحادث والقديم، ونزول نور الوجود في ظواهر الإمكان، وحقيقة الولاية وربط الموجودات بذات البارئ تعالى، ولقاء الله والوصول إلى ذاته المقدسة بالفناء وباندكاك الكينونة المجازية المعارضة في الوجود المطلق والكينونة الأصلية الحقيقية.

نسأل الله الربّ الودود والمتمن أن يوفقنا في إنجاز هذه المهمة التي نسعى جاهدين في إتمامها، دون أن ندخر أيّ جهد ووسع في سبيل ذلك، وأن يتقبل منا هذا العمل البسيط بكرمه وفضله، وأن يسدّد خطانا بجوده ومثته.

إِلَهِي ... وَالْحَقِّقْنَا بِعِبَادِكَ الَّذِينَ هُمْ بِالْبِدَارِ إِلَيْكَ يُسَارِعُونَ، وَبَابِكَ عَلَى الدَّوَامِ يَطْرُقُونَ، وَإِيَّاكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَعْبُدُونَ، وَهُمْ مِنْ هَيْبَتِكَ مُشْفِقُونَ؛ الَّذِينَ صَفَّيْتَ لَهُمُ الْمَشَارِبَ، وَبَلَّغْتَهُمُ الرَّغَائِبَ، وَأَنْجَحْتَ لَهُمُ الْمَطَالِبَ، وَقَضَيْتَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِكَ الْمَآرِبَ، وَمَلَأْتَ لَهُمْ ضَمَائِرَهُمْ مِنْ حُبِّكَ، وَرَوَّيْتَهُمْ مِنْ صَافِي شَرْبِكَ؛ فَبِكَ إِلَى لَذِيذِ مُنَاجَاتِكَ وَصَلُوا، وَمِنْكَ أَقْصَى مَقَاصِدِهِمْ حَصَلُوا.^١

١- بعض الفقرات من مناجاة المريدين، وهي من جملة المناجاة الخمسة عشرة

إلهي! سهّل لنا سبلك حتّى لا نرى غيرك ولا نعرف أحداً سواك .
وأوصل ذاتنا وكياننا إلى مقام الفناء ، حتّى تنعدم كلّ ذرّة من الأنانيّة
والعجب في وجودنا ، فنكون عبيداً خالصين مخلصين لك العبوديّة ،
بمحمّد وآله الطاهرين صلواتك وتسلّيماتك عليهم أجمعين ، والسلام علينا
وعلى عباد الله الصالحين ، والحمد لله ربّ العالمين .

في تاريخ ربيع المولود سنة ١٤٠٠ هجرية
السيد محمد الحسين الحسيني الطهراني

المنسوبة إلى الإمام السجّاد عليه السلام، وقد ذكرها المرحوم الشيخ الحرّ العاملي
في «الصحيفة الثانية السجّادية» ص ٣٠ و ٣١ ، الطبعة الحجرية .

المَقَدِّمَةُ الثَّانِيَةُ

بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة والسلام على الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ،
وعلى الوصيِّ غُزَّة الدين ، وعلى أولاده الأماجد الأمجاد الطاهرين ، واللعنة
والخزي من ربِّ العالمين على أعدائهم ومعانديهم وغاصبي حقهم من الآن
إلى يوم الدين .

كما لاحظتم في المقدمة الأولى ، فقد صمّم الحقيير في شهر ربيع
الأوّل من سنة ١٤٠٠ هـ على تأليف وكتابة القسم الأوّل من سلسلة العلوم
والمعارف الإسلاميّة ، وهو «معرفة الله» ، ونشر أجزائه بالتتابع بحول الله
وقوّته ، والشروع في بقيّة أقسام العلوم والمعارف التي ذُكرت آنفاً ، لكنّ
الله سبحانه لم يشأ لذلك أن يتمّ .

فوفِّقْتُ بعد ذلك بشهرين من نفس السنة ، أي في يوم السادس
والعشرين من شهر جمادى الأولى ، بالسفر إلى مدينة مشهد المقدّسة ،
وتشرّفتُ بتقبيل عتبة الإمام الهمام ، واكتحلت عيناى بتراب أقدام زائري
ثامن الأئمّة عليّ بن موسى الرضا عليهما السلام وعلى آبائهما وأولادهما
جميع صلوات الله وملائكته المقرّبين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين ،
من الآن إلى قيام يوم الدين ، وألقيتُ رحال الفاقة على أعتابه المحروسة
بالملائكة ، متوسّلاً بساحة قدسه وطهارته وعلوِّ درجاته ، معترفاً مدعناً
بفقري وعجزى وعدم قدرتي على تحديد صلاحي وفسادي ، وعدم
معرفتي طريق الحقّ من الباطل ، طالباً الشفاعة والعون منه ، في أن

يأخذ الله جلّت عظمته وعلت آلاؤه بيدي ، وأن يُنجيني من هزائز آخر الزمان وفتنه ، ولا يَكُنِّي إلى نفسي طرفة عين أبداً ، والله المستعان .
فتقبل مولاي روجي فداه ذلك منّي ، وسكب لي بعظمته وكرامته كأس رحمته برعايته الدائمة لي على أتم وجه وأكمل نحو ، وليس بمقدار استجدائي منه .

ومن جملة ما قُدر بالقلم أمر تأخير خروج سلسلة «معرفة الله» خمس عشرة سنة ، وها هو ذا غرة شهر ربيع المولود من سنة ألف وأربعمائة وخمسة عشر للهجرة قد طلعت ، حيث وُققت للبدء بذلك ، ولا علم لي في مقدار ما قدرته لي روجي من العون وقلمي من القدرة ، الله وحده أعلم !

يقول مولى الموحدين وسيّد قلوب العاشقين أمير المؤمنين عليه السلام :

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَحَلِّ الْعُقُودِ وَنَقْضِ الْهَمَمِ^١.
خاطب الحقيير يوماً أستاذنا سماحة العلامة الطباطبائيّ قدس الله سرّه الزكيّ : كثيراً ما يصمّم على فعل الخير ، وتتوقّر له الظروف والمسببات لإنجاز ذلك ، فلا يملك أدنى شكّ في حُسن وخلص ذلك العمل ، فيجدّ في تنفيذ ذلك الفعل ، حتّى يصل إلى مرحلة الجزم والإرادة القطعيّة ، ثمّ وبدون أيّة علة ولا سبب ، يُثني ذلك الإنسان نفسه عن تنفيذ ذلك العمل وينصرف

١- «نهج البلاغة» الحكمة ٢٥٠؛ وفي طبعة صبحي الصالح - بيروت، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨٧، الصفحة ٥١١؛ ويقول في ص ٧٢١ ضمن شرحه لمعاني «النهج»: «العزائم: جمع عزيمة، وهي ما يصمّم الإنسان على فعله؛ وفسخ العزائم: نقضها. العقود: جمع عقد بمعنى النيّة، تنعقد على فعل أمرٍ.

عن إنجازهِ ! وبعد ذلك يعتريه العَجَب وتنتابه الدهشة في حصول كل ذلك؟! ويتساءل عن منشأ المانع الذي تسبب في عدوله عن نيته؟! فلا يصل إلى حلّ ولا يقترب من شاطئ الأمان .
فأجاب الأستاذ على ذلك بجملة واحدة فقط قائلاً: «نعم ، هو ما تقول!» .

ورُمتُ أنا الحَقِير في البدء على تأليف سلسلة «معرفة الله» وتقديمها على جميع البحوث العقائدية ، من مبحث «معرفة الإمام» ومبحث «معرفة المعاد» وسائر الأبحاث الفلسفية والعرفانية والأخلاقية والعلوم والفقهِ والتأريخ والتفسير ، ذلك بأنّ الله هو الأوّل ، وهو المُقَدَّم على عالم الوجود بالتقدّم التكوينيّ ، فاستوجب الأمر أن يكون مُقَدَّمًا كذلك في التأليف . إلا أنّ الله لم يشأ ولم يرغب ، فقد تمّ خلال مدّة الخمس عشرة سنة هذه بحمده ومَنّه تأليف القسم الخاصّ بـ «معرفة الإمام» في ثمانية عشر جزءاً ، والقسم الخاصّ بـ «معرفة المعاد» في عشرة أجزاء ، هذا ما يخصّ سلسلة المعارف . وأمّا ما يخصّ سلسلة العلوم في قسم الأخلاق والحكمة والعرفان ، فقد تمّ تأليف : «رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم» مع مقدّمة وتعليق من قِبَل الحَقِير ، و«رسالة لُبِّ اللُّباب في سير وسلوك أولي الألباب» ، وكتاب «التوحيد العلميّ والعينيّ» ، و«الشمس الساطعة» ، و«الروح المجرّد» ، وما يخصّ قسم البحوث التفسيرية : «رسالةٌ بديعةٌ» ترجمة «رسالة حول مسألة رؤية الهلال» ، وكتاب «وظيفة الفرد المسلم في إحياء حكومة الإسلام» ، وكتاب «ولاية الفقيه في حكومة الإسلام» في أربعة أجزاء ، وكتاب «نور ملكوت القرآن» في أربعة أجزاء من سلسلة أنوار الملكوت ، و«رسالة مسوّدة القانون الأساسي» ، وكتاب «نظرة على مقالة

بسط وقبض نظرية الشريعة للدكتور عبد الكريم سروش» ، و«الرسالة النكاحية : تحديد النسل ضربة قاصمة لكيان المسلمين» ؛ وفي قسم الأبحاث التاريخية : «لمعاتُ الحسين عليه السلام» ، و«الهدية الغديرية : رسالتان قاتمة ومشرقة» . وقد تمّ طبع ونشر أغلب هذه المؤلفات .
والآن نشرع ، بحول الله وقوته ، في كتاب «معرفة الله» ؛ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ .

الْبَحْثَانِ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي

تفسير آية النور

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ
لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ
نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ
لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :
اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ
زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ (بل هي في وسط الصحراء تظللها السماء ،
تكتسب من الشمس والهواء والأرض) يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ
نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ (إلى منزل قُربه) مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ
الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * (وتلك المشكاة - أو المؤمنون
الذين اهتدوا بنور الله تعالى) * فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا
أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ
ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ
يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ^١

١- الآيات ٣٥ إلى ٣٨، من السورة ٢٤: النور.

قال أستاذنا الأعظم العلامة آية الله الطباطبائي قدس الله سره في تفسير هذه الآيات والآيات التي تليها والخاصة بوصف الكافرين :
 «تتضمن الآيات مقايسة بين المؤمنين بحقيقة الإيمان والكفار ، تميز المؤمنين منهم بأن المؤمنين مهديون بأعمالهم الصالحة إلى نور من ربهم يفيدهم معرفة الله سبحانه ويسلك بهم إلى أحسن الجزاء والفضل من الله تعالى يوم ينكشف عن قلوبهم وأبصارهم الغطاء ، والكفار لا تسلك بهم أعمالهم إلا إلى سراب لا حقيقة له ، وهم في ظلمات بعضها فوق بعض ولم يجعل الله لهم نوراً فما لهم من نور .

وقد بين سبحانه هذه الحقيقة بأن له تعالى نوراً عاماً تستنير به السماوات والأرض فتظهر به في الوجود بعدما لم تكن ظاهرة فيه ، فمن البين أن ظهور شيء بشيء يستدعي كون المظهر ظاهراً بنفسه و(الظاهر بذاته المظهر لغيره هو النور) ، فهو تعالى نور يظهر السماوات والأرض بإشراقه عليها ، كما أن الأنوار الحسية تُظهر الأجسام الكثيفة للحس بإشراقها عليها غير أن ظهور الأشياء بالنور الإلهي عين وجودها وظهور الأجسام الكثيفة بالأنوار الحسية غير أصل وجودها .

ونوراً خاصاً يستنير به المؤمنون ويهتدون إليه بأعمالهم الصالحة وهو نور المعرفة الذي سيستنير به قلوبهم وأبصارهم يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار فيهتدون به إلى سعادتهم الخالدة فيشاهدون فيه شهود عيان ما كان في غيب عنهم في الدنيا ، ومثل تعالى هذا النور بمصباح في زجاجة في مشكاة يشتعل من زيت في نهاية الصفاء فتلاًلأ الزجاجة كأنها كوكب دري فتزيد نوراً على نور ، والمصباح موضوع في بيوت العبادة التي يستج الله فيها رجال من المؤمنين لا تلهيهم عن ذكر ربهم وعبادته تجارة ولا بيع .
 فهذه صفة ما أكرم الله به المؤمنين من نور معرفته المتعقب للسعادة

الخالدة ، وحرّمه على الكافرين وتركهم في ظلمات لا يُبصرون ، فخصّ من اشتغل برّبّه وأعرض عن عرض الحياة الدنيا بنور من عنده ، وَاللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لَهُ الْمَلِكُ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ .

وقوله تعالى : **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** - إلى آخر الآية .

المشكاة على ما ذكره الراغب وغيره : **كُوَّةٌ غَيْرُ نَافِذَةٍ** وهي ما يتخذ في جدار البيت من الكوة لوضع بعض الأثاث كالمصباح وغيره عليه وهو غير الفانوس .

والدرّيّ : من الكواكب العظيم الكثير النور ، وهو معدود في السماء .
والإيقاد : الإشعال ، والزيت : الدهن المتّخذ من الزيتون .

وقوله : **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** : النور معروف وهو الذي يظهر به الأجسام الكثيفة لأبصارنا ، فالأشياء ظاهرة به وهو ظاهر مكشوف لنا بنفس ذاته ، فهو الظاهر بذاته المظهر لغيره من المحسوسات للبصر . هذا أوّل ما وضع عليه لفظ النور ، ثمّ عمّم لكلّ ما ينكشف به شيء من المحسوسات على نحو الاستعارة أو الحقيقة الثانية فعّد كلّ من الحواسّ نوراً أو ذا نور يظهر به محسوساته كالسمع أو الشمّ والذوق واللمس ، ثمّ عمّم لغير المحسوس فعّد العقل نوراً يظهر به المعقولات ، كلّ ذلك بتحليل معنى النور المبصر إلى الظاهر بذاته **المُظْهِرِ** لغيره .

وإذ كان وجود الشيء هو الذي يظهر به نفسه لغيره من الأشياء كان مصداقاً تاماً للنور ، ثمّ لمّا كانت الأشياء الممكنة الوجود إنّما هي موجودة بإيجاد الله تعالى كان هو المصداق الأتمّ للنور فهناك وجود ونور يتّصف به الأشياء وهو وجودها ونورها المستعار المأخوذ منه تعالى ووجود ونور قائم بذاته يوجد ويستنير به الأشياء .

فهو سبحانه نور يظهر به السماوات والأرض ، وهذا هو المراد بقوله :

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، حيث أُضيف النور إلى السماوات والأرض ثم حمل على اسم الجلالة ، وعلى هذا ينبغي أن يحمل قول من قال : إنَّ المعنى الله مُنَوَّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وعمدة الغرض منه أن ليس المراد بالنور النور المستعار القائم بها وهو الوجود الذي يحمل عليها تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَتَقَدَّسَ .

ومن ذلك يستفاد أنه تعالى غير مجهول لشيء من الأشياء ، إذ ظهور كل شيء لنفسه أو لغيره إنما هو عن إظهاره تعالى فهو الظاهر بذاته له قبله ، وإلى هذه الحقيقة يشير قوله تعالى بعد آيتين : أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّتْ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ، إذ لا معنى للتسبيح والعلم به وبالصلاة مع الجهل بمن يصلون له وتسبيحه فهو نظير قوله :

وَأَنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ (الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء) ، وسيوافيك البحث عنه إن شاء الله .

فقد تحصل أن المراد بالنور في قوله : اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ نوره تعالى من حيث يشرق منه النور العام الذي يستنير به كل شيء وهو مساوٍ لوجود كل شيء وظهوره في نفسه ولغيره وهي الرحمة العاقمة .

وقوله : مَثَلُ نُورِهِ يَصِفُ تَعَالَى نوره ، وإضافة النور إلى الضمير الراجع إليه تعالى - وظاهره الإضافة اللامية - دليل على أن المراد ليس هو وصف النور الذي هو الله ، بل النور المستعار الذي يفيضه ، وليس هو النور العام المستعار الذي يظهر به كل شيء وهو الوجود الذي يستفيضه منه الأشياء وتتصف به ، والدليل على قوله بعد تتميم المثل : يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ، إذ لو كان هو النور العام لم يختص به شيء دون شيء ، بل هو نوره الخاص بالمؤمنين بحقيقة الإيمان على ما يفيد الكلام .

وقد نسب تعالى في سائر كلامه إلى نفسه نوراً كما في قوله :
يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكَافِرُونَ . (الآية ٨ ، من السورة ٦١ : الصَّف)

وقوله : أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا . الآية ١٢٢ ، من
السورة ٦ : الأنعام)

وقوله : يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ . الآية
٢٨ ، من السورة ٥٧ : الحديد)

وقوله : أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ .
الآية ٢٢ ، من السورة ٣٩ : الزمر)

وهذا هو النور الذي يجعله الله لعباده المؤمنين يستضيئون به في
طريقهم إلى ربهم وهو نور الإيمان والمعرفة .

وليس المراد به القرآن كما قاله بعضهم فإن الآية تصف حال عامة
المؤمنين قبل نزول القرآن وبعده . على أن هذا النور وصف لهم يتصفون
به كما يشير إليه قوله : لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ . (الآية ١٩ ، من السورة ٥٧ :
الحديد)

وقوله : يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا . (الآية ٨ ، من السورة ٦٦ :
التحريم)

والقرآن ليس وصفاً لهم وإن لوحظ باعتبار ما يكشف عنه من
المعارف رجع إلى ما قلناه .

وقوله : كَمْشَكُوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الْمُشَبَّهَ بِهِ
مجموع ما ذكر من قوله مِشَكُوةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ - إلى آخره ، لا مجرد المِشَكَاة
وإلّا فسد المعنى ، وهذا كثير في تمثيلات القرآن .

وقوله: **الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ** تشبيه الزجاجاة بالكوكب الدرّي من جهة ازدياد لمعان نور المصباح وشروقه بتركيب الزجاجاة على المصباح فتزيد الشعلة بذلك سكوناً من غير اضطراب بتموّج الأهوية وضرب الرياح ، فهي كالكوكب الدرّي في تألؤ نورها وثبات شروقتها .

وقوله: **يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** خبر بعد خبر للمصباح ، أي المصباح يشتعل آخذاً اشتعاله من شجرة مباركة زيتونة ، أي أنه يشتعل من دهن زيت مأخوذ منها ، والمراد بكون الشجرة لا شرقية ولا غربية أنها ليست نابتة في الجانب الشرقي ولا في الجانب الغربي حتى تقع الشمس عليها في أحد طرفي النهار ويفيء الظلّ عليها في الطرف الآخر فلا تنضج ثمرتها فلا يصفو الدهن المأخوذ منها فلا تجود الإضاءة ، بل هي ضاحية تأخذ من الشمس حظها طول النهار فيجود دهنها لكمال نضج ثمرتها .

والدليل على هذا المعنى قوله: **يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ** ، فإنّ ظاهر السياق أنّ المراد به صفاء الدهن وكمال استعداده للاشتعال وأنّ ذلك متفرّع على الوصفين: لا شرقية ولا غربية .

وأما قول بعضهم: من أنّ المراد بقوله: «لا شرقية ولا غربية» إنّها ليست من شجر الدنيا حتى تنبت إما في شرق أو في غرب ، وكذا قول آخرين: إنّ المراد أنّها ليست من شجر شرق المعمورة ولا من شجر غربها ، بل من شجر الشام الواقع بين الشرق والغرب وزيته أفضل الزيت ، فغير مفهوم من السياق .

وقوله: **نُورٌ عَلَى نُورٍ** خبر لمبتدأ محذوف وهو ضمير راجع إلى نور الزجاجاة المفهوم من السياق ، والمعنى نور الزجاجاة المذكور نور عظيم على نور كذلك ، أي في كمال التلمّع .

والمراد من كون النور على النور قيل : هو تضاعف النور لا تعدده فليس المراد به أنه نور معين أو غير معين فوق نور آخر مثله ، ولا أنه مجموع نورين اثنين فقط ، بل إنه نور متضاعف من غير تحديد لتضاعفه ، وهذا التعبير شائع في الكلام .

وهذا معنى لا يخلو من جودة ، وإن كان إرادة التعدد أيضاً لا تخلو من لطف ودقة ، فإن للنور الشارق من المصباح نسبة إليه بالأصالة والحقيقة ونسبة إلى الزجاجاة التي عليه بالاستعارة والمجاز ، ويتغاير النور بتغاير النسبتين ويتعدّد بتعدّدهما وإن لم يكن بحسب الحقيقة إلا للمصباح والزجاجاة صفر الكفّ منه ، فللزجاجاة بالنظر إلى تعدّد النسب نور غير نور المصباح ، وهو قائم به ومُسْتَمَدّ منه .

وهذا الاعتبار جار بعينه في الممثل له ، فإن نور الإيمان والمعرفة نور مستعار مُشْرِقٍ على قلوب المؤمنين مقتبس من نوره تعالى قائم به ومستمدّ منه .

فقد تحصّل أنّ الممثل له هو نور الله المشرق على قلوب المؤمنين ، والمثل هو المشبّه به النور المشرق من زجاجاة على مصباح موقد من زيت جيّد صاف وهو موضوع في مشكاة ، فإنّ نور المصباح المشرق من الزجاجاة والمشكاة تجمعه وتعكسه على المستنيرين به يشرق عليهم في نهاية القوّة والجودة .

فأخذ المشكاة للدلالة على اجتماع النور في بطن المشكاة وانعكاسه إلى جوّ البيت ، واعتبار كون الدهن من شجرة زيتونة لا شرقية ولا غربية للدلالة على صفاء الدهن وجودته المؤثّر في صفاء النور المُشْرِقِ عن اشتعاله وجودة الضياء على ما يدلّ عليه كون زيتته يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ ، واعتبار كون النور على النور للدلالة على تضاعف النور أو

كون الزجاجاة مستمدة من نور المصباح في إنارتها .
 وقوله : **يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ** استئناف يعلل به اختصاص المؤمنين بنور الإيمان والمعرفة وحرمان غيرهم .
 فمن المعلوم من السياق أنّ المراد بقوله : **مَن يَشَاءُ** القوم الذين ذكرهم بقوله بعد : **رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ** - إلى آخره ، فالمراد **بِمَن يَشَاءُ** المؤمنون بوصف كمال إيمانهم ^١ .
 وفي تفسيره لـ **وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ** ، قال :
 وقوله : **وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ** الفضل العطاء ، وهذا نصّ في أنّه تعالى يعطيهم من فضله ما ليس بإزاء أعمالهم الصالحة ، وأوضح منه قوله تعالى في موضع آخر : **لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ** (الآية ٣٥ ، من السورة ٥٠ : ق) ، حيث إنّ ظاهره أنّ هذا المزيد الموعود أمر وراء ما تتعلق به مشيئتهم .

وقد دلّ كلامه سبحانه أنّ أجرهم أنّ لهم ما يشاؤون قال تعالى :
أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ .
 (الآية ٣٤ ، من السورة ٣٩ : الزمر)
 وقال : **أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا * لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ .** (الآيتان ١٥ و ١٦ ، من السورة ٢٥ : الفرقان)
 وقال : **لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ .** (الآية ٣١ ، من السورة ١٦ : النحل)

(وعليه ، فإنّ المؤمنين وحدهم الذين يُثابون على أعمالهم الصالحة التي تقع تحت إرادتهم وفي قبضة مشيئتهم .) فهذا المزيد الذي هو وراء

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥ ، ص ١٣٠ إلى ١٣٥ .

جزاء الأعمال أمر أعلى وأعظم من أن تتعلق به مشيئة الإنسان أو يوصل إليه سعيه ، وهذا أعجب ما يعده القرآن المؤمنين ويبشرهم به فأجد التدبر فيه»^١ .

ويستطرد الأستاذ العلامة قدس الله سره في بحث فلسفي مستقل كاشفاً الحقيقة المطلقة لمشيئة الباري والمتمثلة بالآية ٤٥ ، من هذه السورة :
يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، حيث يقول :

«إنا لا نشك في أن ما نجده من الموجودات الممكنة معلولة منتهية إلى الواجب تعالى وأن كثيراً منها - وخاصة في الماديات - تتوقف في وجودها على شروط لا تحقق لها بدونها كالإنسان الذي هو ابن ، فإن لوجوده توقفاً على وجود الوالدين وعلى شرائط أخرى كثيرة زمانيّة ومكانيّة ، وإذا كان من الضروريّ كون كلّ ممّا يتوقف عليه جزء من علته التامة كان الواجب تعالى على هذا جزء علته التامة لا علة تامة وحدها .

نعم ، هو بالنسبة إلى مجموع العالم علة تامة ، إذ لا يتوقف على شيء غيره ، وكذا الصادر الأول الذي تتبعه بقيّة أجزاء المجموع ، وأمّا سائر أجزاء العالم فإنه تعالى جزء علته التامة ضرورة توقّفه على ما هو قبله من العلل وما هو معه من الشرائط والمعدّات .

هذا إذا اعتبرنا كلّ واحد من الأجزاء بحiale ، ثمّ نسبنا وحده إلى الواجب تعالى .

وها هنا نظر آخر أدقّ وهو أن الارتباط الوجودي الذي لا سبيل إلى إنكاره بين كلّ شيء وبين علته الممكنة وشروطه ومعدّاته يقضي بنوع من الاتحاد والاتصال بينها ، فالواحد من الأجزاء ليس مطلقاً منفصلاً ، بل هو

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥ ، ص ١٤٠ .

في وجوده المتعين مقيّد بجميع ما يرتبط به متصل الهويةّ بغيرها .
فالإنسان الابن الذي كُنّا نعتبره في المثال المتقدّم بالنظر السابق
موجوداً مستقلاًّ مطلقاً فنجدّه متوقفاً على علل وشروط كثيرة والواجب
تعالى أحدها يعود بحسب هذه النظرة هويّة مقيّدة بجميع ما كان يعتبر
توقّفه عليه من العلل والشرائط غير الواجب تعالى ، فحقيقة زيد مثلاً هو
الإنسان ابن فلان وفلانة المتولّد في زمان كذا ومكان كذا المتقدّم عليه كذا
وكذا المقارن لوجوده كذا وكذا من الممكنات .

فهذه هي حقيقة زيد مثلاً ومن الضروريّ أنّ ما حقيقته ذلك
لا تتوقّف على شيء غير الواجب ، فالواجب هو علته التامة التي لا توقّف
له على غيره ، ولا حاجة له إلى غير مشيئته ، وقدرته تعالى بالنسبة إليه
مطلقة غير مشروطة ولا مقيّدة ، وهو قوله تعالى : **يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ**
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .^١

وقد ذكر الأستاذ العلامة قدّس الله ترابه في معرض كلامه عن البحث

الروائيّ :

«وفي التوحيد وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّه سُئِلَ عن قول
الله عزّ وجلّ : **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا**
مِصْبَاحٌ ؛ فقال : هو مثل ضربه الله لنا ؛ **فَالنَّبِيُّ وَالْأَنْمَةُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ**
مِنْ دِلَالَاتِ اللَّهِ ، وَأَيَاتِهِ الَّتِي يُهْتَدَىٰ بِهَا إِلَى التَّوْحِيدِ وَمَصَالِحِ الدِّينِ
وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ وَالْفَرَائِضِ . وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .
ثمّ قال :

«أقول : الرواية من قبيل الإشارة إلى بعض المصاديق وهو من أفضل

١- «الميزان» ج ١٥ ، ص ١٤٩ و ١٥٠ ؛ وهذه الآية هي الآية ٤٥ ، من السورة ٢٤ : النور .

المصاديق وهو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والطاهرون من أهل بيته عليهم السلام ، وإلا فالآية تعم بظاها غيرهم من الأنبياء عليهم السلام والأوصياء والأولياء .

نعم ، ليست الآية بعامة لجميع المؤمنين ، لأخذها في وصفهم صفات لا تعم الجميع كقوله : رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ - إلى آخره .

وفي «الدر المنثور» أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله : زَيْتُونَةٌ لَّا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ قَالَ : قَلْبُ إِبْرَاهِيمَ ؛ لَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ .

أقول : وهو من قبيل ذكر بعض المصاديق ، وقد ورد مثله من طرق الشيعة عن بعض أئمة أهل البيت عليهم السلام كما تقدم .

وفيه أخرج ابن مردويه عن أنس بن مالك وبريدة قالوا : قرأ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذه الآية : فِي بُيُوتٍ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ ، فقام إليه رجل فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله ؟ قال : بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ .

فقام إليه أبو بكر فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! هَذَا الْبَيْتُ مِنْهَا ، لَبِثْتُ عَلَيْكِ وَفَاطِمَةَ ؟! قَالَ : نَعَمْ ! مِنْ أَفْضَلِهَا !^١ .

نعم ، كان ذلك جزءاً من تفسير هذه الآية الشريفة من درر كلام سيدنا الأعظم وسندنا الأقوم سماحة العلامة الأكرم حشره الله مع المقربين والمخلصين من أنبيائه وأوليائه المعظمين ، والذي تبررنا به في هذا الكتاب .

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٥ ، ص ١٥٢ و ١٥٣ .

وأما تفصيل وشرح المواضيع التي ذكرها العلامة ، والمستفاد من الآيات المذكورة ، فهو على النحو التالي :

«الله» اسم جامع للكمال والجمال والجلال الربانيّ ، وشامل لجميع الأسماء والصفات الكليّة والجزئية . ولأنّ بحثنا يتركز على معرفة الله ، لا بدّ لنا من البحث والتمحيص في هذه الكلمة المباركة من جميع جهاتها ، حتّى تنكشف لنا كلّ الأمور والجوانب المتعلقة بهذه المسألة : من النور البحث للذات والوجود الصّرف ، حتّى نور الأسماء والصفات الكليّة ، وعبر مراتب ودرجات متفاوتة ومختلفة ؛ ثمّ الوصول إلى نور الأسماء والصفات الجزئية ، حتّى الهيولى المبهمّة ، وهي المادّة الكثيفة القابلة لعروض الأجناس والفصول والأنواع .

وعليّنا أن نرى كيفيّة نزول القديم في الحادث ، والكليّة في الجزئية ، والأنوار المحضّة في الأنوار المشوبة بالظلمة ، وعموماً ، الله في اسم الأحديّة واسم الوحدانيّة .

وأن نرى كيفيّة نزول النور المطلق في شبكات التعيّن ، الواحدة بعد الأخرى ومعنى الولاية الكليّة والمطلقة والذي هو واحد ويُعتبر من مختصّات الله سبحانه ؟

وللبحث في هذا المقام لا غنى لنا من استمداد العون من آية النور المباركة .

نحمد الله عزّ وجلّ على أنّنا أكملنا بحث موضوع الولاية حتّى الجزء الخامس من «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة بجميع تفاصيله ، بدءاً من المعنى اللغويّ ، وحتّى مواطن استخدام هذه الكلمة ، وكذا كيفيّة الولاية ومفاد هذه الكلمة ومحتواها في الوجود المقدّس لسيدنا خاتم الرسل والأنبياء والمقام المقدّس لمولانا أمير المؤمنين والأئمّة

الطاهرين عليهم جميعاً صلوات الله وسلام أنبيائه المرسلين وملائكته المقربين إلى يوم الدين ، وقد تمّ بحث كلّ ذلك بالتمام والكمال . فاتّضح معنى الولاية التكوينية والولاية التشريعية .

لعلّ من أهمّ الأبحاث والمواضيع ومسائل الأصول العقائدية هو البحث في موضوع الولاية . فمعرفة الولي (صاحب الولاية) والآثار المترتبة على الولي والولاية ، ومعرفة كيفية موضوع مقام الرحمة ، وإفاضة الفيض من قِبَل الربّ الفياض في الماهيات الإمكانية بواسطة نفس الولي ، والآيات الواردة في القرآن الكريم بهذا الصدد ، والروايات المُسَلَّم بها والموثوقة والصحيحة المروية عن الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، كلّ ذلك يُعتَبَر من أعظم وأكبر المسائل الأصولية .

ولقد بحثنا تفسير ومعنى وشأن نزول الآية الشريفة : **إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ** .^١ والآثار المترتبة عليها .

وبحثنا كذلك معنى ومحتوى قول الرسول الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم :

يَا عَلِيُّ ! أَنْتَ وَلِيُّ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مِنْ بَعْدِي .

ويا لها من آية مباركة تلك التي ذكرت في الجزء الثامن عشر من القرآن الكريم : **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ، فهي آية تنشر النور في القلوب وتُضفي على الفكر الصفاء والنقاء ، وتمنح الروح قوّة وقدرة .

الله ، اسمٌ جامعٌ لصفات الكمال ومُنزّهٌ عن صفات النقص والعيّب ، ينطوي على كلّ صفات الجمال والجلال ، ويمتلك صرافةً ذاتيةً محضةً ،

١- الآية ٥٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

وهو لا متناهٍ في الحياة والعلم والقدرة . هو نور السماوات والأرض . ولكن ، ما معنى كونه نوراً للسماوات والأرض ؟! هل الله سبحانه نورٌ حسيّ ، والسماوات والأرض شيءٌ آخر ؟! وهذا النور المحسوس المُشاهد في السماوات والأرض هو الله ..؟؟ على هذا ، ففي غياب السماوات والأرض وانعدام وجودهما لا وجود لله كذلك ليكون نوراً للسماوات والأرض . وعليه فلا وجود لله إذًا . فما معنى ومُحصلة هذا الافتراض في تلك الآية ؟!

أو أنّ معنى **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** أَنَّ **اللَّهُ مُنَوَّرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ** ، فلا هو ولا حقيقته نور ، بل مُنَوَّر ، أي أنّ النور الموجود في السماوات والأرض إنّما هو نور الله ، فهو مُنَوَّر .

وقد قال بعض العامة بالقول الأوّل ، في حين ذهب بعض الخاصة ممّن فتحوا باب التأويل إلى انتخاب المعنى الثاني . فالمجموعة الأولى تعتقد بأنّ الله هو جسم ولا إشكال في كون واقعه نوراً مادّيّاً . والثانية تعتقد بأنّ الله سبحانه ليس مادة ولا مادّيّاً ، وعلى هذا فنور السماوات والأرض الذي هو نورٌ مادّيّ لا يمكن أن يكون هو الله . لذا ، لا محالة من تأويل الآية الشريفة واعتبار النور بمعنى **المُنَوَّر** ، حتّى نخرج من هذا المأزق وهو القول بجسميّة الله سبحانه ، ممّا يستلزم الشُّرك ونسبته تعالى إلى المحدوديّة والإمكان . وأمّا القول بالمنوّر فلا إشكال فيه ، ذلك بأنّ الله هو الخالق والموجد لجميع الموجودات المجرّدة والمادّيّة ، وخلقته وتنويره للسماوات والأرض بالنور المادّيّ لا يستلزم الإشكال ، فينتج عن ذلك معنًى معقول ومقبول .

والحنابلة (أتباع أحمد بن حنبل) هم الطائفة الوحيدة من بين طوائف المسلمين الذين يقولون بالمعنى الأوّل ، ويصرون على ذلك . ويؤكد ابن

تيميّة الحنبليّ أيضاً ، على هذا الرأي ويصرّ عليه بقوله : إنّ المراد من آيات القرآن في العبارات والألفاظ المستعملة فيه ، هو هذه المعاني المعروفة المادّية والطبيعيّة والجسمانيّة . ولا يجوز حمل ألفاظه وكلماته على غير هذه المعاني . وتُصرّ الوهابيّة (وهم أتباع محمّد بن عبد الوهاب ويعتقدون بالمذهب الحنبليّ) على المبدأ المذكور وتؤكد عليه .

يقول الحنابلة : إنّ المراد من العرش والكرسيّ واليد والنور والاستواء والنزول ومجيء الربّ ، وأمثال ذلك ممّا ورد ذِكْرُهُ في القرآن الكريم واستُخدِمَ في كثير من الآيات ، هو هذه المعاني المستعملة والمتعارف عليها ، ولا يجوز بأيّ شكل من الأشكال التصرّف في الآيات المذكورة أو تغييرها ، أو حمل تلك الألفاظ والكلمات على معانٍ أُخرى أوسع وأكثر تجرّداً .

وكان ابن تيميّة يقول صراحةً بأنّ المراد من نزول الله هو هذا النزول المُشاهد والمحسوس . وإنّ ما رُوِيَ في الأحاديث النبويّة من نزول الله سبحانه في ليالي الجمعة ، يُقصد به هذا الشكل من النزول .

وقد كان يقول بصريح العبارة حين يعتلي المنبر ويقوم بإلقاء خطبته : إنّ النزول المراد به هو هذا النزول المعروف ، فالله ينزل تماماً كما أنزل أنا ! انظروا ، هكذا ! فكان ينزل دَرَجَةً من على المنبر ويُمثّل ويُشَبّه للناس كيفية نزول الله سبحانه بصورة محسوسة .

اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أي أنّ الله سبحانه هو هذا النور المحسوس .

الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى^١ ، معناه أنّ الله جلس واستقرّ على

١- الآية ٥ ، من السورة ٢٠ : طه .

عرشه .

وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ^١ ، تعني أن حجم كرسيه الذي يجلس عليه واتساعه هو بقدر حجم واتساع السماوات والأرض .
 وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^٢ ، معناه أن الله سبحانه يأتي في اليوم الآخر مع ملائكته على شكل صفوفٍ مُترابّةٍ أو جماعاتٍ منظمّة .
 وتقول هذه الطائفة كذلك : إن العرش هو بمعنى كرسيّ وعرش السُلطان والمُلك ؛ وكما أن السُلطان يجلس على كرسيه وعرشه أثناء حُكمه ، ويتكئ عليه ويستقرّ فوقه ، فإنّ هذه الآية تُفيد معنى أن الله كذلك يجلس ويستقرّ على كرسيه (المناسب في سعته وعظّمته له تعالى) .
 وإنّ مجلس الله وكرسيه الذي يستقرّ عليه يوازن حجم ووسع السماوات والأرض .

وإنّ ربك ، يأتي يوم القيامة في صفوفٍ مع ملائكته صفًّا بعد آخر ، تماماً كما يتقدّم الناس رافعين أرجلهم من مكان ليضعوها في مكان آخر .
 وفي تعليقهم على آية يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^٣ يقولون : أي أنّ الله سبحانه يملك يداً أقوى وأكبر وأعظم وأعلى من سائر الأيدي .
 وتعتقد هذه الجماعة كذلك : أنّ الله لا يمكن رؤيته في الدنيا بحاسة البصر ، إلّا أنّه يمكن رؤيته في الآخرة بهذه العين الباصرة الظاهرية الحسيّة التي يملكها البصير . وسيأتي الله بجسم وأذن ويد وأرجل نحو الناس تماماً كمجيء الفرد العاديّ في الدنيا ، وسيجلس على عرشه ، تماماً

١- الآية ٢٥٥ من السورة ٢ : البقرة .

٢- الآية ٢٢ ، من السورة ٨٩ : الفجر .

٣- الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

كالجلوس المتعارف لدينا نحن البشر ، كل ما في الأمر ، أن الله سيبدو أعظم وأكبر وأقوى ، لا غير .

وأما حُكماء الإسلام والفلاسفة اللاهوتيون العظام فكلهم متفقون على أن الألفاظ إنما وُضعت للمعنى العام . وعلى هذا فإن آية كلمة وضعها الإنسان أو يضعها في المستقبل بأيّ لسان وآية لغة ، فهي إنما توضع للمعنى العام ، وليس لخصوصية ذلك المعنى المحدود الحسي والطبيعي والمادي والمُقَيّد بالزمان أو المكان الفلاني .

فإذا أخذنا مثلاً كلمة «مصباح» بنظر الاعتبار ، فإن هذه الكلمة مصداق للمصباح الموجود في غرفتنا في الليلة الفلانية ، دون أن يكون لغرفتنا دخل في ذلك أو أن يكون لليلة الفلانية أثرٌ على معنى المصباح . ولذا فإننا نرى صدق هذه الكلمة كذلك على مصباح غرفة صديقنا في ليلة أُخرى . ومن هنا يتبين أن مفهوم ومعنى لفظة «مصباح» لم يكن لهما أثر أو دخل في خصوصية هذا الزمان أو ذاك ، أو في خصوصية هذا المكان أو غيره ، بل يصدقان على جميع أنواع المصابيح دون استثناء .

ولذلك فلو أعطينا المفهوم السابق بُعداً آخر أوسع ، لشاهدنا أنه لا دخل هنا مثلاً لكون مزية المصباح مصنوعة من النحاس أو من البلّور أو الخزف وما إلى ذلك ، بل تُطلق لفظة مصباح على جميع تلك الأنواع من المصابيح . وإذن ، فلا أثر لخصوصية المزية في مفهوم المصباح عموماً .

ففي الأزمنة الأولى كانت لفظة مصباح تصدق على كل إناء يحتوي على زيت وفيه فتيل وعليه زجاجة تُهيمن على شدة وتصاعد شعته . ولما استُبدل الزيت الذي كان يُستخدم في تلك المصابيح - وكان زيت الخروع في أغلب الأحيان أو زيت الزيتون - بالنفط المعروف لدينا اليوم ، لم يكن ذلك مدعاةً لتغيير دلالة لفظة مصباح عما كانت تعنيه في السابق . وكذلك

الحال مع اختراع المصباح الغازي حيث ظَلَّت تُطَلَّق عليه لفظة مصباح . وها نحن اليوم نطلق كلمة مصباح حتَّى على المصابيح الكهربائيَّة المنتشرة في عالمنا الحاضر . وستظلُّ كلمة مصباح تُطَلَّق على الأشكال الجديدة من المصابيح ، والتي قد تُسْتَحَدَّث في المستقبل سواء كانت تعمل على الطاقة الكهربائيَّة أو كانت قُدرة الإناارة فيها بشكل لا تُقاس بما نستخدمه في عصرنا الحاضر .

وكلَّ ذلك كان ولا يزال دون أدنى تصرُّف أو تدخُّل في معنى كلمة مصباح أو المفهوم الموضوع له ، فقد استخدمها السابقون وها هم اللاحقون يستخدمونها كما هي عليه دون تغيير يُذكر .

ومن هنا يتبيَّن لنا أنَّ أيَّاً من الخصوصيَّات المتفاوتة والأشكال المختلفة لا دَخَل لها ولا أثر على معنى كلمة المصباح ومراده ومفهومه الذي وُضِع له هذا اللفظ منذ بداية وجوده واختراعه وعلى اختلاف أشكاله ، ولا زال كذلك إلى يومنا هذا .

والمصباح في الحقيقة هو كلُّ شيء وُضِع في مكان أو حيِّز محدود لاستخدامه في إناارة الأشياء وإضاءتها .

وكذا كلمة النور ، فهي في أصل لفظتها ووضعتها أوَّل مرَّة لم توضع للإشارة إلى النور الحسِّي المحسوس بحاسَّة الباصرة وحسب . بل إنَّ معنى النور هو ذلك الشيء الذي يكون ظاهراً بنفسه وذاته ، وقادراً على إظهار الأشياء الأخرى .

وأحد مصاديق هذه اللفظة هو النور المحسوس المادِّي والظاهريِّ ، كنور الشمس مثلاً ونور القمر والمصباح ، ذلك أنَّ هذه الأنوار لا تحتاج بوجودها وذاتها إلى مُظهِرٍ لها ، فهي ظاهرة بذاتها ونفسها . إننا لا نرى نور الشمس ولا ضوء القمر بمعيتة أشياء أخرى ، بل هي مُنيرة ومُضيئة بذاتها ،

وأما بالنسبة إلى الأشياء الأخرى ، فإننا نراها ونتحسسها بواسطة نور الشمس وضوء القمر . إننا نلاحظ الصحراء والبحر والجبال والبراري والبساتين وأشياء كثيرة أخرى وتعامل معها في أوقات مختلفة وأزمان متباينة ، وهي لا تظهر لنا ولا نتمكن من إدراكها إلا بواسطة النور ، فتصدق هنا المقولة القائلة **النُّورُ هُوَ الظَّاهِرُ بِذَاتِهِ ، المُظْهَرُ لغيرِهِ** ، ولهذا فإننا نطلق عليه كلمة نور .

ولكن كلمة نور لا تقتصر على النور المادّي الحسّي ، فنور الفكر والعقل ، والنور النفسي والقلبي ، ونور عالم الملكوت ، ونور الأسماء والصفات الإلهيّة ، ونور الجمال والجلال ، ونور ذات الحقّ تعالى وتقدّس ، كلّ ذلك من أمثال النور .

فقد نتكلّم عن فلان قائلين إنّ له فكراً نورانياً ، أو عقلاً نورانياً ، أو نفساً نورانيةً ، أو قلباً نورانياً ، دون أدنى تصرّف في معنى ما نقصده من إطلاق كلمة النور . وإنّ أنوار عالم المثال وعالم العقل ، ونور صفة الجمال أو صفة الجلال للحقّ تعالى هي من الأمور المعروفة لدى العرفاء . وأعجب من ذلك كلّهُ وأوضحه نور ذات الحقّ تعالى .

وعموماً فإنّ أهل العرفان يتعاملون بلفظة النور عند تكلمهم وتحدّثهم عن الصفات المختلفة للحقّ سبحانه وتعالى ، بدءاً بأوضحها وهو نور القمر وضوؤه ، وانتهاءً بنور الذات السوداء اللون .

وعلى هذا الأساس وتلك القاعدة فإنّ ذات الله سبحانه نور ، لأنّه لا يحتاج في ذاته ونفسه إلى مُنَوَّر ، وكلّ ما سوى ذلك من العقل الأوّل إلى العقل العاشر ، ومن أعلى رتبة للاسم والصفة وحتى أوطئها ، كلّها محتاجة إلى نور الله سبحانه .

الله سبحانه هو أصل الوجود ، والموجودات إنّما موجودة بوجوده ،

وعلى هذا فإنَّ هويته هي النور الذي هو الظاهرُ بنفسه المُظهرُ لغيره .
 اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أي أن الله هو أصل وجود السماوات
 والأرض ، وأصل حقيقتهما وتكوينهما وهو الموجدُ لهما .
 الله هو الأوّل ، وبعده تأتي الموجودات ؛ وهو لا يحتاج إلى مُعرّف ،
 وكلّ الموجودات محتاجة إليه ليُعرّفها ؛ هو أصل الوجود وباقِي
 الموجودات موجودة بوجوده ؛ هو الظاهر بهويته وبقية الأشياء ظاهرة
 بظهوره ؛ هو النور ، وبقية الموجودات مُنوّرةٌ بنوره . هو أصل الحقيقة ،
 وبقية الموجودات إنّما هي مجاز وعارية .

إنّ البحث في عموميّة وشموليّة وضع اللفظ للمعنى العامّ هو بحث
 شيق . وبحمد الله وحُسن توفيقه قد بحثنا بشكل وافٍ في معنى وحقيقة
 الصراط في المجالس ٥١ إلى ٥٣ ، وفي معنى وحقيقة الميزان في المجالس
 ٥٤ و ٥٥ من الجزء الثامن من كتاب «معرفة المعاد» من سلسلة العلوم
 والمعارف الإسلاميّة .

كثيرة هي حالات إطلاق لفظة النور في القرآن والأخبار على الأنوار
 المعنويّة ، وليبيان بعض تلك الحالات نكتفي هنا بذكر بعض الأمثلة . فأما في
 القرآن الكريم فقد وردت الآيات التالية :

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ
 كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ
 أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^١

ففي هذه الآية الشريفة أُطلقت لفظة النور على الهدى وأُطلقت
 الظُّلْمَة على الكفر .

١- الآية ٢٥٧ ، من السورة ٢ : البقرة .

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ
مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي
بِهِ اللَّهُ مِنَ اتِّبَاعِ رِضْوَانِهِ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^١. هنا أُطلقت كلمة النور على القرآن
الكريم الذي أنزله الله على رسوله .

وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ^٢.

في هذه الآية شُبِّهت البصيرة بالنور .

أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ (كالغافل الذي قسى قلبه عن ذكر
الله تعالى) فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَلْبِ السَّيِّئِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ^٣.

وأُطلقت هنا لفظة النور على قبول دين الإسلام وتبنيّه ، في مقابل
القاسية قلوبهم والرافضين له .

وأما ما ورد في الأخبار ، ففي «نهج البلاغة» قال مولى الموحدين
وأمر المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلين :
وَنُورَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ^٤.

١- الآيتان ١٥ و ١٦ ، من السورة ٥ : المائدة .

٢- الآية ٤٠ ، من السورة ٢٤ : النور .

٣- الآية ٢٢ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٤- «نهج البلاغة» الحكمة ٣٧٣ ، طبعة عيسى البابي الحلبي ؛ وفي طبعة مصر مع
تعليقة للشيخ محمد عبده: ج ٢ ، ص ٢٢٥: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ! إِنَّهُ مَن رَأَى عَدُوَّنَا يُعْمَلُ بِهِ
وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَاُنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرَى ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ
صَاحِبِهِ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسِّنِّفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى فَذَلِكَ
الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ وَنُورَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ .

أَحَى قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمَّتَهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوَّهَ بِالْيَقِينِ ، وَنَوَّرَهُ
بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَقَرَّرَهُ بِالْفَنَاءِ ، وَبَصَّرَهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا ،
وَحَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ١ .
وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءٍ ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي .
وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَأَلِهِ وَخَدِيجَةَ ؛ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ ، وَأَشْمُ رِيحَ
النُّبُوَّةِ ٢ .

وقد وردت روايات كثيرة عن طريق العامة والخاصة ، وكلها تؤكد
على أن أول مخلوق خلقه الله سبحانه كان النور . كما ورد أنه أول ما خلق
الله الروح والقلم والعقل .

روى العلامة المجلسي رضوان الله عليه ، عن ثامن الحجج الإمام
الرضا عليه السلام أنه قال في مجلس للمأمون ، في تعليقه على بحث طويل
مع عمران الصابي حول بداية الخلق :
وَالنُّورُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَوَّلُ فِعْلِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ نُورُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ ٣ .

وروي في كتاب «غوالي الثالي» أن النبي صلى الله عليه وآله قال :

١- «نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٣٨ و ٣٩ ، الرسالة ٣١ ، طبعة مصر مع تعليقه للشيخ محمد
عبده، وصيَّته عليه السلام للإمام الحسن عليه السلام كتبها إليه بحاضرين ، عند انصرافه من
صفين .

٢- «نهج البلاغة» الخطبة ١٩٠ ؛ وفي طبعة مصر مع تعليقه للشيخ محمد عبده: ج ١ ،
ص ٣٩٢ .

٣- «بحار الأنوار» ج ١٠ ، ص ٣١٤ ، باب مناظرات الرضا واحتجاجاته ، الحديث
الأول ، الطبعة الحديثة .

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي ١.

وفي حديث آخر أنّ الرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ :

أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ ٢.

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن سَمَاعَةَ أَنَّهُ قَالَ : كُنْتُ عِنْدَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَوَالِيهِ فَجَرَى ذِكْرَ الْعَقْلِ وَالْجَهْلِ ... حَتَّى قَالَ : فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ خَلَقَ الْعَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَهُ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ - إِلَى آخِرِهِ ٣.

وورد نظير هذا الكلام في حديث الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليهما السلام خلال حديث طويل له مع هشام بن الحكم ، حيث قال :

يَا هِشَامُ ! إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْعَقْلَ وَهُوَ أَوَّلُ خَلْقٍ خَلَقَهُ اللَّهُ مِنَ الرُّوحَانِيِّينَ عَنِ يَمِينِ الْعَرْشِ مِنْ نُورِهِ ٤.

وروى عن عبادَةَ بن الصَّامِتِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ . فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ ! فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ ٥.

١- «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٩٧ ، باب حقيقة العقل وكيفية وجوده وخلقها ، الحديث

السابع .

٢- «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ٩٧ ، باب حقيقة العقل وكيفية وجوده وخلقها ، الحديث

الثامن .

٣- «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ١٠٩ ، كتاب العقل والجهل ، الحديث السابع .

٤- «بحار الأنوار» ج ١ ، ص ١٥٨ ، كتاب العقل والجهل ، الحديث الثلاثون .

٥- «بحار الأنوار» ج ٥٧ ، ص ٣٧٤ ، باب القلم واللوح المحفوظ والكتاب المبين ،

الحديث الرابع والعشرون .

وعن معاوية بن قرة عن أبيه أنه قال : تلا رسول الله صلى الله عليه وآله : «ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ» . قَالَ : لَوْحٌ مِنْ نُورٍ ، وَقَلَمٌ مِنْ نُورٍ ، يَجْرِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ .^١

قال عزيز الدين النسفي : «جاء في الحديث أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ . وجاء في حديث آخر أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ . وفي آخر أنه أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي . وجاء في آخر أيضاً : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي . وقد وردت أمثال ذلك في كثير من الأحاديث»^٢ .

وقال في مكان آخر : «جاء في حديث نبوي أن : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ . وورد كذلك أن : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ . وفي حديث آخر أن : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَرْشُ .

ووردت أحاديث كثيرة بهذا المعنى»^٣ .

وقال الشيخ نجم الدين الرازي : «اعلم أن مبدأ المخلوقات والموجودات كان الأرواح الإنسانية ، وكان مبدأ الأرواح الإنسانية الروح المحمّدية الطاهرة كما قال عليه الصلاة والسلام : أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى رُوحِي . وفي رواية أخرى نوري . ولأنه عليه الصلاة والسلام كان زبده وخلصة الموجودات وثمره شجرة الكائنات ، إذ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْأَفْلاكَ ، فإنه كان كذلك مبدأ الموجودات ولا يمكن أن يكون غير ذلك ، وذلك أن الخلق كان على مثال الشجرة ، والمصطفى عليه الصلاة والسلام هو ثمرة تلك الشجرة ، والشجرة في الحقيقة لا تكون إلا من حَبِّ

١- «بحار الأنوار» ج ٥٧ ، ص ٣٧٤ ، الحديث الخامس والعشرون .

٢ و٣ «الإنسان الكامل» لعزیز الدین النسفی ، ص ٢٢٠ و٣٩٨ ، طبعة طهران ، قسم

المعهد الإيراني والفرنسي بتصحيح ماريجان موله .

الثمرة»^١.

ويقول في مكان آخر: «هنالك لطيفة عجيبة تُسْتَشْفُ من قوله عليه الصلاة والسلام: **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ ، أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْعَقْلُ ، أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ رُوحِي** ، وهي أن هذه الأقوال الثلاثة كلها صحيحة ، وهي في الحقيقة قول واحد ، وقد احتار خلقٌ كثير في كيفية هذه التركيبة . فقوله : **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ** . إنما هو قلم الله لا قلمنا نحن ، فذلك القلم يجب أن يتناسب وعظمة الله وجلاله ، وتلك هي روح محمد الطاهرة ونوره . فلما خلق الحق تعالى تلك الروح ونظر إليها بالمحبة ، غلب عليها الحياء ، فانقسمت الروح قسمين حياءً ، فكان العقل شعبة من الروح»^٢.

وقال أيضاً : «لقد قطعتُ نسبي من الدنيا والآخرة والجنان الثمان في ذلك اليوم ، وجعلته أنا من الله . لا جرم أن أيّ نسبٍ مُتعلّق بالحدوث منقطع ، وأما نسبي فباقٍ ، إذ كُلُّ حَسَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ إِلَّا حَسَبِي وَنَسَبِي ، وقال للآخرين : **فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ** ، فقد فُزْتُ بالألوية والسباق في كلِّ ميدان .

فإن كان هناك أول في الفطرة ، فقد كنتُ أول برعم طلع على شجرة الفطرة ، إذ **أَوَّلُ مَا خَلَقَ اللَّهُ نُورِي** . . وإن كان الأمر يتعلّق بساحة يوم القيامة ، فأنا أول جوهرة تخرج من لآلئ الثرى ، أنا **أَوَّلُ مَنْ تَنَشَّقُ عَنْهُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** . وإن أردتَ البحث في مقام الشفاعة ، أنا **أَوَّلُ شَافِعٍ وَمُشَفِّعٍ** . وإن كنت تُريد الحديث عن الصراط والتقدم عليه ، أنا **أَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ الصَّرَاطَ** . وإن أردتَ معرفة صاحب مقام الصدارة في مجلس الجنان ،

١- «مرصاد العباد» ص ٣٧ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

٢- «مرصاد العباد» ص ٥١ و ٥٢ .

فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ. وَإِذَا رُمْتَ النِّظْرَ إِلَى سَيِّدِ الْعَاشِقِينَ
ومقتدى المشتاقين ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَتَجَلَّى لَهُ الرَّبُّ. وَأَوَّلُ عَاشِقٍ حَقِيقِيٍّ
يفوز بوصول المعشوق .

وما أطرف أن يكون كلُّ ذلك هو أنا ، أما أنا فلا أكون أنا ، **أَمَا أَنَا
فَلَا أَقُولُ أَنَا: شعر :**

چو آمد روی مهر ویم ، که باشم من که من باشم
که آنکه خوش بوم با او ، که من بی خویشتن باشم
مرا گر مایه‌ای بینی ، بدان کان مایه او باشد

برو گر سایه‌ای بینی ، بدان کان سایه من باشم^١
إِنَّ هَذَا الَّذِي سَمِعْتَهُ مِنْ أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا ظِلَّ لَهُ نَاشِئٌ مِنْ أَنَّ
مُحَمَّدًا كَانَ هُوَ التَّوْرُكَلَّةُ ، إِذِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ مِنْ رَبِّكُمْ^٢ وَلِذَا ،
فَلَا ظِلَّ لِلنُّورِ كَمَا تَعْلَمُ . وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ تَخَلَّصَ مِنْ ظِلِّهِ ، فَقَدْ لَازَ
جَمِيعَ الْخَلْقِ وَالْعَالَمِ كُلِّهِ بِنُورِهِ ، إِذِ إِنَّ : آدَمَ وَمَنْ دُونَهُ تَحْتَ لِوَائِي يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ .

لقد غمر النور المحمدي العالم والوجود وأحاط بهما ، إذ إنَّ : **أَوَّلُ مَا
خَلَقَ اللَّهُ نُورِي** ، فحتم الأبد بنوره إذ لا نبي بعدي .

١- «مرصاد العباد» ص ١٣٣ و ١٣٤ .

يقول «إذا أقبل حببي بطلعة كالبدر ، فمن الذي سأكونه يا ترى ، لأكون أنا بذاتي ؛
وسأسرُّ به حينئذٍ إذ سأكون بلا «أنا» .

وإنَّ شاهدت من جوهر فيِّي ، فاعلم أنَّ ذلك جوهره هو ، وإنَّ شاهدت فيه من ظلِّ ،
فاعلم أنَّ ذلك ظلِّي أنا» .

٢- مقتبس من ذيل الآية ١٥ ، من السورة ٥ : المائدة : قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ

وبعد شروق شمس الدولة المحمدية وطلوع نورها ، أفلت كواكب ولاية الأنبياء ، فُسِخَتْ بذلك آية ليلة الأديان الأخرى ، حيث حَلَّت آية مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ مَحَلَّهَا ، إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ اسْتُغْنِيَ عَنِ المِصْبَاحِ .
فالمسكين هو ذلك الأعمى الذي حُرِمَ من كل ذلك النور والضياء .
شعر :

خورشيد برآمد ای نگارین دیرست

بر بنده اگر نتابد از دبارست^١

وأورد الشيخ نجم الدين الرازي كذلك : حَلَقْتُ المَلَائِكَةَ مِنْ نُورٍ^٢ .
وقال أيضاً : «هذه الطائفة هي أصحاب الميمنة ، حيث مَشَرَبَهُم من عالم الأعمال ، ومَعَادُهُم درجات جنّات النعيم . مع هذا فإنّ طريقهم ليس طريقاً بحسب معرفة الذات والصفات الربّانية ، إذ إنهم ما زالوا أسرى آفة حُجُب الصفات الروحانية والنورانية ، إذ إِنَّ لِلَّهِ [تَعَالَى] سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ»^٣ .

١- «مرصاد العباد» ص ١٣٤ ؛ وكذلك ص ١٥٨ و ١٥٩ .

«أشرقت الشمس فالوقت متأخر أيها المعشوق ، فإذا لم تسطع عَلَيَّ فذلك بسبب الإدبار» .

٢- رسالة «عشق وعقل» ص ٤٠ ، منشورات بنگاه ترجمه ونشر كتاب ، الطبعة الثانية؛ وفي تعليقه ص ١١١ يقول: مقتبس من «صحيح مسلم» كتاب الزهد، و«مسند أحمد بن حنبل» ج ٦ ، ص ١٥٨ و ١٦٨ ، نقلاً عن «المعجم المفهرس» .

٣- ذُكِرَتْ هذه الرواية في «مرصاد العباد» ص ١٠١ و ٣١١ . وذكرها كذلك المألا عبد الرزاق الكاشاني في شرح «منازل السائرين» ص ٧ و ٢٩٠ ، منشورات بيدار ، وذكرها أيضاً المعلق على الكتاب في ص ٤١٥ . وقال العلامة محمد بن محمود الأملّي في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢ ، ص ٥٩ و ٦٠ ، حيث يقول :
☞

«الفصل الثامن: في بيان مشاهدات الأنوار ومراتبها»: قال الله تعالى: **مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتَمْرُونَهُ وَعَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ**. اعلم أنه بسبب انصقال مرآة القلب تدريجياً بمصقلة الذِّكر، وأمحاء أدران الطبيعة وظلمة البشريّة عنها، يكون ظهور الأنوار الغيبية فيها أقوى. وتتوهج تلك الأنوار على غرار توهج الشمعة والمصباح والمشعل والنيران، وذلك عندما يكون الخيال لا يزال يشوب تلك الأنوار. وبعد ذلك تتراءى للعيان الأنوار العلوية، حيث تكون في البداية على صورة كواكب متناثرة، وبعد ذلك على صورة قمر ومن ثم تظهر بصورة شمس حتى تظهر الأنوار المجردة من المحال. وعندما تنسلخ الأنوار من الحُجُب تماماً ولا يكون للخيال مجالاً للتصرف فيها، تنعدم حينئذ الألوان والأشكال، فيسود انعدام اللون والشكل والكيفيّة والصورة؛ ذلك أنّ تلوث الصفات البشريّة هو الذي يجعل الروح تُدرك شكل ولون النور من وراء حجاب الخيال، فعندما تسود الروحانيّة المحضة ويتم الخروج من تلك حُجُب الخيال تنتفي الأشكال والألوان. لكن على الرغم من أنّ الله سبحانه وتعالى هو مظهر جميع الأنوار وذلك حسب ما تصرّح به الآية: **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ** وأنّ كثرة هذه الأنوار وقتلتها يكون بحسب صفاء القلب وصقلته من ظلمة البشريّة، إلا أنّ ظهورها يكون مختلفاً ومتبايناً وذلك بسبب اختلاف وتباين منشأ مشاهداتها.

ويقال لهذه الأنوار **الأنوار الأرضية** وذلك عندما تكون على صورة أمور سفليّة مثل البروق واللوامع واللوائح والمشاعل والقناديل والمصابيح. أمّا عندما تكون على صورة أجرام علوية كالكواكب والأقمار والشموس فيقال لها **الأنوار السماوية**. وعلى هذا فإنّها تظهر بصورة برق إذا كانت منشأ مشاهدتها الذِّكر، أو بصورة مشكاة أو قنديل إذا كانت منشأ مشاهدتها المعرفة.

ومن هنا يقول الحقّ تعالى: **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ** أي أنه تبارك وتعالى مظهر الأنوار السماوية والأرضية، وأنّ نور عرفانه يظهر على السالك على صورة مشكاة، فإذا كانت الروحانيّة منشأ مشاهدتها والتي تنعكس على القلب السماوي تبعاً لمقدار صقلته، يكون ظهورها على مثال الكواكب والأقمار والشموس. «

وقال في مكان آخر : **حِجَابُهُ النُّورُ ؛ لَوْ كُشِفَتْ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ** .^١

لا جرم أن قيل لهذه الطائفة : احذروا من أن تخلطوا بين العقل والعقال في ميدان التفكير في ذات الحق جلّ وجلال الذي لا حد له ، **تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ!**^٢

وذكر في مناسبة أخرى : «وأما ما قاله من أننا متى ما حصلنا على عقل أكبر ، فإننا نجد الحب فيه أظرف وأشرف وأثبت ، كما أنّ سيّد الكائنات [صلوات الله عليه] كان أعقل الموجودات وأعشقها على الإطلاق .

واعلم حقاً بأنّ نور العقل في كمال وسموّ مرتبته ، هو بمثابة مشكاة الجسد وزجاجة القلب ، وزيت المصباح بمثابة صفاء الزيت ، إذ يكاد زيتها يُضَيءُ . ومع أنّ الملائكة كانت تمتلك زيت الرُّوحانية وصفاءه الذي هو

فعلى سبيل المثال، إذا كان صفاء القلب بمقدار الكوكب، يُرى نور الروح بمقدار ذلك الكوكب، وإذا كانت مرآة القلب صافية تماماً، يُرى القمر كاملاً، وإذا كانت هناك بقية من الكدورة، يُرى القمر ناقصاً، وعندما يكتمل صفاء مرآة القلب وتقبلها لنور الروح، تصبح المشاهدة بمقدار الشمس؛ وكلّما كان الصفاء أكثر، كان سطوع الشمس أكبر. وإذا وقعت مشاهدة القمر والشمس في آنٍ واحد، يكون القلب حينئذٍ القمر الذي يعكس النور فيُتبرر الروح به، وتكون الروح الشمس. وانعكاس إشعاعات الأنوار لصفات الحق عزّ وعلا من وراء الحُجُب الروحانية على مرآة القلب هو بمقدار صفائها».

١- جاء في تعليقه ص ١١٠ : «مأخوذ عن حديث نبويّ، «صحيح مسلم» باب الإيمان، ص ٢٩٣؛ مقدّمة كتاب ابن ماجّة، ص ١٣؛ «مسند أحمد» ج ٤، ص ٤٠١ و ٤٠٥. وأصل الحديث هو: **حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كُشِفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ...**».

أقول: ذكرها كذلك مؤلّف «مرصاد العباد» ص ٣١٠؛ كما ذكرها المعلق على كتاب «شرح المنازل» ص ٧.

٢- رسالة «عشق وعقل» ص ٥٣ و ٥٤.

نور العقل ، حيث خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ ، وكان ذلك الزيت مستعداً لاكتساب نارية النور الإلهي وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ ، إلا أنهم لم يحصلوا الا على مشكاة الجسد ، ولا زجاجة القلب ، ولا مصباح السرّ ، ولا فتيل الخفيّ ، حيث إنهم لم يستحقوا اكتساب نارية النور الإلهي بدون هذه الأسباب .

وأما الحيوانات فعلى الرغم من حصولها على مشكاة الجسد وزجاجة القلب ، إلا أن ذلك كان في غياب زيت الروحانية وصفاء النور [الذي هو العقل] فكانوا في مقام العجز كذلك إذ فَاَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا .

فأعطى الإنسان تمام الاستعداد وكمال التهيؤ لقبول تلك الأمانة ، التي هي في الحقيقة نور الفيض دون واسطة ، إذ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ، فوهب جسداً مثله كمثل المشكاة ، وقلباً على صفة الزجاجة ، وزيتاً روح بصفاء العقل الذي أنار زجاجة قلبه بذلك النور الساطع ، فأصبحت الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ، ووضع زجاجة القلب ومصباح السرّ وفتيل الخفيّ ، فتجلت هذه المجموعة ومنها آدم بنار النور الإلهي إذ خُلِقَ آدَمُ فَتَجَلَّى فِيهِ مِصْبَاحٌ ، فأصبح فيمن يستحق [نار] النور الإلهي حيث وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ .

فكل مصباح كان زيته أصفى ، وصفائه في النورانية أكثر ، فهو في النورانية نُورٌ عَلَى نُورٍ واكتمل وظرف بمجرد اتصال نار النور الإلهي به . ولما لم يُمنَحَ أَيُّ مِصْبَاحٍ موهبة قبول النورانية وكمال الاستعداد لذلك إلا مصباح سيّد الكائنات صلى الله عليه ، ولما كان زيت مصباحه أتم وأكمل وكان صفاء زيته الذي هو العقل لا اللطف ولا الظرف منه ، فلا جرم أن يكون قد وصل إلى درجة الكمال لقبول نور الفيض دون واسطة الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي فَكَانَ يُرَدَّدُ وَيُكْتَر من قراءة هذا الدعاء في كل صباح وهو :

اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا وَفِي سَمْعِي نُورًا وَفِي بَصَرِي نُورًا وَفِي
لِسَانِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا وَعَنْ يَسَارِي نُورًا [وَمِنْ فَوْقِي نُورًا] وَمِنْ
تَحْتِي نُورًا [وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا] وَاجْعَلْنِي نُورًا وَأَعْظِمْ لِي نُورًا.

ولمّا كان كل وجوده هو ذلك النور، حينئذٍ دعاه الحقُّ تعالى نوراً،

حيث قال: [قَدْ] جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ.^١

وبالجمله فقد أُطلقت كلمة النور في كثير من أدعيتنا على الحقِّ

المتعال، ففي دعاء الجوشن الكبير وردت الجمل التالية:

يَا نُورَ النُّورِ، يَا مُنَوَّرَ النُّورِ، يَا خَالِقَ النُّورِ، يَا مُدَبِّرَ النُّورِ، يَا مُقَدَّرَ
النُّورِ، يَا نُورَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا قَبْلَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا بَعْدَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا
فَوْقَ كُلِّ نُورٍ، يَا نُورًا لَيْسَ كَمِثْلِهِ نُورٌ.^٢

وفي المناجاة الشعبانيّة:

إِلَهِي هَبْ لِي كَمَالَ الْإِنْقِطَاعِ إِلَيْكَ، وَأَنْزِ أَبْصَارَ قُلُوبِنَا بِضِيَاءِ نَظَرِهَا
إِلَيْكَ، حَتَّى تَخْرُقَ أَبْصَارُ الْقُلُوبِ حُجُبَ النُّورِ فَتَصِلَ إِلَى مَعْدِنِ الْعَظْمَةِ،
وَتَصِيرَ أَرْوَاحُنَا مُعَلَّقَةً بِعِزِّ قُدْسِكَ.^٣

حتى قوله:

إِلَهِي وَالْحَقِيقِي بُنُورِ عِزِّكَ الْأَبْهَجِ، فَأَكُونُ لَكَ عَارِفًا وَعَنْ سِوَاكَ

١- رسالة «عشق و عقل»، ص ٧٦ إلى ٧٨.

٢- «مفاتيح الجنان» ص ٩٣، طبعة الإسلاميّة، سنة ١٣٧٩هـ، نقلاً عن «البلد الأمين»
و«المصباح» للكفعميّ، وهو مروى عن الإمام سيّد الساجدين، عن أبيه، عن جدّه رسول الله
صلّى الله عليه وآله.

٣- «مفاتيح الجنان» ص ١٥٨، نقلاً عن ابن خالويه، قال: «إنّها مناجاة أمير المؤمنين
والأئمة من ولده عليهم السلام، كانوا يدعون بها في شهر شعبان».

مُتَحَرِّفًا وَمِنْكَ خَائِفًا مُرَاقِبًا ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ١.

١- «مفاتيح الجنان» ص ١٥٩.

إنَّ تشبيه آية النور المباركة لحالات نفس السالك إلى الله هي من أروع التشبيهات في هذا المقام. وليس أجدر من أن ننقل هنا نص عبارات أستاذ السلوك والعرفان آية الحق والإيقان السيد مهدي بحر العلوم في الرسالة المنسوبة إليه.

يقول السيد بحر العلوم:

«وأما السالك فإنه يرى آثار وفيوضات ذلك. ومن جملة الآثار حصول الأنوار في القلب حيث يكون في البدء على شكل مصباح ثم على شكل شعلة ثم كوكب ثم قمر ثم بعد ذلك على شكل شمس، ثم تنخمد وتزول ألوانها. والكثير منها يكون على شكل برق وأحياناً تكون بصورة مشكاة وقنديل، وهذان الاثنان يحصلان أكثر ما يحصلان بفعل المعرفة والسبق من الذكر. وقد أشار الإمام أبي جعفر عليه السلام إلى المرتبة الأولى كما روى ذلك ثقة الإسلام في «الكافي» أن الإمام عليه السلام قال في بيان أقسام القلوب: وَقَلْبٌ أَزْهَرُ أَجْرُدٌ. فَقُلْتُ: وَمَا الْأَزْهَرُ؟ فَقَالَ: فِيهِ كَهَيْئَةِ السَّرَاجِ - إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَمَّا الْقَلْبُ الْأَزْهَرُ فَقَلْبُ الْمُؤْمِنِ. وقد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى بعض هذه المراتب قائلاً: قَدْ أَحْيَا قَلْبُهُ وَأَمَاتَ نَفْسَهُ حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطَفَ غَلِيظُهُ وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرٌ الْبَرَقِ .

إنَّ إحدى المعاني الباطنة للآية الشريفة: اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ هي شرح لهذه المراحل حيث يستحيل شخص الإنسان في هذه الأحوال إلى مشكاة فيها مصباح والذي يمثل القلب، وفي تلك الزجاجية مصباح والمذكور بالنور، ويتحوّل القلب بعد نشر ذلك إلى ما يُشبهه الكوكب الدرّي فيكون ساطعاً نيراً مثله كمثل نور الشجرة المباركة الكثير النفع وهو ما يُمثّل النورانية والروحانية لذكر الله حيث ليس بشرقّي ولا غربّي، بل نابع عن الطريق الباطن والذي هو كذلك ليس بشرقّي ولا غربّي. وَلَوْ لَمْ تَمَسُّهُ نَارٌ أَي إِذَا لَمْ يَغْفَلَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالَّذِي يُؤدّي إلى مقارنة الشيطان المخلوق من النار بنص الآية الشريفة وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقِبِضْ لَهُ وَشَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ وَقَرِينٌ ، ويزيد نُورٌ عَلَى نُورٍ نوراً على نوره حتى يغدو جميع ذلك نوراً. وَهَذِهِ الزُّجَاجَةُ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ . وفي بيان مثل نوره قال عليه السلام: يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجْرَةً وَلَا بَيْعًا

وورد أيضاً في دعاء ليلة عرفة ما يلي :

وَبِاسْمِكَ السُّبُّوحِ الْقُدُّوسِ الْبُرْهَانِ الَّذِي هُوَ نُورٌ عَلَى كُلِّ نُورٍ،
وَنُورٌ مِنْ نُورٍ يَضِيءُ مِنْهُ كُلُّ نُورٍ ؛ إِذَا بَلَغَ الْأَرْضَ انْشَقَّتْ ، وَإِذَا بَلَغَ
السَّمَاوَاتِ فَتَحَتْ ، وَإِذَا بَلَغَ الْعَرْشَ اهْتَزَّتْ .^١

وبعد الجمل السابقة ، تأتي هذه الجمل :

أَسْأَلُكَ بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي تَجَلَّيْتَ بِهِ لِلْجَبَلِ فَجَعَلْتَهُ دَكًّا وَخَرَّ
مُوسَى صَعِقًا .^٢

وجاء في آخر الدعاء المذكور (دعاء ليلة عرفة) ما يلي :

أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الْأَنْوَارَ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ حَتَّى عَرَفُوكَ
وَوَحَّدُوكَ .^٣

هذا وقد أفرد محمد بن يعقوب الكليني باباً خاصاً في «أصول الكافي» وذكر فيه أن الأئمة عليهم السلام هم نور الله عز وجل ، وقد أوردت روايات بهذا الصدد نورد منها اثنتين هنا على سبيل المثال :

الأولى : روى بسنده المتصل عن أبي خالد الكابلي أنه قال : سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل : «فَأْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ

عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ . * («رسالة السير والسلوك المنسوبة إلى بحر العلوم» ص ١٩٤ إلى ١٩٧ مع مقدمة وشرح للسيّد محمد الحسين الحسيني الطهراني ، منشورات حكمت).

* أي في بيان تحقّق هذا النور ومصداقيته فإنه يقول إن رجلاً يسبحون الله في الصباح والمساء في تلك البيوت .

١- «مفاتيح الجنان» ص ٢٥٣ ، حيث ذكّر أنّ في الرواية أنّه يُدعى به في ليلة عرفة وليالي الجُمع .

٢- «مفاتيح الجنان» ص ٢٥٣ .

٣- «مفاتيح الجنان» ص ٢٧٣ .

الَّذِي أَنْزَلْنَا». ١ فَقَالَ : يَا أَبَا خَالِدٍ ! النُّورُ وَاللَّهُ نُورُ الْأَيْمَةِ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ ، وَهُمْ وَاللَّهُ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ . وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ ! لَنُورِ الْإِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ .
وَهُمْ وَاللَّهُ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَحُجِّبُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ فَتَظْلِمُ قُلُوبَهُمْ . وَاللَّهُ يَا أَبَا خَالِدٍ ! لَا يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلَّانَا حَتَّى يُطَهِّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَلَا يُطَهِّرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّى يُسَلِّمَ لَنَا وَيَكُونَ سَلْمًا لَنَا ، فَإِذَا كَانَ سَلْمًا لَنَا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْحِسَابِ وَأَمَنَهُ مِنْ فِرَاعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الْأَكْبَرِ . ٢

الثانية: روى بسند متصل آخر منه عن صالح بن سهل الهمداني أنه قال: قال أبو عبد الله (الصادق) عليه السلام في قول الله تعالى: «اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ»: فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ «فِيهَا مِصْبَاحٌ». الْحَسَنُ «الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ». الْحُسَيْنُ «الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ». فَاطِمَةُ كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ بَيْنَ نِسَاءِ أَهْلِ الدُّنْيَا.
«تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ» إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ. «زَيْتُونَةٌ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ» لَا يَهُودِيَّةٌ وَلَا نَصْرَانِيَّةٌ. «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» يَكَادُ الْعِلْمُ يَنْفَجِرُ بِهَا. «وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ» إِمَامٌ مِنْهَا بَعْدَ إِمَامٍ.
«يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ» يَهْدِي اللَّهُ لِلْأَيْمَةِ مَنْ يَشَاءُ؛ «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ».

١- صدر الآية ٨، من السورة ٦٤: التغابن.

٢- «أصول الكافي» ج ١، ص ١٩٤، كتاب الحجّة، باب أن الأئمة عليهم السلام نور

الله عزّ وجلّ، الحديث الأول.

قُلْتُ: «أَوْ كَظَلَمْتُ»؟ قَالَ: الْأَوَّلُ وَصَاحِبُهُ. «يَعُشْبُهُ مَوْجٌ» الثَّلَاثُ.
 «مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ، ظَلَمْتُ» الثَّانِي. «بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ» مُعَاوِيَةَ لَعَنَهُ اللَّهُ
 وَفِتْنُ بَنِي أُمَيَّةَ؛ «إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ» الْمُؤْمِنُ فِي ظُلْمَةٍ فَتَنَّتِهِمْ «لَمْ يَكْدُ يَرْبِهَا».
 «وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ نُورًا» إِمَامًا مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، «فَمَا لَهُ
 مِنْ نُورٍ» إِمَامَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

وَقَالَ فِي قَوْلِهِ: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ»^١: أئِمَّةُ الْمُؤْمِنِينَ
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ، تَسْعَى بَيْنَ يَدَيْ الْمُؤْمِنِينَ وَبِأَيْمَانِهِمْ حَتَّى يُنْزِلُوهُمْ مَنَازِلَ أَهْلِ
 الْجَنَّةِ.^٢

وروى الكليني بهذا المضمون بسند آخر عن علي بن جعفر عليه السلام، عن أخيه موسى عليه السلام^٣.
 وذكر الكليني في باب خلق الأبدان والأرواح والقلوب للأئمة عليهم السلام أربع روايات، نكتفي هنا بذكر واحدة منها فقط:

روى بسنده المتصل عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام قال سمعته يقول: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا مِنْ نُورِ عَظَمَتِهِ، ثُمَّ صَوَّرَ خَلَقَنَا مِنْ طِينَةٍ مَخْرُونَةٍ مَكْنُونَةٍ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ، فَأَسْكَنَ ذَلِكَ النُّورَ فِيهِ، فَكُنَّا نَحْنُ خَلْقًا وَبَشَرًا نُورَانِيَيْنَ لَمْ يَجْعَلِ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَنَا مِنْهُ نَصِيبًا. وَخَلَقَ أَرْوَاحَ شِيعَتِنَا مِنْ طِينَتِنَا، وَأَبْدَانَهُمْ مِنْ طِينَةٍ مَخْرُونَةٍ مَكْنُونَةٍ أَسْفَلَ فِي ذَلِكَ الطِّينَةِ، وَلَمْ يَجْعَلِ لِلَّهِ لِأَحَدٍ فِي مِثْلِ الَّذِي خَلَقَهُمْ مِنْهُ

١- مقطع من الآية ١٢، من السورة ٥٧: الحديد.

٢- «أصول الكافي» ج ١، ص ١٩٥، الحديث الخامس.

٣- «أصول الكافي» ج ١، ص ١٩٥، كتاب الحجّة، باب أنّ الأئمة عليهم السلام نور الله عزّ وجلّ؛ ورواها البحراني في تفسير «البرهان» ج ٢، ص ٧٣٥، الطبعة الحجرية، عن طريق العامة عن ابن المغازلي الشافعي في كتاب «المناقب» مرسلًا عن علي بن جعفر.

نَصِيْبًا إِلَّا لِلْأَنْبِيَاءِ . وَلِذَلِكَ صِرْنَا نَحْنُ وَهُمْ : النَّاسُ ، وَصَارَ سَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ لِلنَّارِ وَإِلَى النَّارِ .^١

وأورد الكليني كذلك في باب ولادة النبي صلى الله عليه وآله ووفاته أربعين رواية نورد منها في هذا المقام ثلاثة :

١- روى بسند متصل عن جابر بن يزيد قال : قال لي أبو جعفر (الباقر) عليه السلام : يَا جَابِرُ ! إِنَّ اللَّهَ أَوَّلُ مَا خَلَقَ ، خَلَقَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَعِثْرَتَهُ الْهُدَاةَ الْمُهْتَدِينَ . فَكَانُوا أَشْبَاحَ نُورٍ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ ! قُلْتُ : وَمَا الْأَشْبَاحُ ؟!

قَالَ : ظِلُّ النَّورِ ، أَبْدَانُ نُورَانِيَّةٍ بِلَا أَرْوَاحَ . وَكَانَ مُؤَيَّدًا بِرُوحٍ وَاحِدَةٍ وَهِيَ رُوحُ الْقُدُسِ . فَبِهِ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهُ وَعِثْرَتُهُ .
وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ حُلَمَاءَ ، عُلَمَاءَ ، بَرَّةَ ، أَصْفِيَاءَ ؛ يَعْبُدُونَ اللَّهَ بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ ، وَالسُّجُودِ ، وَالتَّسْبِيحِ ، وَالتَّهْلِيلِ ؛ وَيُصَلُّونَ الصَّلَوَاتِ ، وَيَحُجُّونَ ، وَيَصُومُونَ .^٢

٢- روى بسند متصل عن أحمد بن علي بن محمد بن عبد الله بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام أنه قال :

إِنَّ اللَّهَ كَانَ إِذْ لَا كَانَ . فَخَلَقَ الْكَانَ وَالْمَكَانَ . وَخَلَقَ نُورَ الْأَنْوَارِ الَّذِي نُورَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ . وَأَجْرَى فِيهِ مِنْ نُورِهِ الَّذِي نُورَتْ مِنْهُ الْأَنْوَارُ .

١- «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٣٨٩ ، باب خلق أبدان الأئمة وأرواحهم وقلوبهم عليهم

السلام ، الحديث الثاني .

٢- «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٤٤٢ ، كتاب الحجّة ، باب مولد النبي صلى الله عليه

وآله ووفاته ، الحديث العاشر .

وَهُوَ النُّورُ الَّذِي خَلَقَ مِنْهُ مُحَمَّدًا وَعَلِيًّا. فَلَمْ يَزَلَا نُورَيْنِ أَوَّلَيْنِ، إِذْ لَا شَيْءَ كَوَّنَ قَبْلَهُمَا. فَلَمْ يَزَلَا يَجْرِيَانِ طَاهِرَيْنِ مُطَهَّرَيْنِ فِي الْأَصْلَابِ الطَّاهِرَةِ حَتَّى افْتَرَقَا فِي أَطْهَرِ طَاهِرَيْنِ: فِي عَبْدِ اللَّهِ وَأَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.^١

٣- وروى كذلك بسند متصل أيضاً عن مُرَازِمٍ عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (الصادق) عليه السلام قال: قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي خَلَقْتُكَ وَعَلِيًّا نُورًا، يَعْنِي رُوحًا بِلَا بَدَنٍ، قَبْلَ أَنْ أُخْلُقَ سَمَاوَاتِي وَأَرْضِي وَعَرْشِي وَبَحْرِي، فَلَمْ تَزَلْ تَهْلَلْنِي وَتَمَجِّدْنِي.

ثُمَّ جَمَعْتُ رُوحَيْكُمَا فَجَعَلْتُهُمَا وَاحِدَةً، فَكَانَتْ تَمَجِّدْنِي وَتُقَدِّسُنِي وَتَهْلَلْنِي. ثُمَّ قَسَمْتُهَا ثِنْتَيْنِ وَقَسَمْتُ الثَّنَيْنِ ثِنْتَيْنِ فَصَارَتْ أَرْبَعَةً: مُحَمَّدٌ وَاحِدٌ، وَعَلِيٌّ وَاحِدٌ، وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ثِنْتَانِ.

ثُمَّ خَلَقَ اللَّهُ فَاطِمَةَ مِنْ نُورٍ ابْتَدَأَهَا رُوحًا بِلَا بَدَنٍ. ثُمَّ مَسَحَنَا بِيَمِينِهِ فَأَفْضَى^٢ نُورَهُ فِينَا.^٣

أما وإنما لنقرأ في زيارة الجامعة الكبيرة: خَلَقَكُمْ اللَّهُ أَنْوَارًا فَجَعَلَكُمْ بِعَرْشِهِ مُحَدِّقِينَ حَتَّى مَنْ عَلَيْنَا بِكُمْ فَجَعَلَكُمْ «فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ».^٤

وروى في تفسير «نور الثقلين»^٥ بسند متصل منه عن جابر، عن الإمام

١- «أصول الكافي» ج ١، ص ٤٤١ و ٤٤٢، الرواية التاسعة.

٢- جاء في بعض النسخ فأضاء. (التعليقة).

٣- «أصول الكافي» ج ١، ص ٤٤٠، الحديث الثالث.

٤- «مفاتيح الجنان» ص ٥٤٧، عن الشيخ الصدوق في «الفقيه» و«العيون»، عن

موسى بن عبد الله النخعي، عن الإمام عليّ النقي عليه السلام.

٥- تأليف الشيخ عبد علي بن جمعة العروسي الحويزي، ج ٣، ص ٦٠٧.

أبي جعفر (الباقر) عليه السلام في قوله عزَّ وجلَّ : فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ أَنَّهُ قال :

هِيَ بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ ، وَبَيَّتْ عَلَيَّ مِنْهَا .

وروي في تفسير «البرهان»^١ عن الشيخ الحافظ رجب البرسي قال :
روى ابن عباس أَنَّهُ قال : كنتُ في مسجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وقد قرأ القارئ :

فِي بُيُوتٍ أذنَ اللهُ أن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ .

فقلتُ : يا رسول الله ! ما البيوت ؟!

فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : بُيُوتُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ،
وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى بَيْتِ فَاطِمَةَ الرَّهْراءِ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهَا أَتْبَتَهُ .

نعم ، لقد تبين من هذه الأبحاث بصورة لا تقبل الشك معنى نور الله
وأحقية الولاية وعظمتها التي هي عين التوحيد ، وكذلك طريق إفاضة النور
من مقام وحدة الربوبية عزَّ وجلَّ الذي هو عين النور وأصل الجود
والوجود ، وطلوعه في المصباح ، واستمداد المصباح من زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ
وَلَا غَرْبِيَّةٍ ، وتلألؤه في الزجاج ، وانعكاسه في المشكاة ، ، وحفظ وصيانة
المشكاة للنور ، وإفاضة النور ونشره في فضاء الغرفة ، وانتفاع الناس
بوساطة ذلك في فضائه النير والمتلألئ كلُّ بحسب رتبته .

وعلمنا كذلك سرَّ الولاية والإمامة اللتين هما معدن النور ومنبعه . وكذا
كيفية اتحاد الأنوار الخمسة الطيبة ووحدها ، والتي من جملتها المقام
الأقدس للسيدة الكبرى فاطمة الزهراء سلام الله عليها ، وكيفية نشوء نورها

١- تأليف السيد هاشم البحراني ، ج ٢ ، ص ٧٣٧ ، الطبعة الحجرية .

المقدس وإيجاده من نشء ومبدأ عالم الإيجاد ونشأة الحياة في سلسلتي التكوين والتشريع . ومع عدم وجود صفة الذكورة والأنوثة في عوالم التجرد ، وأن الولاية الحقّة هي ولاية الله ، وهي واحدة ، فإنه ومع الأخذ بنظر الاعتبار مسألة نشأة الكثرة فقد دُعيت بالرجال ووضعت في بيوت أنوار الوحي والإلهام وذكّر الله تعالى .

وعلى آية حال فقد يكون سبب ذكر نور جلال تلك السيّدة الكبرى في الأخبار والآثار بلحاظ صفة الأنوثة في عالم الكثرات ، ممّا يجعل كلّ ناظر يغضّ النظر عن ذلك ويمنع من الاطلاع على جمالها الذي هو جمال الله . إنّ نور ذلك الجمال الرباني الأزلي الأبدي السرمدي يبرق ويتلأأ بشكل يُعمي بصر كلّ عين عاجزة ؛ ولهذا صار نور الجلال حجاباً لنور الجمال . وسيملاً دويّ ملائكة القدس : غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، أسمع الخلق وأركان ساحة المحشر الكبرى عند عبور سيّدة نساء العالمين ، وتعبّر تلك السيّدة معدن الولاية ومنجم الإمامة يُغطيها حجاب تتدلّى منه آلاف الحُجُرات^١ ، ويربط كلّ واحد من شيعتها نفسه بواحدة من تلك الحُجُز ويتمسك بها . فتنقّدم صلوات الله عليها حتى تمثل بين يدي الله سبحانه في موقف عظيم ومشهد رهيب ، واضعة في كفّها اليمنى رأس ولدها الحسين بينما وضعت في كفّها اليسرى قميصه الملطّخ بالدماء ، فتقول : ربّاه ! لقد ضحّى ولدي الحسين بكلّ ما لديه في سبيلك ، فهذا رأسه وهذا قميصه ! فما جزاؤه عندك يا ربّ !؟

فيتقدّم رضوان خازن الجنة ومالك خازن جهنّم في الحال ويسلمانها مفتاحي الجنة والنار ، ويضعانه في كفّي السيّدة الكبرى قائلين : إنّ الله

١- الحُجُزَة ج حُجَزَ وَحُجِرَاتٌ وَحُجِرَاتٌ وَحُجِرَاتٌ : مَعْقَدُ الْإِزَارِ . [المنجد] . (م)

يقول : لقد أعطانا ولدك الحسين كلّ ما لديه ، فسنعطيه نحن كلّ ما لدينا ؛
فخذني مفتاحي الجنة والنار وأدخلي من شئت من أحبائك إلى الجنة ، وألقي
بمن شئت من أعدائك إلى النار ، فهذا الموقف موقف العدل لديّ .

وَلَهَا جَلالٌ لَيْسَ فَوْقَ جَلالِهَا إِلَّا جَلالُ اللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ
وَلَهَا نَوالٌ لَيْسَ فَوْقَ نَوالِهَا إِلَّا نَوالُ اللَّهِ عَمَّ نَوالُهُ

* * *

مَشكاةُ نورِ اللَّهِ جَلَّ جَلالُهُ
زَيْتونةُ عَمِّ الوَرى بَرَكاتُها
هِيَ قُطْبُ دائِرَةِ الوُجودِ وَنُقْطةُ
لَمّا تَنَزَّلَتْ أَكْثَرَتْ كَثَراتُها
هِيَ أَحْمَدُ الثَّانِي وَأَحْمَدُ عَصْرِها
هِيَ عُنْصُرُ التَّوْحِيدِ فِي عَرَصاتِها

الْبَحْثَانِ الثَّلَاثُ وَالرَّابِعُ

اسْتِطَاعَةُ رُؤْيَاةِ اللَّهِ

وتفسير الآية الباردة

سَأُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ
أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝
أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيئَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنْهَبُوا شَيْءًا مِّنْ حَيْثُ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :
سُرِّيهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ (أَي
آيَاتِنَا) الْحَقُّ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * أَلَا إِنَّهُمْ فِي
مِرْيَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ .
(الآيتان ٥٣ و ٥٤ ، من السورة ٤١ : فصّلت)

لشرح الآيتين الشريفتين الأنفتي الذّكر ، يتحتّم علينا البحث عن
صاحب الضمير في الآية الشريفة «أَنَّهُ الْحَقُّ» .

في اعتقاد الحقير أنّ هذا الضمير يعود إلى المُقَدَّر والمستفاد من
الفعل «نُرى» وهو «مُرى» (أي الآية والمرأة بلحاظ كونها آية ومرآة إلى
الضمير «نا» . فما هو المُرى^١ إذن؟ إنها في الحقيقة آيات الحق المُبَيَّنَّة

١- مُرى اسم مفعول من باب أرى يُرى من باب إفعال. لأنّ اسم الفاعل منه مُرئى
واسم المفعول منه هو مُرأى . وقد حُذِفَت الهمزة للتخفيف بعد نقل حركتها إلى ما قبلها،
مُرى ومُرى . وأمّا مرئى فهو اسم مفعول من باب رأى يرى ، واسم الفاعل منه راءٍ واسم

للحقّ . إذ لا يمكن أن يكون غير ذلك بحسب البلاغة القرآنيّة ، وكذا انسجام تتمّة الآية المذكورة والآية التي تليها . فلا يمكن أن يكون عَوْدُهَا إلى «ءَايَاتِنَا» ، ذلك أنّ «آيات» هي جمع مؤنث مجازي ، فلا يجوز أن يعود ضمير المفرد المذكّر الغائب إليها بحال من الأحوال . وأيضاً لا يُعقل أن تكون مضافاً إليه بالنسبة إلى «نا» ، إذ يجب أن يكون مرجع ضمير المذكّر الغائب إلى اسم الجنس للمذكّر الغائب ، في حين أنّ الضمير «نا» هو ضمير جمع المتكلّم مع الغير .

وكذلك لا يمكن أن يعود إلى القرآن كما قال به البعض ، وأوردوا دليلاً على ذلك ، وهو الآية التي تسبق هذه الآية مباشرة :

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِ بَعِيدٍ .

وذلك أنّ هذه الآية ، وإن تلاءمت مع الآيات الآفاقيّة الأخرى وانسجمت معها ، إلّا أنّه لا بدّ من تفسيرها وتأويلها فيما يتعلّق بالآيات الأنفسيّة . ومضافاً إلى ما قيل ، فإنّ هذه الآية لا تنسجم مع تتمّة الآية المذكورة والآية التي تليها ولا تتلاءم معها .

وكذلك الحال في مسألة عَوْد الضمير إلى «رسول الله» إذ إنّ رسول الله ليس مذكوراً في سياق الكلام ، اللهمّ إلّا باعتبار التوجيه ، حيث يمكن أن يقال : لأنّ إنكار القرآن مُساوق مع إنكار نبوّة رسول الله ، فقد أُشير إليه هنا باعتباره «حقّ» ، وهو مُساوق مع ذكر القرآن ، فلا يخلو هكذا توجيه حتماً من التكلّف .

⇨ المفعول مرثيٌّ . وقد كان اسم المفعول من ذلك في الأصل هو مرثوئى ، فطراً عليه إعلال مرثيٍّ فأصبح مرثيٌّ . ف«رأى يرى» متعلدٌ إلى مفعول واحد و«أرى يُرى» متعلدٌ إلى مفعولين .

ولا ريب في أنّ الضمير المذكور لا يرجع لا إلى «الله» ولا إلى «التوحيد»، باعتبار أنّ نتيجة ما حصل من إنكار المشركين لرسول الله وللقرآن، هو إنكارهم وجود الله أو وحدانيته، لأنّ هذا النوع من العُود يستلزم كذلك الاستعانة بالتأويل، ولا شك في أنّ تأويلاً كهذا يُخرج القرآن من حياض سلاسته وعدوبة بيانه .

إنّ ما ذكرناه هنا من تأويل الضمير وعوده هو ما ارتكز عليه وأيده إلى حدّ ما صاحب تفسير «مجمع البيان»: الشيخ الطبرسي والقاضي البيضاوي وأستاذنا الأكرم العلامة الطباطبائي قدس الله أسرارهم جميعاً . مع أنّ العلامة أورد وجهاً آخر أيضاً في هذا الصدد، وباعتقاد الحقير أنّه أقرب إلى الحقيقة، هذا في حين لفتت نظري مطالب في كثير من التفاسير الأخرى تدعو إلى الدهشة والإعجاب .

فأما إرجاع الضمير إلى اللفظ المقدّر «مُرى» فهو أقرب لسببين

اثنين :

أولهما : أنّ إرجاع الضمير في مثل هذه الحالات شائع الاستعمال كثيراً عند العرب ، وقد ورد مثله في القرآن الكريم كذلك : **أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** .^١

فهنا نلاحظ أنّ الضمير «هُوَ» ليس له مرجع لفظي في الآية الشريفة ، ولذا لزم إرجاعه حتماً إلى لفظٍ تقديريّ مُستفاد من «أَعْدِلُوا» ، وهو فعل أمر للجمع المذكّر ، وهذا اللفظ التقديريّ هو الـ «عدل» .

وهنا وجب إرجاع الضمير إلى كلمة «عَدَل» وذلك كما يتبيّن من جهة سياق ومفهوم الآية ، لأننا حين نقول «أَعْدِلُوا» ثم نتبعها بقولنا : «هو أقرب

١- الآية ٨ ، من السورة ٥ : المائدة .

للتقوى» ، ففي الحال يُفهم من سياق الكلام ويتبادر إلى الأذهان أن «العدل» المُشتق من المصدر «أعدلوا» هو الأقرب للتقوى من غيره .

ثانيهما : في الآية الشريفة التي هي مدار بحثنا هنا «سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق» يتبادر إلى ذهننا مباشرة من أن الشيء «المُرى» هو الحق . وهو عبارة عن لفظة «مُرى» ، اسم المفعول من الفعل «نُرى» ، بمعنى «أُيتنا» .

ويتوجب علينا أن نعلم أنّها هنا تكمن مسألة عظيمة وشاهد أعظم على توحيد الله تعالى ، وهي : أنّ الحق عبارة عن آياتنا (الآيات مضافة إلى الضمير «نا») ، ويُقصدُ بها الآيات والدلائل التي أقرّها الله في الآفاق والنفوس للدلالة على توحيده .

لا جرم أنّ جميع الموجودات ، سوى الله سبحانه ، هي آياته تعالى ؛ سواء أكانت تلك الآيات واقعة في العالم الخارج عن نفوس بني آدم ، أم تلك الحادثة في داخلها. لذا ، فليس هناك أي وجود مستقل لأي من المخلوقات ، بل هي في مجموعها آيات ومرايا وشواهد على سطوع جمال الذات المقدسة للحق تعالى . ولأنّ هذه الآيات والمرايا لا تمتلك صفة الظهور بنفسها ، بل هي كلّها مظاهر لله سبحانه ، لذا صار بالإمكان رؤية الله تعالى في كلّ واحدة من تلك الآيات . لأنّ الآية - بما هي آية - إنّما هي وسيلة لإظهار صاحبها (أي صاحب الآية) ، ولا تُبدي أو تُظهر نفسها هي على الإطلاق . إنّها مرآة صافية خالية من أي لون أو صدأ ، وعارية عن كلّ أنواع التموج أو الخدوش . مرآة تُري صورة الإنسان كما هي دون أيّة مغالطة أو تحريف . فإنّ تغيّر فيها أي شيء أو تبدّل ، فذلك لأنّها غير صافية ولا يُمكنها أن تحاكي الواقع أو أن تكون ذات قيمة تُذكر .

وعلى هذا فإنّ المرآة الصافية والماء الرقاق الزلال والهواء النقي في

فضاء مُضَاءٍ تبدو الآيَتِيَّةُ واضحةٌ كَلِّ الوضوحِ خلالهما لا يشوبها شيءٌ ،
وكأنَّه لا وجودَ لا للمرأةَ ولا للماءِ ولا للهواءِ ، بل إنَّ كَلِّ ما هو موجودٌ إنَّما
هو موجوداتٌ ماثلةٌ أمامَ تلكِ المرأةِ وداخل ذلكِ الماءِ ومُشَاهِدٍ في ما وراء
النورِ والهواءِ .

كَلِّ ما موجودٌ هو اللهُ ولا وجودٌ لشيءٍ غيرِ الحقِّ . جميعِ الآفاقِ وكَلِّ
الأنفُسِ إنَّما هي آياتٌ ، ولا وجودٌ لشيءٍ أو موجودٍ غيرِ «نا» و«الله»
و«الحقِّ» في ما وراءها مطلقاً .

لا وجودٌ لغيرِ «الله» في عالمِ الوجودِ . وكَلِّ ما سواه إنَّما هو آيةٌ له
لا أكثر . وهو وحده ذو الآيَةِ وصاحبُ العلامةِ ، هو كَلِّ شيءٍ ولا شيءٍ
سواه . وذو الآيَةِ الذي هو الحقُّ في هذه العبارةِ ، هو نفسه الآفاقِ والأنفُسِ .
فالآفاقِ والأنفُسِ هما حقٌّ إذن .

إنَّ هذه الآيَةِ تُدَلِّلُ على أنَّ حقيقةَ الآفاقِ والأنفُسِ هي وجودِ الحقِّ
تعالى ، وأنَّها لا تملكُ شيئاً ما في حدِّ ذاتها ، لأنَّها إنَّما وُصِفَتْ على أنَّها
آيَةٌ وعلامةٌ ، لا غير . وبالتالي فإنَّ الحقَّ تعالى عبارةٌ عن واقعِ الآفاقِ
والأنفُسِ وحقيقتها . أينما تُوَلِّ وجهك فثمَّ وجودُ الله ، وإلى أيِّ شيءٍ
أرجعتَ بصرك ترى فيه الله . فما أكثرُ الأشياءِ ، لكنَّ اللهَ واحدٌ فردٌ صمدٌ .
فلا موجودٌ في عالمِ الوجودِ سوى الله . فالتعيُّناتُ والإتياتُ ومعها الماهياتُ
كَلِّ تلكِ أمورٍ عديميةٍ وباطلةٍ ، والوجودِ المقدَّسِ للحقِّ تعالى واحدٌ ، حيثُ
يتجلَّى في الآفاقِ والأنفُسِ ويظهر في كَلِّ جنبَةٍ من جنباتها .

إنَّ كلمةَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ المباركةُ التي هي كلمةُ التوحيدِ ومعنى التوحُّدِ
والوحدةِ ، إنَّما أصلها راجعٌ إلى كلمةَ لَا مَوْجُودَ سِوَى اللَّهِ التي تنفي كَلِّ نوعٍ
من أنواعِ التعيُّنِ عن ذاتِ الحقِّ تعالى ، وتُجَرِّدهُ منه .

وخير دليلٍ وشاهدٍ على هذا الكلامِ هو تتمَّةُ الآيَةِ الشريفةِ :

أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ .

أي أن الله سبحانه حاضر وناظر وشاهد بوجوده في وجود جميع الموجودات الآفاقية والأنفسية وكذلك في كل شيء يمكن أن تُطلق عليه كلمة شيء ، لا بكونه موجوداً آخر أو في مكان آخر ، وأن مُجَرَّدِ عِلْمِهِ هو المحيط بالموجودات للتقدير فيها أو التحكم بها .

وأعجب من هذه التتمة هي الآية التي تليها :

أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَأْتِيَهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ .

فما السبب في كون هذه الآية أعجب وأغرب ؟ السبب في ذلك هو أن الله سبحانه يقول : إنَّ الناسَ ليشكّونَ في لقاءِ الله ربِّهم في حين أنَّه موجود في الآفاق والأنفس ، وإنَّ واقع الآفاق والأنفس هو الله الذي برز من خلال الآيات والعلامات ، وتجلّى فيها بوضوح . فلَمَّا كان الله سبحانه موجوداً في الآفاق والأنفس ومشهوداً في كلِّ جزء منها ، ولَمَّا كان الله أوّل شيء ينظر إليه الناس من خلال رؤيتهم لأيّ شيء حولهم ولكلِّ نفس من نفوسهم ، فليَمِّ ، والحال كذلك ، يشكُّ الناس بوجود الله ويرتابون في أمره ولقائه ، مع وضوح تلك الآيات وجلاء تلك الصور والعلامات !؟

ثم يقول سبحانه «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ» ، وهذا لا يعني الإحاطة العِلْمِيَّة الحضورية أو الحصولية ، بل إنَّ ما يعنيه هو الإحاطة الوجودية وإحاطة المَعِيَّة التي يتجلّى فيها أولاً عبر وجوده مع كلِّ آية وأية علامة في الآفاق والأنفس وإحاطته بها ، ثمَّ تعيُن تلك الآية وتشخّصها ثانياً وبالعرض والمجاز .

الله أولاً ومن ثمَّ باقي الموجودات . هو السابق وما دونه مسبق مغلوب . هو القائم وما دونه إنّما هو يتقوّم به . هو الظاهر وبه تظهر الأشياء وتتجلّى .

الله نور وما دونه فهو مُنَوَّرٌ بنوره . ولو كانت الأشياء قادرة على إظهار الله ، لاستبدلت مكانها بمكانه ، ولأصبحت هي الإله ، ولأصبح الله هو المخلوق ، ولأصبحت الأشياء في سلسلة أعلى مراتب العلل ، ولكان الله هو المعلول . لا يمكن لله أن يتكل على غيره ، لا في أصل الخلق ولا في الظهور والآيية . لذا ، فتعبير هو الحق يعني أنّه هو الموجود الأصل عبر جميع مراتب الوجود ، من أصل الوجود ومن الظهور خلال مراتب الوجود .

وحيث علمنا أنّ الله سبحانه هو أصل النور ومبدأ الظهور وأصالة التحقُّق والوجود في الآفاق وفي الأنفس ، لذا وجب أن نعلم : كيف يتسنّى للإنسان معرفة هكذا ربّ؟! فلو أراد الوصول إليه عن طريق معرفة غيره ، لم يصحّ ذلك ، لأنّ ما دون الله متعلّق بظهوره بالله سبحانه ، إذ الله هو المانع لظهوره فظهر كما يظهر ، فكيف يكون بالإمكان إذن الوصول إلى الله ، مع علمنا بأنّ الذي نروم معرفة الله عن طريقه إنّما هو ظاهر بظهور الله المُظهِر لذلك الشيء؟!

إنّ المصباح المضيء في مسجد مضيء في نفسه وذاته ، وأمّا بقيّة الأشياء المضيئة في ذلك المسجد ، فهي مضيئة بنور ذلك المصباح ، لا بنورها هي بالذات . فنور المصباح ينتشر في ظلّمة المسجد ، والأشياء الموجودة في غياهب ذلك المكان تُضيء وتُنير بضياء المصباح ونوره . فليكني نرى ذلك المصباح ونتعرّف عليه ، يتوجّب علينا رؤيته هو بذاته وليس نوره الساقط على الأشياء . لا يمكننا بحال من الأحوال رؤية المصباح نفسه من خلال نوره الساقط على الأرض والمنعكس عن هذا الشيء أو ذاك . يجب رؤية المصباح بنفسه ، لا بالأشياء المظلمة المعتمة والمُنارة بنوره والمستضيئة بضياءه .

إن لهذه المسألة شأنًا من الشؤون ، إذ يجب معرفة الله عن طريق الله لا غير الله ممّن أساس وجوده وخلقته وتسويته وحقيقته وظهوره مأخوذ من الله ومبنيّ على وجوده .

وهنا تبرز مسألة أخرى إلى حيّز الوجود ، وهي أنه كيف يمكن معرفة الله بواسطة الله نفسه سبحانه ؟ وما العمل بشأن كلّ تلك الأخبار الدالّة على استحالة معرفة الإنسان لله تعالى أو الوقوف على كنه ذاته المقدّسة ؟ لا سبيل إلى معرفة الله إلاّ عن طريق آثار الله الدالّة عليه . ومع ذلك فإنّ تلك المعرفة لا يمكن أن تكون تفصيليّة ، بل إجماليّة . الحقّ أنّ الأرض والسماء والخضرة والماء والموجودات من الذرّة حتّى المجرّة ، مروراً بالبرغوث والبقّة حتّى الفيل ، أقول كلّ تلك المخلوقات هي مشاهد تدلّ على وجود الله سبحانه . هي آيات وعلامات تدلّ كلّ واحدة منها على وجود الله ، كلّ حسب سعته الوجوديّة . القرآن نفسه يدعونا إلى تتبّع تلك الآثار والرجوع إليها كأصدق بيّنة على وجود الله .

ومن هنا تتجلّى مصداقيّة الحكمة القائلة **تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ؛ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ** ^١ .

١- يقول الشيخ نجم الدين الرازي في رسالة «عشق وعقل» ص ٥٣ و ٥٤ ، بعد بحثه حول الصالحين المحجوبين عن نور الله: «هذه الطائفة هي أصحاب الميمنة، ومشربهم يكون من عالم الأعمال، ويكون معادهم درجات جنّات النعيم؛ ومع ذلك فلا سبيل لهذه الطائفة إلى معرفة ذات الله وصفاته في الحقيقة، لأنهم مازالوا مقيدين بأفة حُجُب الصفات الروحانيّة والنورانيّة؛ إذ إنَّ لِلَّهِ [تعالى] سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ مِنْ نُورٍ وَظَلْمَةٍ . وقال في مكان آخر: حِجَابُهُ النُّورُ ، لَوْ كُشِفَتْ لِأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ . ولذا قيل لهذه الطائفة: احذروا من خلط العقل بالعقل في مجال التفكّر في ذات الحقّ جلّ وعلا ، لأنّه ليس له حدّ ؛ تَفَكَّرُوا فِي آلاءِ اللَّهِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ» .

ومن جهة أخرى علمنا أنه لا يمكن معرفة الله سبحانه عن طريق الموجودات ، إذ كما قلنا لا يمكن معرفة الله إلا عن طريق الله نفسه . وقد وردت روايات كثيرة في هذا الباب في أن الإنسان باستطاعته معرفة الله بذاته .

كان أمير المؤمنين عليه السلام يخطب يوماً فسأله أحد الحاضرين قائلاً: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ !؟
فأجاب عليه السلام: كَيْفَ أَعْبُدُ رَبًّا لَمْ أَرَهُ !؟
ثم أوضح عليه السلام ذلك بقوله :
لَا تَرَاهُ الْعَيْونُ بِمُشَاهَدَةِ الْأَبْصَارِ ؛ وَلَكِنْ تَرَاهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ .

ولدينا من الآيات القرآنية الشريفة ما يناهز العشرين آية أو أكثر وكلها تدلّ على أن الناس سينالون شرف لقاء الله في يوم ما ، دون ريب .
وبين هذه المجموعة من الأخبار وتلك وقع العلماء في أشدّ حيرة من أمرهم ، قائلين : كيف يمكن حلّ مثل هذه المعضلة !؟
فنهج البعض منهجاً يقول بأن الأخبار التي دلت على عدم إمكانية

يقول المعلق على الكتاب في ص ١٠٩ في معرض تعليقاته: «روي هذا الحديث بأشكال عدة، منها: تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَتَهْلِكُوا. تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللَّهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ. («جامع الصغير» ج ١، ص ١٣١؛ «كنوز الحقائق» ص ٥٢) تَفَكَّرُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ؛ فَإِنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى كُرْسِيِّ سَبْعَةِ آلَافِ نُورٍ وَهُوَ فَوْقَ ذَلِكَ. («جامع الصغير»، ج ١، ص ١٣١) تَفَكَّرُوا فِي الْخَلْقِ وَلَا تَتَفَكَّرُوا فِي الْخَالِقِ. («قصص الأنبياء» للعلبي ص ١٠، طبعة مصر؛ و«جامع الصغير» ج ١، ص ١٣١)».

أقول: قد روى الملا عبد الرزاق الكاشاني أيضاً هذه الرواية في كتاب «شرح منازل السائرين» ص ٦٣، انتشارات بیدار.

رؤية الله عزّ وجلّ وإدراكه ومعرفته كلّها صحيحة ؛ فإنّه لا سبيل لبني آدم إلى معرفة الله بأيّ شكل من الأشكال ، سواء كانت تلك المعرفة إجمالية أم تفصيلية . فأين الخالق من المخلوق ؟ أَيْنَ التُّرابُ وَرَبُّ الأَرْبابِ !؟

سأل أمير حسين الهَرَوِيّ ، عارف خراسان الكبير سنة ٧١٧ للهجرة العالم المعروف في شَبَسْتَرِ آننَدِ وهو الشيخ محمود الشبستريّ ، قائلاً :

كدامين فكر ، ما را شرط راه است ؟

چرا گه طاعت و گاهی گناه است ؟^١

فأجابه الشيخ قائلاً :

در آلا فکر کردن شرط راهست

ولی در ذات حقّ محض گناه است

بود در ذات حقّ اندیشه باطل

محال محض دان تحصیل حاصل

چو آیات است روشن گشته از ذات

نگردد ذات او روشن ز آیات

همه عالم ز نور اوست پیدا

کجا او گردد از عالم هویدا^٢

١- يقول : «

أَيُّ رَأْيٍ أَلْتَزِمُ أَوْ مَنَهَجٍ أَفَأَعْصِي مَرَّةً ثُمَّ أَتُوبُ؟»

٢- يقول : «إِنَّ التَّفْكِيرَ فِي الأَلَاءِ شَرْطٌ لِلوُصُولِ إِلَيْهَا، لَكِنَّ التَّفْكِيرَ فِي ذَاتِ الحَقِّ إِثْمٌ

مَحْضٌ.

إِنَّ التَّفْكِيرَ فِي ذَاتِ الحَقِّ أَمْرٌ بَاطِلٌ وَهُوَ أَمْرٌ مَحَالٌ فَاعْلَمْ ذَلِكَ.

إِنَّ الأَيَاتِ ظَاهِرَةٌ وَجَلِيَّةٌ بِذَاتِهِ وَليست ذَاتُهُ جَلِيَّةٌ بِالأَيَاتِ.

فالعالم كلّ ظاهر بنوره، ولكن أنى أن يظهر هو بواسطة هذا العالم.

نگنجد نور ذات اندر مظاهر
 که سبحات جلالش هست قاهر
 رها کن عقل را با عشق می باش
 که تاب خور ندارد چشم خفّاش
 در آن موضع که نور حقّ دلیل است
 چه جای گفتگوی جبرئیل است
 فرشته گرچه دارد قرب درگاه
 نگنجد در مقام **لِي مَعَ اللَّهِ**
 چو نور او ملک را پر بسوزد
 خرد را جمله پا و سر بسوزد
 بود نور خرد در ذات انور
 بسان چشم سر در چشمه خور
 چو مُبَصَّر با بصر نزدیک گردد
 بصر از درک او تاریک گردد
 سیاهی گر بینی نور ذات است
 به تاریکی درون آب حیات است^۱

۱- يقول: «لا يمكن أن تُحدّ نور ذاته بالمظاهر، لأنّ سُبُحات جلاله هي القاهرة. اهجر العقل وذُب في العشق، فإنّ عيون الخفّاش لا طاقة لها برؤية نور الشمس. في ذلك الموضع الذي يكون نور الحقّ فيه هو الدليل لا مكان لحديث جبرئيل. فالملك لا يمكنه أن يكون في مقام «لي مع الله» وإن كان قريباً من ساحته عزّ وجلّ. ذلك أنّ نوره يُحرق جناح الملك، ويُحرق العقل بتمامه. مثلاً بصيص النور في ذاته النيرة كمثل العين الباصرة بالمقارنة مع المصّب. فلو اقترب المُبَصَّر من البَصَر، لأظلم البَصَر وعجز عن دركه. فإن تحسب نور ذاته سواداً، فهذا السواد وتلك الظلمة يحويان ماء الحياة».

سياه جز قابض نور بصر نيست
 نظر بگذار كاين جاى نظر نيست
 چه نسبت خاك را با عالم پاك
 كه ادراك است عجز از درك ادراك
 سياه روئى ز ممكن در دو عالم
 جدا هرگز نشد و الله اعلم
 سواد الوجهه فى الدارين درویش
 سواد اعظم آمد بى كم و بیش
 چه مى گویم كه هست اين نکته باریك
 شب روشن میان روز تاریك^١

١- يقول: «ليس السواد سوى قابض وخاطف لنور البصر، فافهم أنّ هذا ليس مكاناً للنظر.

أين التراب من عالم الطهارة، فإنّ الإدراك هو العجز عن درك الإدراك.
 سواد الوجهه ليس منفصلاً عن الممكن في كلا العالمين، والله اعلم.
 إنّ سواد الوجهه في الدارين درویش، وقد جاء السواد الأعظم من غير زيادة أو نقصان.
 فماذا نقول في مسألة دقيقة كهذه، فهي كالليل المضيء في نهار مُظلم». «گلشن راز» لنجم الدين محمود بن عبد الكريم الشبستري، ص ١١ إلى ١٣، بخط عماد الأردبيلي، منشورات مكتبة الأحمدي، شيراز، ١٣٣٣؛ وقد أورد آية الله العلامة الكبير الحاج الشيخ آقا بزرگ الطهراني قدس الله سره في «الذريعة» ج ١٨، ص ٢٢٦ و ٢٢٧ ما يلي: «١٣٠: «گلشن راز»:

قصيدة بالفارسيّة للشيخ العارف سعد الدين محمود الشبستري صاحب «مرآة المحققين» والذي ذُكر في «كشف الظنون» أنّ هذا الكتاب هو من كتب الشيعة، وقد ذكر له أربع شروحات. وهذه القصيدة هي جواب على سبعة عشر سؤالاً على شكل أبيات شعريّة والذي بعث بها إليه من خراسان السيّد أمير حسين الهروي: خليفة بهاء الدين زكريّا

⇐ الملتانِيّ: خليفة شهاب الدين السهرورديّ. فأما السؤال الأول:

ز اهل دانش و ارباب معنی
سؤالی دارم اندر باب معنی
يقول: «عندي سؤال لأهل العلم وأرباب المعنى في باب المعنى».
أولُ «گلشن راز»:

بنام آنکه جانرا فکرت آموخت چراغ دل به نور جان برافروخت
يقول: «باسم من علم الروح التفكير، وأنا سراج القلب بنور الروح».
وفي ذلك قوله:

نشان ناشناسی ناسپاسی است شناسائی حقّ در خود شناسی است
يقول: «إنّ الجحود علامة اللامعرفة (الجهل) ومعرفة الحقّ هي في معرفة الذات».
وفي النهاية يذكر وجه تسمية ذلك إذ يقول:

از آن گلشن گرفتم شمّه ای باز نهادم نام او را «گلشن راز»
يقول: «أخذتُ من الرياض قطعة وأسميتها «گلشن راز» (=رياض الأسرار)».
وذكر تأريخه بقوله:

گذشته هیفده از هفتصد سال ز هجرت ناگهان در ماه شوال
يقول: «في شهر شوال، سبعمائة وسع عشرة مضيّن من الهجرة».
وأخر بيت منه هو:

بنام خویش کردم ختم پایان الهی عاقبت «محمود» گردان
يقول: «ختمتُ الكتاب باسمي، فاجعل اللهمّ عاقبتنا محمودة».

وقد طُبِعَ مع شرحه في «مفاتيح الإعجاز». وله شروح أخرى كذلك تزيد على أحد عشر شرحاً؛ منها تعليقات الخواجة عبد الرحيم الخلوّتيّ. (علماء آذربايجان: ١٤٢) وقد ذكر الميرزا حسن شفيع زاده الشبستريّ تلك الشروح في كتابه الكبير الذي ألفه في ترجمة الشبستريّ.

وقد تُرجم «گلشن راز» إلى اللغة الألمانية سنة ١٢٥٤هـ (الموافق لسنة ١٨٣٨م). وكذلك تُرجم شعراً إلى اللغة التركيّة، وتُظَمّ بالفارسيّة على شكل تخميسات. وقد شرح محمّد ⇐

فلو قضى الإنسان سني حياته بالجهد والاجتهاد والتفكير والاسترشاد ، لما وصل إلى نتيجة ترضيه أو حلَّ يُغنيه ، ودليل ذلك الأخبار المروية هنا . وأما الأخبار القائلة بأن الإنسان يرى الله وتحصل لديه المعرفة به ، فيجب حملها على المعنى المجازي . أي أن معنى رؤية الإنسان لله تعالى هو أن يرى نِعَمَهُ ومخلوقاته العينية وملائكته ورضوانه ومنازل الجنة والحُور والقصور في الجنة ، ليس إلا .

في حين يعتقد البعض الآخر أن بالإمكان رؤية الله عزَّ وجلَّ ، ويؤوِّلون الروايات القائلة بعدم القدرة على رؤية الله سبحانه على أنها تريد بذلك عدم إمكانية رؤيته تعالى بالعين الإنسانية الموجودة في رأس الإنسان ، ولم تقل بعدم إمكانية ذلك بعين القلب ؛ وتريد بذلك عدم إمكانية رؤيته تعالى بالباصرة ولم تُصرِّح أن ذلك غير ممكن بالبصيرة ، وعلى هذا فتلك الأخبار مفهومة القصد .

إن الإنسان يرى الله بحقائق الإيمان ، وهذا ممَّا تدلُّ عليه الآيات القرآنية ، بل الحقُّ أنها تُصرِّح بذلك دون لبس ولا مجال للاعتقاد بكونها مجازية . ولم يتكلَّم الله بالمجاز ؟ هل أُغْلِقَتْ طرق الصراحة والحقيقة أمامه حتَّى يذكر في أكثر من عشرين مكاناً في القرآن الكريم لقاءه والتأكيد على ذلك ؟ وهل هدفه من كلِّ تلك الآيات هو التقاء أنواع مختلفة

⇐ ابن محمود الدهدار بيتاً واحداً سمَّاه «مرآة الحقائق» ، وله شروحات أخرى لأبياته منفردة .
 وجدير بالذكر أن نُسَخ الكتاب الخطيَّة متوفرة في الأسواق ؛ وأما أقدم تلك النسخ ، حسب علمي ، فتوجد عند مهدي البيناني في طهران ويرجع تأريخها إلى سنة ٧٥٤هـ ، و(أدبيات : ١٠٩د) بتاريخ النصف من رجب سنة ٨٣٠هـ ، و (دانشگاه : ١٩٣٠) ربيع الأول ٨٣٥هـ ، و(مجلس : ٩٦٦) والذي كُتِب في سنة ٨٥٨هـ .

من التفاح والكمثرى والعنب والرطب والحوور العين والغلمان جنت
تجرى من تحيتها الأنهر؟!!

إذن ، والحال هذه ، علينا أن نؤوّل الأخبار التي تؤكّد على عدم
إمكانية رؤية الله عزّ وجلّ على أنّها نتيجة لدرجات المعرفة غير التامة ،
مقارنة بإمكانية رؤيته تعالى ، بل إمكانية حدوث ذلك وتحقّقه في الخارج .
تلك المعرفة أو المعارف الجزئية التي تحدث للناس كالمعرفة الحاصلة
بالذات والحقيقة عن طريق شبح أو صورة حسب تصوّره ، فيريدون
بذلك التوصل إلى كميّة وكميّة الله عزّ وجلّ وشكله وصفاته ، حيث
يجعلون كلّ ذلك بمثابة آية لله ذي الآيّة .

إنّنا نجد أنفسنا مضطّرين لبيان مقدّمة هنا إذا شئنا الفصل بين هاتين
المجموعتين ، مستعينين بحول الله وقوّته . ومع كون هذه المقدّمة بمثابة
قانون علميّ وقاعدة حكميّة وفلسفيّة ، إلّا أنّنا سنسعى جاهدين في بيانها
بصورة مبسّطة حتّى يكون بالإمكان فهمها :

حتّى يكون بإمكان أيّ موجود الحصول على معرفة كافية وعلم
شامل عن موجود آخر ، يتوجّب وجود شيء من ذلك الموجود (الثاني) في
هذا الموجود (الأوّل) . إنّنا نرى الكثير من الموجودات في العالم من حولنا ،
منها الإنسان ، والحيوان على مختلف صورته وأشكاله وآثاره وخواصّه ،
فالبقر والغنم والإبل والطيور والبطّ ، كلّ هذه تختلف عن بعضها البعض .

وهناك الشجر والحجر والماء . وهي كلّها موجودات كثيرة مختلفة ،
والكثرة تستلزم ذلك الأختلاف والتنوع الموجود فيما بينها .

فالشجرة كيان منفصل عن الحيوان ، لأنّها تختلف وتتميّز عنه ، وإلّا
لكانَ الاثنان شيئاً واحداً . وزيد غير عمرو ، والوالد ليس بالولد . فلو كانا

متشابهين تماماً في جميع الجهات لما كانا اثنين بل كانا واحداً . وهذه المقدمة مفهومة ولا تحتاج إلى نقاش .

والآن ، وبعد أن علمنا أن في هذا العالم وهذه الدنيا كل تلك الكثرات ، كيف يمكن لشيء ما أن يتوصل إلى معرفة شيء آخر والعلم به؟! فمثلاً ، كيف يعلم الخروف بوجود بقرة ها هنا ، ويتوصل الجمل إلى العلم بأن الحصان حيوان لا عداوة له معه ؟ ويفهم الثعلب أن الأسد عدو لدود له ، ويدرك الخروف أيضاً أن الذئب عدوّه وقاتله ، وهكذا الحال مع جميع أصناف الحيوانات ؟

إنّ الإنسان يعرف الكثير من الموجودات ، فهو يعرف الشجرة والحيوان والأفراد من أنواع جنسه ، مع أنّ تلك الأشياء منفصلة عن الإنسان مختلفة عنه في كثير من النواحي ، وهو أمر بديهيّ ومعروف ، إلا أنّ الإنسان يعلم بها ويتعرّف عليها بهذه البساطة . فكيف تستنى له ذلك ؟ لقد توصل الحكماء الأفاضل إلى إنشاء قانون مفاده :

لَا يَعْرِفُ شَيْءٌ شَيْئاً إِلَّا بِمَا هُوَ فِيهِ مِنْهُ .

فحين أعلم بوجود حيوان ، كالخروف مثلاً ، فما مقدار ما أستطيع الحصول عليه من المعرفة بهذا الخروف؟! بنفس الكمّ الموجود من الخروف في ذاتي شخصياً . فما الموجود من الخروف في ذاتي ؟ هل هي الحيوانية ، أم الإحساس ؟ هل هي الحركة بالإرادة ، أم الجسميّة أم الجوهرية ؟ أم هل هي الآثار والخواص ولوازمها (كالقوة المغذية أو النامية أو الدافعة أو المؤلدة وغير ذلك) وإدراك الجزئيات ؟ ربّما كان ذلك الحس المشترك ومعرفة الصديق والعدو (بما يتناسب وحصول المنفعة واجتناب الضرر)؟ كلّ تلك الأمور هي خواصّ وعلائم مشتركة موزعة بين شخصي وبين الخروف بالسويّة ، وقد استفاد كلّ منا مشتركاً من تلك الخواصّ

والعلائم .

وعلى الرغم من ذلك ، فلا سبيل أمامي على الإطلاق للعلم بالخروف من خلال الخصائص والمميزات التي تفصلني عنه وتميّزني منه . لأنّه ، وعلى افتراض حصولي على علم بالخروف ، سواء كان ذلك العلم في «ما به الاشتراك» معه أم في «ما به الامتياز» عنه ، فعلى أساس تلك الفرضيّة ، وجب أن أكون أنا الخروف عينه والخروف هو عيني ، وهذا ما يدعى بالخلف^١ . إنّ العلم بأيّ موجود والاطّلاع عليه من قبّل موجود آخر والتعرّف عليه يتأتّى من طريق معرفة الخواصّ المشتركة فيما بين هذين الموجودين وليس من الامتيازات بينهما ، فطريق العلم والعرفان مفتوح فقط في بيان المشتركات (أو الخواصّ المشتركة) ، في حين أنّ الطريق نفسه مسدود عند البحث في المتميّزات ، وإلّا كنّا جميعاً متشابهين ، ولتشابهت كلّ الموجودات كذلك مع بعضها البعض . أي لو كان المجال (مجال العلم والمعرفة) مفتوحاً للبحث في جميع الجزئيات والكثرات ، لأصبحت كلّ الموجودات بالضرورة موجوداً واحداً . ولكان الحصان والبقر والجمل والخروف والطيور والزواحف والحيوانات البحريّة والجوامد والنباتات وقبائل الجنّ والملائكة ، موجوداً واحداً لا اختلاف يُذكر بينها ، فتزول بذلك الأسماء عن المسمّيات وتدعى كلّها باسم واحد .

والآن ، وجب أن نسأل أنفسنا نحن الذين نريد التعرّف على الله عزّ وجلّ ، من هو الله الذي نروم التعرّف عليه؟! أين الله عزّ وجلّ وأين نحن؟ فنحن مخلوقون وهو الخالق ، ونحن مرزوقون وهو الرازق ، ونحن معلومون وهو العالم ، ونحن مقدور علينا وهو القادر ، ونحن محكومون

١- أي ما يُستدلّ فيه بامتناع أحد التقيّصين على تحقّق الآخر.(م)

وهو الحاكم ، ونحن مملوكون وهو المالك ، وهكذا دواليك .
الله عزّ وجلّ هو خالقنا ، وهو الذي وهب لنا الجسد والفكر والعقل ،
ومنحنا الروح والنفس ، وتلك كلّها مجردّ مظاهر من لدن الله . والله ظاهر
في ذاته عزّ وجلّ ، وهو الذي فرض لنا الظهور ووهبنا إيّاه ، لكنّ هذا
الظهور إنّما هو ظهور مستند إلى ظهوره هو عزّ وجلّ .

ما مقدار القوّة والاستطاعة التي نملكها حتى نعرف الله بواسطتها؟!
إنّ ذلك المقدار هو مقدار وجود الله سبحانه في ذواتنا . وما هو المقدار
الموجود من ذات الله عزّ وجلّ فينا؟! ما المقدار من ظهور الله؟! ما المقدار
من علم الله؟! ما المقدار من قدرة الله؟! وأخيراً ، وليس آخرأً ، ما المقدار
من حياة الله؟!

لقد خلقنا الله عزّ وجلّ أَحْسَنَ تَقْوِيمٍ^١ وأودع فينا من جميع الأسماء
الحسنى والصفات العليا ، وجعل أنفسنا من الهیولی (أي قابليّة محضة لأیّة
فعلیّة متصوّرة في طريق التقدّم والكمال والتخلّق بأسمائه وصفاته) .
ولم يجعل لنا حدّاً ولا حدوداً من جهة الاستعداد والقدرة على التقدّم
والتكامل والارتقاء في سلّم اليقين والوصول إلى العرفان والتوحيد والفناء
في ذات الله المقدّسة والرّسوّ عند صفاته الحسنى . فكما أنّه عزّ وجلّ
غير متناهٍ ذاتاً ووجوداً وفعلیّة في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، فقد جعلنا
نحن كذلك لا متناهين قابليّة وإيجاداً واستعداداً .

وعلى هذا ، فبإمكاننا التقدّم إلى قمّة درجات صفاته وأسمائه من جهة
الإمكان والاستعداد ، وبإمكاننا أيضاً التخلّق بجميع ذلك كلّ . أمّا من حيث
الفعلیّة وتحقّق تلك القابليّة وتمركزها حول الحياة والصفات والأفعال ، فإنّ

١- مقتبس من الآية ٤ ، من السورة ٩٥ : التين : لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ .

ذلك منوط بالحركة والجهد مع النفس وسلوك الطريق الواصل إلى الله سبحانه .

فإذا ابتعدنا في مسيرنا عن جلاله ونأينا بأنفسنا عن مسلكه ، وخضنا في هوى النفس الأمارة بالسوء ، وأعتمت الطبيعة والكثرة أبصارنا ، وأغشت أدنى العوالم نواظرنا ، ولم نعر أهميّة تُذكر لنور الوجود والبساطة في الإطلاق والتجرّد ، وصار جلّ سعينا هو الإستمرار في السير في طريق الابتعاد والعزلة ، ففي هذه الحالة علينا أن نعترف أننا لم نعرف الله إلاّ النزر اليسير ، وأننا هدرنا قابليّاتنا وإمكاناتنا تحت شعار الجهل والحماقة والكسل ، لأننا ، ومع الأسف ، لم ننتفع من وجود الآصرة بيننا وبين خالقنا على الوجه الصحيح .

وأما إذا صعد البشر سلماً أفضل ، ورقى فيه درجة أعلى ، وأبصر العالم ببصيرته من زاوية أوسع ، وجهد في إصلاح نفسه مُخلصاً إيّاها من الكثرات والموجودات المختلفة والمتفرقة والمتشّته والمتبدّلة ، فيكون بذلك قد عرف الله عزّ وجلّ بنفس ذلك المقدار ، لأنّ الله العليّ الأعلى مثله كمثّل الشمس الساطعة في كبد السماء التي تُضيء العوالم كلّها ، ولو أطرقنا برؤوسنا إلى الأسفل وأرخينا عيوننا إلى الأرض ، فإننا لن نرى إلاّ نور تلك الشمس في هذا الرفق أو ذاك ، أو في هذا البستان أو ذاك . وأما إذا رفعنا رؤوسنا قليلاً إلى الأعلى وتخلّلت أبصارنا الغيوم واخترقت ركام السحاب ، فلا ريب في أننا سنرى قدراً أكبر من نور الشمس لم نكن لنراه ونحن مطرقي الرؤوس ، وسنبصر الأفق بقعة منيرة ومكاناً ساطعاً بسبب ذلك النور . ولو عرجنا من هناك إلى مرتبة أعلى فسيكون بإمكاننا مشاهدة قرص الشمس المتوهّج المُشعّ بنوره على وجه الأرض . ولو حالقنا الحظّ وقدرنا على الصعود أكثر فأكثر فإننا سنرى بعض الكريّات التي تُدعى

بالكواكب والسيارات في منظومتنا الشمسية . وإن استمرينا في العلو حتى اقتربنا من قرص الشمس فإننا سنطلع على خصوصيات أكثر لها كلما سنحت لنا الفرصة من الاقتراب نحوها أكثر .

كذلك الحال مع الإنسان ، فلأنه موجود يعكس كل الصفات الجمالية والجلالية الربانية ، وهو أيضاً يمثل الظهور التام والمظهر الأتم لله عز وجل ، فهو يمتلك قابلية المرونة والمسير معاً . لكن ، ما هي قابلية مرونته وما هو مسيره ؟ هي تجاوزه للموجودات الباعثة على التفرق والفرقة ، للهواجس النفسانية الباطلة التي تحيط بعقيدته ، للخيلات والأحلام المموّهة والأفكار المشوّهة التي تذهب به بعيداً عن عالم القرب ، فليست قابلية المرونة إلا مجموع ذلك ، ولا شيء غيرها .

يتحتم على الإنسان أن يترفع بمنزلته وينأى بها عن ما يفتاته الحيوان في زريته ، ويأنف عن الناسوت والمادة ويتنزه عن أصالة الطبيعة . عليه أن لا يعير كل ذلك اهتماماً استقلالياً أو أهميّة كبيرة ، وأن يتوجه نحو عالم الملكوت ويوجه فطرته إلى الوجهة الربانية وملكوته ، وأن يذوب وينصهر فيها ، وأن يصرخ بأعلى صوته :

وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمِ الْغَيْبِ
وَالشَّهَادَةِ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ
وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ .^١

١- هذه الفقرة من الدعاء هي من ضمن الأدعية السبعة في التكبيرات الافتتاحية في الصلاة والتي ذكرها آية الله السيد محمد كاظم اليزدي أعلى الله مقامه في كتاب «العروة الوثقى» في باب الصلاة، فصل (تكبيرة الإحرام)، وهو دعاء مأثور عن الأئمة المعصومين عليهم السلام، مقتبس من آيتين من آي القرآن الكريم، الأولى: الآية ٧٩، من السورة ٦ : «

فحينئذٍ ، وكلّما كانت وجهة القلب تزداد ميلاناً إلى هذا النحو ، سيقترب أكثر من عالم القدس الذي هو عالم الطهارة والتجرّد والنقاء والقدس ، وسيزداد اتّصافاً بالصفات الإلهية ، حتّى يوفّق بعد ذلك إلى لقاء حقيقيّ برّبّه فيصبح حقّاً وواقعاً من العارفين بالله عزّ وجلّ . وهو لن يُوفّق للقاء بخالقه وحسب ، بل وكذلك سيتخلّق بأخلاق الحقّ تعالى بكلّ وجوده من قمّة رأسه حتّى أخصّ قَدَمَيْهِ .

إنّ الذين يقولون : «لا يمكن للإنسان الوصول إلى معرفة الله سبحانه ولقائه ، وهو عاجز عن الوصول إلى ذلك المقام المنيع وتلك الذروة الرفيعة ولا حتّى إيجاد السبيل إلى ذلك ، فإنّ هذه المقولة ستصحّ مادام بقي من وجوده وكيانه شيء يذكر ، فهذا الوجود هو مخلوق ، والمخلوق هو ما امتلك حالة التعيّن ، فلا يمكنه ، والحال هذه ، إيجاد سبيل ليصل به إلى الخالق الذي يفتقد التعيّن واللامتناهي . ليس بمقدور الإنسان معرفة الله بوساطة الفكر والتفكير ولا حتّى بطريق الإدراك ، ذلك أنّ الفكر والتفكير محدودان بينما الله سبحانه لا حدّ له . فكلّما حاول الإنسان جهده الإحاطة بالله بالتفكّر والقدرة العقلية كان ذلك له محالاً ، ذلك لأنّ صورة تفكيره ، وهو ذهنه ، هي صورة تخيلية من صنعه وصنيعته هو ، فأين ذلك من الله عزّ وجلّ ؟

﴿ الأنعام، وهي قوله تعالى حكاية عن قول إبراهيم عليه السلام إذ قال لقومه: إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ . والثانية الآيتين ١٦٢ و ١٦٣ ، من نفس السورة، هي قوله تعالى خطاباً للنبيّ الأكرم يأمره أن يقول للمشركين: قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ .

لذا ، فإنّ الأخبار الدالّة على أنّ الإنسان عاجز عن معرفة الله تستند كلّها بالأساس إلى هذا المعنى . وأمّا الأخبار القائلة بإمكانية تشرف الإنسان بلقاء ربّه وحصوله على معرفة تامّة به ، فهي لا تستدلّ بإمكانية هذا الوصول وذلك اللقاء عن طريق الفكر والتفكير ، بل عن طريق الوجدان والإحساس في القلب . أيّ كأَنهم يقولون : اجتز حاجز الفكر وتخطّ حدود العقل ، ثمّ اخلع عنك النَّفْس وترقّع عن القلب كذلك ، ثمّ صلّ إلى مرحلة لا ترى فيها وجوداً لذرة من كيانك ولا تجد فيها ما كان منك فيما سبق ، وحينئذٍ ، تلاشّ !

فلا وجود هناك لفكر أو عقل أو نفس أو روح أو وجود بالمرّة . فليس هناك مجال لالتئام الفكرة أو تجسّد الشعور أو الإدراك . ليس هناك من موجود يُذكر . هناك ، حيث يوجد الله وحسب ! والله يعرف نفسه ويعلم ما فيها . في تلك اللحظة فقط يستطيع الإنسان أن يعرف الله ، تلك اللحظة التي لم يعد فيها ذلك الإنسان إنساناً ، لم يعد يدرك معنى لوجوده مقابل ذات الله عزّ وجلّ . فمتى برزت ذرّة من الوجود لم يعد لنور الله وجود في مقابل ذلك .

فهذا العالم هو عالم المقرّبين الذي تجرّد من كلّ شيء ، ولا مقام لأيّ شيء آخر بينهم ، أي أنّه لا وجود لهم . فهم لا يملكون وجوداً ، لكنهم أحياء بحياة الله ، وفي الوقت نفسه فهم موتى من حياتهم . وهم لا يملكون شيئاً يتباهون فيه أمام وجود الله . هناك يوجد الله ، والله فحسب . هؤلاء قد اجتازوا مراتب الكثرات ، وعبروا حدود التعيّنات ، وخلعوا عن أنفسهم الحُجُب وأزالوا عنها الستار ، وهم بالتالي قد جاوزوا حُجُب الظلمات وحُجُب النور .

ولقد اجتاز الرسول الأعظم كلّاً من كثرات عالم الطبع وعالم البرزخ

وعالم العقل - كلاً حسب ما يناسبه - ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد اجتاز منزلة نفس الملك - التي تمتلك التعيين والحدّ كذلك - حتى وصل إلى مقام «قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» حيث لا يوجد شيء سوى الله وحده !

... وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ (ذراعين) أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتَمْرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ * أَفَرَأَيْتُمْ آلَ لَتَّ وَالْعُزَّىٰ * وَمَنُوءَةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (التي هي نماذج مؤثثة من الملائكة السماويين وواسطة لنزول فيض الله تعالى إلى الأرض) * أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ * تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (أن يكون لله قوى انفعالية ويكون لكم قوى فعلية) * إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيئُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَىٰ (القرآن والرسالة).^١

لقد كان المراد من «شديد القوي» هو الله صاحب المقام الأقدس ، كما في قوله تعالى : إِنْ اللَّهُ هُوَ الرِّزَاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ.^٢

وأما القول بأن المراد من ذلك هو جبرائيل فمستفاد من الآية المباركة : ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ^٣ ، وعلى هذا الأساس فالمقصود

١- الآيات ٧ إلى ٢٣ ، من السورة ٥٣ : النجم . وقبلها : وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (أي هوى للغروب) * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ (أي رسولنا) وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ * ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ .

٢- الآية ٥٨ ، من السورة ٥١ : الذاريات .

٣- الآية ٢٠ ، من السورة ٨١ : التكوير .

بـ «شديدُ القوى» هو جبرائيل ، وأنّ الضمائر المذكورة في الآيات : ذُو مَرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ، كلّها تعود إليه أيضاً . وكذا الحال مع ضمير المفعول في الآية الشريفة وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةَ أُخْرَىٰ حَيْثُ يَعُودُ إِلَى الْمَلَائِكَةِ جَبْرِيئِيل .

وأما الضمير في فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ فيعود بالتأكيد إلى الله عزّ وجلّ ، والمراد بـ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ فهو رؤية فؤاد رسول الله حقيقة الوحي مشافهة ورؤية ولقاء الله سبحانه كذلك .

وأياً كان القول فإنّ ممّا لا شكّ فيه أنّ هذه الآيات تدلّ كلّها على أنّها أُوحِيَتْ من قبل البارئ عزّ وجلّ إلى رسوله الكريم ، وأنّ صيغتها بهذا الشكل إنّما هي دليل على أنّها أُوحيت بطريق المشافهة الذي يتطلّب الحضور والالتقاء حتماً .

كلّ ما في الأمر ، أنّ الألقاب والصفات الخاصّة بجبرئيل المذكورة في الحالة الأولى قد زُحِرَتْ وُوضِعَتْ جانباً في الحالة التالية ، ليأتي دور تلقين الوحي والتدليّ والدنوّ من مقام العزّة والحقّ تعالى ، ورؤية ذلك الجلال الإلهيّ ، فإنّ الدنوّ والاقتراب والرؤية في الحالة الجديدة كلّها تعود إلى الله عزّ وجلّ حيث عاين رسول الله كلّ ذلك ليلة عُرج به إلى العُلَى ، ورأى الله وزاره بقلبه وبصيرته في تلك الليلة المباركة .

ولقد وردت أبحاث مفصّلة في التفاسير المختلفة حول لقاء وزيارة ليلة المعراج .

فسماحة أستاذنا الأكرم العلامة آية الله الطباطبائيّ قدّس الله تربته المنيفة يقول : «وما أوردناه من الآيات هي الفصل الأوّل من فصول السورة الثلاثة وهي الآيات اللاتي تصدق الوحي إلى النبيّ صلّي الله عليه وآله وتصفه ، لكن هناك روايات مستفيضة عن أئمّة أهل البيت عليهم السلام

ناصة على أنّ المراد بالآيات ليس بيان صفة كلّ وحي ، بل بيان وحي المشافهة الذي أوحاه الله سبحانه إلى نبيه صلى الله عليه وآله ليلة المعراج .
 فالآيات متضمنة لقصة المعراج وظاهر الآيات لا يخلو من تأييد لهذه الروايات وهو المستفاد أيضاً من أقوال بعض الصحابة كابن عباس وأنس وسعيد الخدري وغيرهم على ما روي عنهم وعلى ذلك جرى كلام المفسرين وإن اشتدّ الخلاف بينهم في تفسير مفرداتها وجملها»^١
 وعلى هامش الآية الشريفة ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى - يقول العلامة قدّس الله روحه :

«وليس في الآية ما يدلّ على أنّ متعلّق الرؤية هو الله سبحانه وأنّه لمرئي له صلى الله عليه وآله ، بل المرئي هو الأفق الأعلى والدنو والتدلي وأنّه أوحى إليه ، فهذه هي المذكورة في الآيات السابقة وهي آيات له تعالى ، ويؤيد ذلك ما ذكره تعالى في النزلة الأخرى من قوله :

مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى .

على أنّها لو دلّت على تعلق الرؤية به تعالى لم يكن به بأس فإنّها رؤية القلب ورؤية القلب غير رؤية البصر الحسيّة التي تتعلّق بالأجسام ويستحيل تعلقها به تعالى وقد قدّمنا كلاماً في رؤية القلب في تفسير سورة الأعراف ، الآية ١٤٣»^٢.

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٩ ، ص ٢٦ .

٢- «تفسير الميزان» ج ١٩ ، ص ٢٩ .

يقول المؤلّف الفقير: ورد في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢٧ ، ص ٦٨ و ٦٩ :

«الفصل الحادي عشر، في بيان الوصول:

اعلم أنّ الوصول إلى حضرة الباري عزّ وجلّ ليس من قبيل وصول الجسم إلى الجسم ، أو وصول العرض إلى الجسم ، أو العلم إلى المعلوم ، أو العقل إلى المعقول؛ تعالى الله

وقال رحمة الله عليه في تعليقه على الآية الشريفة وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى :

«وقد قالوا: إن ضمير الفاعل المستكن في قوله رَءَاهُ للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وضمير المفعول لجبرئيل ، وعلى هذا فالنزلة نزول جبرئيل ليعرج به إلى السماوات ، وقوله :

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ظرف للرؤية لا للنزلة ، والمراد برؤيته رؤيته وهو في صورته الأصلية .

والمعنى : أنه نزل عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَزْلَةً أُخْرَى وعُرج به إلى السماوات وتراءى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عند سدرة المنتهى وهو في صورته الأصلية .

وقد ظهر ممّا تقدّم صحّة إرجاع ضمير المفعول إليه تعالى والمراد بالرؤية رؤية القلب والمراد ب: نَزْلَةً أُخْرَى نزلة النبي عند سدرة المنتهى في عروجه إلى السماوات ، فالمفاد أنه نزل نزلة أخرى أثناء معراجه عند

عن ذلك علواً كبيراً .

وكذلك ليست مسألة الوصول إلى حضرته هي بفعل العبد ، بل هي لطف دون علة وتصرف الجذبات الألوهية . ألم تَرَ إِلَىٰ مَوْسَىٰ وَقَدْ قَالَ ، وَهُوَ يَسْعَىٰ إِلَىٰ رُؤْيَا رُؤْيَا : رَبِّي أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ ، فقال: لَنْ تَرَانِي ! لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وَبِحَكْمِ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا لَأُذَكِّبَ الْبُرَاقَ وَعُجِرَ بِهِ (إلى السماء) مجتازاً قاب قوسين حتى وصل مقام أو أذنّي ، وألبس كل لباس محمدي بحكم ما كان محمداً أباً أحدي من رجالكم وبُعث رحمةً وتشرف بالخطاب القائل وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين . فكل من لم يستطع أن يحلق ببراق القدرة من حضيض البشرية إلى سدرة منتهى الروحانية فليعرج على حضرته ويقدم له الولاء والطاعة ، لأن من وصل إليه فقد وصل إلينا ؛ من يطع الرسول فقد أطاع الله» إلى آخر البيان الذي أورده في هذا الفصل .

سدرة المنتهى فرآه بقلبه كما رآه في النزلة الأولى»^١.
 وتعليقاً على الآية مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى قَالَ قَدَسَ اللَّهُ سِرَّهُ :
 «الزَّيغُ الميل عن الاستقامة ، والطغيان تجاوز الحد في العمل ، وزَيْغُ
 الْبَصَرِ إدراكه المبصر على غير ما هو عليه ، وطغيانه إدراكه ما لا حقيقة له ،
 والمراد بالبصر بصر النبي .
 والمعنى : أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لم يبصر ما أبصره على غير صفته
 الحقيقية ولا أبصر ما لا حقيقة له ، بل أبصر غير خاطئ في إبطاره .
 والمراد بالإبصار رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقلبه لا بجارحة العين ،
 فَإِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا الْإِبْصَارِ مَا يَعْنِيهِ بِقَوْلِهِ : وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى الْمَشِيرِ إِلَى
 مِمَّا تَلَهُ هَذِهِ الرَّوْيَةُ لِرُؤْيَةِ النَّزْلِ الْأُولَى الَّتِي يَشِيرُ إِلَيْهَا بِقَوْلِهِ : مَا كَذَبَ
 الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ . فافهم ولا تغفل» .
 وعلق رحمة الله عليه على الآية الشريفة لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ عَائِتِ رَبِّهِ
 الْكُبْرَى بِقَوْلِهِ :

مِنْ اللَّتَبْعِيضِ ، وَالْمَعْنَى : أَقْسَمَ لَقَدْ شَاهَدَ بَعْضَ الْآيَاتِ الْكُبْرَى لِرَبِّهِ ،
 وَبِذَلِكَ تَمَّ مَشَاهِدَةُ رَبِّهِ بِقَلْبِهِ ، فَإِنَّ مَشَاهِدَتَهُ تَعَالَى بِالْقَلْبِ إِنَّمَا هِيَ بِمَشَاهِدَةِ
 آيَاتِهِ بِمَا هِيَ آيَاتُهُ ، فَإِنَّ الْآيَةَ بِمَا هِيَ آيَةٌ لَا تَحْكِي إِلَّا ذَا الْآيَةِ وَلَا تَحْكِي
 عَنْ نَفْسِهِ شَيْئاً وَإِلَّا لَمْ تَكُنْ مِنْ تِلْكَ الْجِهَةِ آيَةً .
 وأما مشاهدة ذاته المتعالية من غير توسط آية وتخلل حجاب فمن
 المستحيل ذلك ، قال تعالى :

وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا. (الآية ١١٠ ، من السورة ٢٠ : طه) .^٢

١- «الميزان» ج ١٩ ، ص ٣١ .

٢- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٩ ، ص ٣٢ .

وقد أورد العلامة في بحثٍ روائيٍّ : وفي «تفسير القمّي» بإسناده إلى ابن سنان في حديث قال أبو عبد الله عليه السلام :

وَذَلِكَ أَنَّهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَقْرَبُ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَكَانَ بِالْمَكَانِ الَّذِي قَالَ لَهُ جِبْرِئِيلُ لَمَّا أُسْرِيَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ : تَقَدَّمَ يَا مُحَمَّدٌ ! فَقَدْ وَطَّأَتْ مَوْطِنًا لَمْ يَطَّأَهُ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ . وَلَوْلَا أَنَّ رُوحَهُ وَنَفْسَهُ كَانَ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ لَمَا قَدَرَ أَنْ يَبْلُغَهُ .

وَكَانَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : «قَابَ قَوْسَيْنِ (أَي ذِرَاعَيْنِ) أَوْ أَدْنَى» ؛ أَي : بَلْ أَدْنَى .

وفي «المجمع» وروي مرفوعاً عن أنس قال : قال رسول الله صَلَّى الله عليه وآله في قوله : فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ ، قال : قدر ذراعين أو أدنى من ذراعين .

وفي «التوحيد» بإسناده إلى محمد بن الفضيل قال : سَأَلْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلْ رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؟!

فَقَالَ : نَعَمْ ! بِقَلْبِهِ رَأَاهُ ؛ أَمَا سَمِعْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» ؟ لَمْ يَرَهُ بِالْبَصَرِ وَلَكِنْ رَأَاهُ بِالْفُؤَادِ .^١

وفي «الدرر المنتور» أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي ، عن بعض أصحاب النبي صَلَّى الله عليه [وآله] وسلّم قال :

١- روي في «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٩٨ ، في باب إبطال الرؤية ، الحديث ٨ ، عن محمد بن يحيى وغيره ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، عن ابن أبي نصر ، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام أنه قال :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَمَّا أُسْرِيَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، بَلَغَ بِي جِبْرِئِيلُ مَكَانًا لَمْ يَطَّأَهُ قَطُّ جِبْرِئِيلٌ . فَكُشِفَ لَهُ ؛ فَأَرَاهُ اللَّهَ مِنْ نُورِ عَظْمَتِهِ مَا أَحَبَّ .

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟

قَالَ: لَمْ أَرَهُ بِعَيْنِي؛ وَرَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ تَلَا: «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى».

قال العلامة قدس سره :

«أقول : وروى هذا المعنى النسائي عن أبي ذر - على ما في «الدر المنثور» - ولفظه رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّم رَبَّهُ بِقَلْبِهِ ، وَلَمْ يَرَهُ بِبَصَرِهِ .

وعن «صحيح مسلم» والترمذي وابن مردويه ، عن أبي ذر قال : سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّم : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟! فَقَالَ : نُورَانِي أَرَاهُ^١ .

أقول : «نوراني» منسوب إلى النور على خلاف القياس ، كجسماني في النسبة إلى جسم . وقرئ «نور إني أراه» بتنوين الراء وكسر الهمزة وتشديد النون ثم ياء المتكلم ، والظاهر أنه تصحيف وإن أُيد برواية أخرى عن مسلم في صحيحه ، وابن مردويه عن أبي ذر أنه سأل رسول الله صَلَّى الله عليه [وَأَلِهِ] وَسَلَّم : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟! فقال : رَأَيْتُ نُورًا!

وكيف كان فالمراد بالرؤية رؤية القلب ، فلا الرؤية رؤية حسية

١- روي في «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٩٨ ، باب إبطال الرؤية ، الحديث ٧ ، عن أحمد بن إدريس ، عن محمد بن عبد الجبار ، عن صفوان بن يحيى ، عن عاصم بن حميد ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

ذَكَرْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا يَرُوءُونَ مِنَ الرَّؤْيَةِ ؛ فَقَالَ : الشَّمْسُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْكُرْسِيِّ ، وَالْكَرْسِيُّ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْعَرْشِ ، وَالْعَرْشُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ الْحِجَابِ ، وَالْحِجَابُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نُورِ السِّتْرِ ؛ فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَمْلُؤُوا أَعْيُنَهُمْ مِنَ الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ !

ولا النور نور حسبي .

وفي «الكافي» بإسناده عن صفوان بن يحيى قال : سألتني أبو قرة المحدث أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام . فاستأذنته في ذلك ، فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام . إلى قوله : أبو قرة ، فإنه يقول : وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى .

فقال أبو الحسن عليه السلام : إِنَّ بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَدُلُّ عَلَيَّ مَا رَأَى ؛ حَيْثُ قَالَ : «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» . يَقُولُ : مَا كَذَبَ فُؤَادُ مُحَمَّدٍ مَا رَأَتْ عَيْنَاهُ .

ثُمَّ أَخْبَرَ بِمَا رَأَى فَقَالَ : « لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى » ؛
وَآيَاتُ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ .

أقول : الظاهر أن كلامه عليه السلام مسوق لإلزام أبي قرة ، حيث كان يريد إثبات رؤيته تعالى بالعين الحسيّة فألزمه بأن الرؤية إنما تعلقت بالآيات ، وآيات الله غير الله ، ولا ينافي ذلك كون رؤية الآيات بما هي آياته تمثل رؤيته تعالى وإن كانت آياته غيره ، وهذه الرؤية إنما كانت بالقلب كما مرّت عدّة من الروايات في هذا المعنى .

وجاء في «تفسير القمّي» بإسناده إلى إسماعيل الجعفي عن الإمام أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام في حديث طويل :

فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُتَهَيِّ ، تَخَلَّفَ عَنْهُ جَبْرَائِيلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَخَذُلْنِي ؟!
فَقَالَ : تَقْدَمُ أَمَامَكَ ! فَوَاللَّهِ لَقَدْ بَلَغْتَ مَبْلَغاً لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ قَبْلَكَ ! فَرَأَيْتُ مِنْ نُورِ رَبِّي ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ السُّبْحَةُ^١ .

١- سُبْحَةُ اللَّهِ : جَلَالُهُ ، ج : سُبْحِح . وَسُبْحِحَاتُ وَجْهِ اللَّهِ : أَنْوَارُهُ ، أَوْ مَا يُسَبِّحُ بِهِ مِنْ

قُلْتُ: وَمَا السُّبْحَةُ جُعِلَتْ فِدَاكَ؟! فَأَوْمَى بِوَجْهِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَأَوْمَأَ
بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ وَهُوَ يَقُولُ: جَلالُ رَبِّي! جَلالُ رَبِّي! ثَلَاثَ مَرَّاتٍ .
أقول: السُّبْحَةُ الجلال كما فسّر في الرواية، والسبحة ما يدل على
تنزّهه تعالى من خَلْقِه ومرجعه إلى المعنى الأوّل، ومحصل ذيل الرواية أنّه
صلى الله عليه وآله رأى ربّه برؤية آياته»^١.
وأما القاضي البيضاوي فقد قال في تفسير الآية الشريفة مَا كَذَبَ
الْفُؤَادُ مَا رَأَى :

«ما رأى يبصره من صورة جبرائيل عليه السلام أو الله تعالى، أي ما
كذب بصره بما حكاها له، فإنّ الأمور القدسيّة تُدرَك أولاً بالقلب ثم تنتقل
منه إلى البصر.

أو ما قال فؤاده لما رآه: لم أعرفك؛ ولو قال ذلك كان كاذباً، لأنّه
عرفه بقلبه كما رآه ببصره، أو ما رآه بقلبه، والمعنى أنّه لم يكن تخيلاً
كاذباً. ويدلّ على ذلك «أنّه عليه الصلاة والسلام سئل: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟!
فقال: رَأَيْتُهُ بِفُؤَادِي!»^٢.

وقال في تفسيره عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى: «التي ينتهي إليها أعمال
الخلائق وعلمهم، أو ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها، ولعلّها شُبّهت
بالسدره وهي «شجرة التّبَق» لأنّهم يجتمعون في ظلّها، وروي مرفوعاً أنّها
في السماء السابعة»^٣.

◀ دلائل عظمته.

١- «الميزان» ج ١٩، ص ٣٤ إلى ٣٦.

٢- «تفسير البيضاوي» ج ٢، ص ٤٧٢ و ٤٧٣، طبعة دار الطبع العامرة.

٣- «تفسير البيضاوي» ج ٢، ص ٤٧٣ و ٤٧٤.

وقال في تفسير **أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأَنْثَى** : «إنكار لقولهم الملائكة بنات الله ، وهذه الأصنام استوطنها جَنِّيَات هُنَّ بناته ، أو هياكل الملائكة وهو المفعول الثاني لقوله : **أَفَرَأَيْتُمْ**»^١ .

وقد شاهدنا في تفسير «عليّ بن إبراهيم» عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قوله : **فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنتَهَى ، تَخَلَّفَ عَنْهُ جَبْرَائِيلُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : فِي هَذَا الْمَوْضِعِ تَخَذُلْنِي ؟!**
فقال : تقدّم أمامك ! فوالله لقد بلغت مبلغاً لم يبلغه أحد من خلق الله قبلك !

وقد ورد في كثير من كتب العرفان أنّ جبرائيل قال : **لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ .**

وذكر الشيخ نجم الدين الرازيّ هذا الحديث في «مرصاد العباد» في أربعة أماكن^٢ ، وفي رسالة «عشق وعقل» (= الحبّ والعقل) في ثلاثة أماكن^٣ . وقال المعلق على هذه الرسالة : «لقد جاء ذكر هذا الحديث متواصلاً في «مرصاد العباد» و «احاديث مشنوي (= أحاديث المشنوي)» . ولم نجده في «مجمع البحرين» و «المعجم المفهرس» في حاشية موادّ : **دَنَا** و **دَنَوْتُ** و **أَنْمَلَةٌ** ، و **حَرَقَ** ^٤ . وهذا المضمون ينسب إلى جبرئيل عليه السلام وأنّه قاله للرسول صلّى الله عليه وآله ليلة المعراج . وورد ذكر هذا الكلام ومعناه في أشعار الكثير من العرفاء خاصّة ، ومن جملتهم (سعدي) في

١- «تفسير البيضاوي» ج ٢ ، ص ٤٧٣ و ٤٧٤ .

٢- «مرصاد العباد» ١٢٠ و ١٢١ ، ١٨٤ ، ٣٧٨ ، ٣٨١ ، رقم ٣٨٩ ، طبعة بنگاه ترجمه

ونشر كتاب .

٣- رسالة «عشق وعقل» ص ١١٨ ، رقم ٢٥٨ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب .

٤- وردت هذه الرواية في «بحار الأنوار»، ج ١٨ ، ص ٣٨٢ ، نقلاً عن «المناقب» .

دیوانه «بوستان» حیث یقول :

اگر ذره‌ای موی برتر پرم فروغ تجلی بسوزد پرم^۱

۱- یقول: «لو اقتربتُ قید أنملة -یا صاح- لأحرق نور الله جسمی والجناح». جاء فی «کلیات سعدی»، محمد علی فروغی، «بوستان» ص ۴ إلى ۶، فی مدح النبّی صلی الله علیه وآله الأبیات التالیة:

کریم السجایا جمیل الشیم	نبی البرایا شفیع الأمم
امام رسل پیشوای سبیل	امین خدا مهبط جبرئیل
شفیع الوری خواجه بعث و نشر	امام الهدی صدر دیوان حشر
کلیمی که چرخ فلک طور اوست	همه نورها پرتو نور اوست
شفیع مُطاع نبی کریم	قسیم جسمی نسیم و سیم
یتیمی که ناکرده قرآن درست	کتبخانه چند ملت بشست
چو عزمش برآهیخت شمشیر بیم	به معجز میان قمر زد دو نیم
چو صیتش در افواه دنیا فتاد	تزلزل در ایوان کسری فتاد
به لا قامت لات بشکست خُرد	به اعزاز دین آب عزی ببرد
نه از لات و عزی برآورد گرد	که تورات و انجیل منسوخ کرد
شی بر نشست از فلک برگذشت	به تمکین و جاه از ملک درگذشت
چنان گرم در تیه قربت براند	که بر سدره جبریل ازو باز ماند
بدو گفت سالار بیت الحرام	که ای حامل وحی برتر خرام
چو در دوستی مخلصم یافتی	عنانم ز صحبت چرا تافتی؟
بگفتا فراتر مجالم نماند	بماندم که نیروی بالم نماند
اگر یک سر موی برتر پرم	فروغ تجلی بسوزد پرم

یقول: «کریم السجایا جمیل الشیم، نبی البرایا شفیع الأمم.

امام الرسل وسید السبیل، امین الله ومهبط جبرئیل.

شفیع الوری والبعث والنشر، امام الهدی صدر دیوان الحشر.

کلیم تدور حوله الأفلاك، کلّ النور منك تبارك علاک.

⇐ شفيع مطاع ، نبی کریم ، قسیم جسیم ، نسیم وسیم .
 یتیم (أمی) لم یؤلف القرآن (من تلقاء نفسه) ، فاقت علومه کل ما فی مکتبات العالم .
 فلما عزم شق القمر نصفین بسیفه .
 ولما ذاع صیته فی الدنیا انشق من ذلك ایوان کسری .
 وكسرت اللات قطعاً صغيرة وعز دینه وذهب ماء وجه العزی .
 فلم یبق من اللات والعزی أثراً وقد نسخ من قبل التوراة والإنجیل .
 فأمسك بالجاه والمُلک بین لیلۃ وضُحاهَا .
 وقد عرجَ فی فضاء القرب بمضاء فوصل إلى السدرة التي مُنِعَ عنها جبرئیل .
 فقال له حامی البیت الحرام : یا حامل الوحي ، قد كنتُ مخلصاً فی صداقتي معك فلمَ
 تركتَ العنان وأبیت صُحبتی ؟
 قال : لا أستطیع الدنو أكثر من هذا لأن جناحي لا یقوی علی التحلیق لأبعد من ذلك .
 فلو اقتربتُ قید أنملة لأحرق نور تجلیه تعالی جناحي .
 إلى أن قال :

خدايا به حقّ بنی فاطمه	که بر قولم ایمان کنم خاتمه
اگر دعوتم ردّ کنی ور قبول	من و دست و دامان آل رسول
چه کم گردد ای صدر فرخنده پی	ز قدر رفیعت بدرگاه حی
که باشند مشتی گدایان خیل	به مهمان دارالسلامت طفیل
خدایت ثنا گفتم و تبجیل کرد	زمین بوس قدر تو جبریل کرد
بلند آسمان پیش قدرت خجل	تو مخلوق و آدم هنوز آب و گل
تو اصل وجود آمدی از نخست	دگر هر چه موجود شد فرع تست
ندانم کدامین سخن گویمت	که والاتری ز آنچه من گویمت
ترا عزّ لؤلؤا کمین بس است	ثنای تو طه و یس بس است
چه و صفت کند سعدی ناتمام	علیک السلام ای نبی السلام

⇐ یقول : «إلهی بحقّ بنی فاطمة اجعل ایمانی بهم هو الخاتمة .

وقال الشيخ نجم الدين الرازي : « كان جبرئيل وميكائيل بازين صيادين في مُتصَيِّد ملكوت الله عزّ وجلّ يصطادان طيور التقديس والتنزيه وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ . فلَمَّا استَحَالَت التوبة إلى صفات الجمال وطمحا ببصرهما إلى مواطن الصمديّة والجلال استحالا مقصوصي الجناح وتركا الصيد في تلك البقاع البراح ، فقالا : لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَفْتُ .

مرغ كانجا پريد پر بنهاد ديو كانجا رسيد سر بنهاد^١
 وقيل لهم : لقد اصطدنا صيادا في مُتصَيِّد الأزل بشباك « يُجِبُّهُمْ »
 وسنأتي به إلى هذا المُتصَيِّد : إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ، حتى يُريكم كيف يَتصَيِّد . شعر :

در بحر عميق غوطه خواهم خوردن

يا غرقه شدن يا گهري آوردن^٢

﴿ فسواء قَبِلْتَ دعوتي أم رفضتها فَإِنِّي ممسك بجلايب الرسول وآل بيته .

لن يقلل من عظمة منزلتك ومكانتك الرفيعة عند الحيّ تعالى .

إذا دَعَوْتُ جمع الفقراء إلى ضيافة دار السلامة .

لقد أثنى عليك ربك وبجلتك وقبل جبريل تراب مقدمك .

لقد طأطأت السماوات العلى لقدرك ومنزلتك وقد خُلِقْتَ ولَمَّا يزل آدم طيناً وماءً .

أنت أصل الوجود كنت الأول ، وما وُجِدَ بعدك كان فرعاً منك .

لا أعرف بأيّ كلام أحاطبك ، فَإِنَّكَ أرفع شأناً من كلّ ما أقول .

يكفيك (عزّ لولاك) من عزّ ورفعة . يكفيك ثناءً (طه) و(يس) .

فمهما وصفك سعدي لن يكون كافياً عليك السلام يا نبيّ السلام .» .

١- يقول : «لَمَّا طار الطائر إلى هناك طوى جناحيه ، وحيث وصل العفريت هناك

أحنى رأسه» .

٢- يقول : «سأغوص في البحر العميق ، فإمّا أن أغرق أو أفوز بجوهرة» .

كار تو مخاطره ست خواهم كردن

يا سرخ كنم روى ز تو يا گردن^١

فقالوا بأجمعهم : لا جَرَمَ إذا سبقنا هذا الصياد ، في ميدان السباق بصولجان المعنى ، وعمل ما لا نستطيع نحن عمله ، وصاد ما لم نتمكن جميعاً اصطياده ، فإننا سنقوم مقامَ خَدَمِهِ ، وسنسرُّ للسجود بقلوبنا وأرواحنا أمامه ...»^٢ - إلى آخر عباراته اللطيفة من ذلك المقال .

نعم ، فهذا كله يشير بالبنان إلى المقام الأوحد والمنزلة الجامعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَصْحَابِهِ الْحَقِيقِيِّينَ ، حيث لم يتمكن جبرئيل من أن ينال ذلك المقام أو أن يحرز تلك المنزلة ويظفر بمراده ، فأخذ يقول : لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ . وقد روي عن نبيِّ الله أَنَّهُ قَالَ :

لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ^٣ .

١- يقول : «إِنَّ ما أفعله إزاءك هو مخاطرة ، فإما أن يحمرَّ وجهي (سروراً) أو تحمرَّ رقبتي (بالقتل)» .

٢- «مرصاد العباد» ص ٣٨١ و ٣٨٢ .

٣- وتدلُّ الفقرات التالية من زيارة الجامعة الكبيرة على هذا المقام :

فَبَلَغَ اللَّهُ بِكُمْ أَشْرَفَ مَحَلِّ الْمُكْرَمِينَ وَأَعْلَى مَنَازِلِ الْمُقَرَّبِينَ وَأَرْفَعَ دَرَجَاتِ الْمُرْسَلِينَ ، حَيْثُ لَا يَلْحَقُهُ لَاحِقٌ وَلَا يَفُوقُهُ فَائِقٌ وَلَا يَسْبِقُهُ سَابِقٌ وَلَا يَطْمَعُ فِي إِدْرَاكِهِ طَامِعٌ ، حَتَّى لَا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَلَا صِدِّيقٌ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا عَالِمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا دَنِيٌّ وَلَا فَاضِلٌ وَلَا مُؤْمِنٌ صَالِحٌ وَلَا فَاجِرٌ طَالِحٌ وَلَا جَبَّارٌ عَنِيدٌ وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ وَلَا خَلْقٌ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ شَهِيدٌ إِلَّا عَرَفَهُمْ جَلَالَةَ أَمْرِكُمْ وَعِظَمَ خَطَرِكُمْ وَكِبَرَ شَأْنِكُمْ وَتَمَامَ نُورِكُمْ وَصِدْقَ مَقَاعِدِكُمْ وَثَبَاتَ مَقَامِكُمْ وَشَرَفَ مَحَلِّكُمْ وَمَنْزِلَتِكُمْ عِنْدَهُ وَكِرَامَتِكُمْ عَلَيْهِ وَخَاصَّتِكُمْ لَدَيْهِ وَقُرْبَ مَنْزِلَتِكُمْ مِنْهُ .

تعتبر هذه الزيارة من الزيارات المهمة ، التي وردت في «مفتاح الجنان» ص ٥٤٤ إلى ٥٥٠ ، الطبعة الإسلامية ، ١٣٧٩ هجرية ، وقد رويت عن الشيخ الصدوق في «الفقيه»

«و«العيون» عن موسى بن عبد الله النخعي .

جاء ذكر معراج الرسول الأكرم صَلَّى الله عليه وآله وعدم استطاعة الملائكة التقدّم معه ومرافقته إلى العُلَى وذلك في مواضع عدّة من كتاب «كَلِيَّاتِ دِيوانِ حَكِيمِ نِظاميِ كَنجوي» طبعة أمير كبير، من جملة ذلك ما ذُكِرَ في «مخزن الأسرار» الذي يبدأ بالبیت التالي :

بسم الله الرحمن الرحيم
هست كليلد در گنج حکيم
يقول : «بسم الله الرحمن الرحيم ؛ ذلك مفتاح كنز الحكيم» .

ويقول في ص ١٨ :

همسفرانش سپر انداختند
او به تحيّر چو غريبان راه
بال شكستند و پر انداختند
پرده نشينان كه درش داشتند
حلقه زنان بر در آن بارگاه
رفت بدان راه كه همره نبود
هودج او يك تنه بگذاشتند
هركه جز او بر در آن راز ماند
اين قدمش زآن قدم آگه نبود
او هم از آميزش خود باز ماند

يقول : «توقّف مرافقوه عن مرافقته وكسرت أجنحتهم وأصبح ريشهم منفوشاً .

فارتسمت عليه حيرة الغرباء وأحاطت به من كلّ جانب .

فحطّوا هودجه وتركوه وحيداً .

فتابع الطريق دون صاحب أو رفيق، يُقدّم قدماً ويؤخّر أخرى .

وتحيّر كلّ من سواه في هذا السرّ وحيل بينه وبينهم» .

وجاء «في خسرو و شيرين» ص ٤١٠ :

چو بيرون رفت از آن ميدان خضرا
بدان پزندگی طاووس اخضر
ركاب افشانند از صحرا به صحرا
فكند از سرعتش هم بال و هم پر
چو جبريل از ركابش باز پس گشت
سرافيل آمد و بر پر نشانده
عنان بر زد ز ميكائيل بگذشت
به هودج خانه رفرر رسانده
وز آنجا بر سر سدره قدم زد
ز رفرر بر رف طوبى علم زد
جريده بر جريده نقش مى خواند
بيايان در بيايان رخس ميراند

چو بنوشت آسمان را فرش بر فرش به استقبالش آمد تارک عرش
 فرس بیرون جهانند از کل کونین علم زد بر سریر قاب قوسین
 قدم برقع ز روی خویش برداشت حجاب کائنات از پیش برداشت
 جهت را جعد بر جبهت شکستند مکان را نیز برقع باز بستند
 محمّد در مکان بی مکانی پدید آمد نشان بی نشانی
 کلام سرمدی بی نقل بشنید خداوند جهان را بی جهت دید

يقول: «فخرج من ذلك المكان قاطعاً الصحارى.

حتى تناثر جناح الطاووس الأخضر وریشه من سرعة انطلاقه.
 ولما تخلف جبريل عن مرافقته واصل هو مسيره تاركاً وراءه حتى ميكائيل.
 ثم اجلسه إسرافيل على بساط من ريش وأوصله إلى هودج الديباج.
 فارتقى من الهودج إلى مشارف طوبى ومن هناك خطا نحو السدره.
 وطلع كل صُحف (أسرار الخليفة) بعد أن طوى البراري بجواده الخيفق السريع.
 وزينت السماء بالقرش والسجاد ولاحت له كُنف البيت.
 قد انطلق بفرسه قاطعاً الكونين وأناخ برحله عند قاب قوسين.
 رفع عن محياه البرقع وأزال حجاب الكائنات من أمامه.
 أزيلت من أمامه كل الموانع وأسدل الستار خلفه.
 فدخل محمّد صلى الله عليه وآله إلى مكان ليس كأى مكان ومحلّ ليس له عنوان.
 وسمع كلاماً سرمدياً ورأى رب العالمين دون واسطة».
 ويقول في كتاب «ليلي ومجنون» ص ۴۳۴:

بر طره هفت بام عالم نه طاس گذاشتی نه پرچم
 هم پرچم چرخ را گستی هم طاسک ماه را شکستی
 طاووس پران چرخ اخضر هم بال فکنده با تو هم پر
 جبریل ز همرهیت مانده الله معک ز دور خوانده
 میکائیل نشانده بر سر آورده به خواجه تاج دیگر

اسرافيلت فتاده در پای
 رفرف که شده رفیق راحت
 چون از سر سدره بر گذشتی
 رفتی ز بساط هفت فرشی
 سبوح زنان عرش پایه
 از حجله عرش بر پریدی
 تنها شدی از گرانی رخت
 بازار جهت به هم شکستی
 خرگاه برون زدی ز کونین
 هم حضرت ذو الجلال دیدی
 از غایت وهم وغور ادراک
 در خواستی آنچه بود کامت

هم نیم رهت بمانده بر جای
 برده به سریر سدره گاهت
 اوراق حدوث در نوشتی
 تا طارم تنگبار عرشی
 از نور تو عرش کرده سایه
 هفتاد حجاب را دریدی
 هم تاج گذاشتی وهم تخت
 از زحمت تحت و فوق رستی
 در خیمه خاص قاب قوسین
 هم سر کلام حق شنیدی
 هم دیدن و هم شنودن پاک
 در خواسته خاص شد به نامت

يقول: «لم تترك عزاً ولا بيرقاً في العوالم السبعة.

لقد أزلت علم الفلك وشققت قرص القمر.

وتناثر ريش وأجنحة طواويس الأفلاك.

وتخلف جبريل عن مرافقته مودعاً إياه على البعد قائلاً: الله معك.

فأجلسه ميكائيل على رأسه وألبسه تاجاً آخر.

وتوقف إسرافيل كذلك ولم يستطع من مرافقته.

فكان الديقاج رفيقه في رحلته والذي أوصل إلى سدرة المنتهى.

ولما اجتزت سدرة المنتهى كتبت الأقدار على الأوراق.

واجتزت البساط السباعي الفُرش حتى وصلت مشارف العرش.

فسبّح المسبّحون عند قوائم العرش وقد أصبح للعرش ظلاً من نورك.

وطرت من عند العرش مجتازاً سبعين حجاً.

وكنت الوحيد الذي لا يضاهاى لما لبست من حُلّ وتوجت ووضعت على العرش .

⇐ وشدت كل شيء وارتحت من العناء والكلل .
 وخيمت خارج الكونين في خيمة قاب قوسين .
 ورأيت ذات ذي الجلال وسمعت سر كلام الحق .
 وتظهر بصرك وسمعتك من كل وهم أو إدراك .
 ونلت كل ما اشتهيت، فحُتِمَ باسمك ما قد تمنيت» .
 وجاء في ديوان «هفت بيكر» ص ۶۰۶ و ۶۰۷ . يقول فيه :

هم رفیقش ز ترکتاز افتاد	هم براقش ز پویه باز افتاد
منزل آنجا رساند کز دوری	دید در جبرئیل دستوری
سر برون زد ز مهد میکائیل	به رصدگاه صور اسرافیل
گشت از آن تخت نیز رخت گرای	رفرف و سدره هر دو مانده به جای
همرهان را به نیمه ره بگذاشت	راه دریای بیخودی (بیرهی) برداشت
قطره بر قطره ز آن محیط گذشت	قطر بر قطر هر چه بود نوشت
چون در آمد به ساق عرش فراز	نردبان ساخت از کمند نیاز
سر برون زد ز عرش نورانی	در خطرگاه سر سبجانی
حیرتش چون خطر پذیری کرد	رحمت آمد لگام گیری کرد
قاب قوسین او در آن اثنا	از دنیا رفت سوی او ادنی
چون حجاب هزار نور درید	دیده در نور بی حجاب رسید
گامی از بود خود فراتر شد	تا خدا دیدنش میسر شد
دید معبود خویش را به درست	دیده از هر چه دیده (غیر) بشست

يقول : «ولقد عجز صاحبه عن اللحاق به وكبأ بُراقه أيضاً .

ووصل إلى منزل تخلف عنه فيه جبريل .

ثم أوصله ميكائيل إلى مقر اسرافيل .

وألْبَسَ كَذَلِكَ حُلَّةً مِنْ ذَلِكَ الْعَرْشِ وَبَقِيَ الْهُودَجُ وَالسُّدْرَةُ عَلَى حَالِهِمَا .

⇐ وترك أصحابه في منتصف الطريق، وراح يقطع الطريق بدون دليل .

وفي هذا المقام يقول الشيخ نجم الدين أيضاً :

«... وأما آدم ، فهو بيضة عنقاء جبل العِزّة . وتلك العنقاء هي لي خليفة ولكم سلطان ، فأسجدوا لِأَدَمَ عند قدميّهِ ولا تقولوا [أَتَجَعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا] ناظرين بعين الحقارة إليه ، «إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» فيه . فاغتنموا الفرصة مادام في البيضة واسجدوا له ، فإنه لو خرج من البيضة فسيكون تحليقه إلى حيث عالم لي مع الله وَوَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ [وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ] ، فلن تبقى لكم إلا الحسرة ، وستأخذكم العبرة والحيرة وتكثرون من قول لَوْ دَنَوْتُ أَنْمَلَةً لَأَحْتَرَقْتُ ، ويكون كلامكم في كل وقت :

آن مرغک من که بود زرین بالش

آیا که کجا پرید و چون شد حالش

از دست زمانه خاک بر سر باشم

پرواز چرا نکردم از دنبالش (خل)^١

⇐ قاطعاً المحيطات مدوّناً ماكان في كل إقليم وناحية .

صانعاً له من جبل الدعاء سلماً إليه (العرش) .

وظهر من نواحي العرش النوراني في حرم السرّ السبحاني .

فلما بدت عليه الحيرة تداركته الرحمة وأمسكت بلجام براقه .

فتحوّل حاله عند قاب قوسين ، من منزلة (دنا) إلى منزلة (أو أدنى) .

فلما زال حجاب الألف نور أصبح ودخل مرحلة النور بدون حجاب .

ارتقى منزلة راقية تيسر له فيها رؤية الله .

فرأى معبوده عياناً ، بحيث لم ترى عينه غيره» .

١- يقول : «أين طائر السعد الذي خلّى وطار ، أين ذاك الطائر إلى م صار ؟

⇐

ياويلتاه سأظلّ العمر كلّه نادماً لعدم لحاقي به» .

⇐ رسالة «عشق و عقل» ص ٨٤؛ ويقول المعلق على الرسالة في ص ١١٩ ما قوله: «حديث معروف يعتمده الصوفية ويستندون إليه».

وقال مؤلف «اللؤلؤ المرصوع» في ص ٦٦، في ذيل هذا الحديث: «يَذْكُرُهُ الصُّوفِيَّةُ كَثِيرًا وَلَمْ أَرْ مَنْ نَبَّهَ عَلَيْهِ، وَمَعْنَاهُ صَحِيحٌ وَفِيهِ إِيْمَاءٌ إِلَى مَقَامِ الاسْتِغْرَاقِ بِاللِّقَاءِ الْمُعَبَّرِ عَنْهُ بِالْمَحْوِ وَالْفَنَاءِ».

ويشير مولانا إلى مضمون هذا الحديث بقوله:

لايسع فيه نبئى مجتبي
لى مع الله وقت بود آن دم مرا
لايسع فينا نبئى مرسل
و الملك و الروح أيضا فاعقلوا
يقول: «كان لي مع الله وقت لم يكن لنبي مجتبي ما كان لي فيه». (نقلًا عن «أحاديث
مثنوي» ص ٣٩، تدوين بديع الزمان فروزانفر).

وقال الشيخ نجم الدين كذلك في كتاب «مرصاد العباد» ص ١٣٤ و ١٣٥: «...وإذا التقيت بالحق تعالى فستكون ظلًا له، وإن أولئك الحائرين التائهين الذين أرادوا الهروب من الحق هم في الحقيقة لا مهرب لهم من دولته وسطوته، من يطع الرسول فقد أطاع الله* . ومتى ظلمت نفسك فاهرب منها وادخل ظل الحق تعالى، لي مع الله وقت لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. شعر:

چون سایه دویدم ز پیش روزی چند
وز سایه او به سایه او خرسند
امروز چو آفتاب معلوم شد
کو سایه بر این کار نخواهد افکند
يقول: «قبل أيام هربت كالظل، فخرجت من ظلّه ودخلت ظلّه راضياً.

فلما تبينت الشمس لي اليوم علمت أنها لن تظل هذا الشيء».
ومع أن الخواجة كان شمس العالمين إلا أنه نشأ في ظل أبيت عند ربي. كان يتناول لقمته من مائدة يطعمني، ويرتشف شرابه من كأس يسقيني. [يقول جمال الدين
عبدالرزاق:]

خواب تو ولا یسنام قلبی
خوان تو ابيت عند ربي
بگذشته ز حد قاب قوسین
ای کرده به زیر پای، کونین

و خلاصة الكلام في هذا المقام أنه : ما لم تَزُلْ كُلَّ ذَرَّةٍ مِنَ الْإِنْسَانِ مِنَ الْإِنْسَانِ ، فلن يُسَمَّحَ له بالعروج إلى مَنْسِكَ العدم والفناء المطلقين المتزامنين مع الوجود المطلق . فذلك مقام خاص بذات الله عز وجل ووجوده . والله سبحانه غيور ، ومن شروط الغيرة نهر كل من استقرت في قراره ذرة من بقايا شخصيته وأنانيته .

تا بود يك ذره باقى از وجود

كى شود صاف از كدر ، جام شهود^١

فالمسألة جَدُّ مُحَيَّرَةٌ ، إذ يتحتّم هجر كل ما سوى الله تعالى للوصول

خاك قدم تو اهل عالم زير عَلم تو نسل آدم
طاووس ملئكه بريدت سرخيل مقربان مريدت
چون نيست بضاعتى ز طاعت از ما گنه و ز تو شفاعت
يقول : «مائدتك هي أبيتُ عند ربِّي ، ونومك هو ولا ينام قلبي .

يامن داس بقدميه الكوين واجتاز حدود قاب قوسين .

إنّ العالمين جميعاً هم تراب قدمك، وكلّ بني آدم منضوين تحت لوائك .

يا من كان طاووس الملائكة بريده، وكانت خيول المقربين أتباعك وأولياك .

ولمّا كانت كلّ طاعاتنا ليست إلّا بضاعة مُرْجاة، فإن بدر منّا ذنب أو خطيئة فلارجاء لنا

غير شفاعتك».

ويقول في ص ٤٨١ : «وأما العلم الباطن فهو معرفة تلك المعاني التي كان تُزْرَقُ بها روح الخواجة عليه الصلاة (والسلام) دون وساطة جبرئيل من غيب الغيب ، في مقام أو أدنى ، في حالة لي مع الله وقت ؛ حيث فَأَوْحَىٰ إِلَيَّ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * . وكانت تُراق على سنّة الكرام من فيوضات كؤوس ولاية النبوة، وعلى القلوب الحرقى لعالم الطلب».

* صدر الآية ٨٠ ، من السورة ٤ : النساء .

** الآية ١٠ ، من السورة ٥٣ : النجم .

١- يقول : «لن يصفو كأس الشهود لأحد ، مادام هناك فيه ذرة من الوجود».

إليه ، فكلّ ما سوى الله حجاب وسراب ، ومادام ذلك الحجاب باقياً ، فلا سبيل إلى الحصول على المعرفة التامة . وما اكتسب من المعرفة إن هي إلا معرفة جزئية وناقصة . إنّ المعرفة الحاصلة من مشاهدة خلق الله تعالى من جبال وأحجار ، وصحارٍ وقفار ، والتعرّف على حيوانات البرّ والبحار ، وما إلى ذلك ، إنّما هي معارف جزئية وليست كليّة ، والمهمّ في هذه المسألة هو المعرفة الكليّة ، ولا سبيل للوصول إليها إلاّ باجتياز سبيل خطير وعظيم ! إنّ العالم في الرياضيات الذي يكتشف بواسطة قوانينه الرياضية أنّ القرآن معجزة ، وذلك بسبب الأسلوب القويم لآياته ، والسياق المتوازن لسوره ، ويتوصّل إلى أنّ الآيات الخاصّة بالجهاد هي بالشكل الفلانيّ ، والآيات الخاصّة بالصلاة والصوم بالشكل العلانيّ ، ثمّ يتوصّل طبقاً لحساباته الحاسوبية (الكومبيوترية) إلى إثبات أنّ هكذا جُمَل وهكذا ألفاظ لا يمكن للبشر أن يصوغ مثيلاتها ، أو حتّى صَبَّها في قالبٍ يشبه إلى حدّ ما تلك الآيات الشريفة ، وأنّه بدون تدخل لقوّة غيبية أو أمرٍ من ما وراء الطبيعة سيكون ذلك مستحيلاً ، ولن يكون بإمكان أحد على الإطلاق إيجاد مثل تلك الظاهرة العجيبة . فإنّ هذا ، في الواقع ، هو نوعٌ من أنواع المعرفة بالقرآن الكريم ، ومع هذا فإنّ البُعدَ بين هذه المعرفة ، وبين المعرفة الحقيقية للقرآن كبُعد الثريا عن الأرض ! وبينهما ألفا حجاب ! فأين هذه المعرفة وأين الدخول في أعماق وحقائق القرآن وبواطنه ومعرفة تفسيره وتأويله وطريقة تطبيق آياته على مصاديقه ؟

أَوْلَيْكَ يُنَادُونَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ^١

فهذه المعرفة لا يمكن لها أن تكون معرفة مقنعة ؛ انظروا إلى كلّ آية

١- ذيل الآية ٤٤ ، من السورة ٤١ : فصلت .

من آيات هذا الكتاب السماويّ وستجدون كلّ واحدة من تلك الآيات مرآة تعكس وجه الله عزّ وجلّ ، إلا أنّ الفرق بين رؤية مَنْ كانت عيونهم مفتوحة ومَنْ كانت على أبصارهم غشاوة جدُّ شاسع وبعيد . فهذا الأمر يستدعي التحقق من صحّة الباصرة وفحصها بدقة .

فلو كانت عينا أحدهم عمياء ، فليس معنى ذلك أنّ سُبُل كلّ العلوم مغلقة في وجهه ، بل معناه أنّ بإمكانه أن يحصل على كثير من العلوم عن طريق سائر حواسّه الأخرى كحاسة السمع وحاسة الشمّ وحاسة اللمس وحاسة الذوق ؛ لكنّ الفرق بينه وبين مَنْ كانت حاسة بصره سليمة من أيّة عاهة وتتمتع ببصر وبصيرة سالمين كالفرق بين السماء والأرض .

فلا يتمّ اجتماع الله مع سواه مادامت هناك في ذهن الإنسان أمانيّ باطلة ، ونوايا تشطُّط ، وأهداف نفسانيّة شيطانيّة ، وأغراض ماديّة من حبّ المال والبنين والجاه والمقام وغير ذلك .

أنشد قيس بن الملوّح العامريّ أبياتاً من الشّعريّ في حبّ ابنة عمّه ومعشوقته ليلى العامريّة ، تحتوي على أروع ما أنشد من الشّعريّ في مقام الحكمة والدقائق العقلانيّة وتُعتبَر بحقّ كتاباً للعرفان والأسرار والرموز الشهوديّة ، مُبيناً سبيل الوصول إلى المحبوب . وحتى لو كانت تلك الآيات في ظاهرها تحكي قصّة حبّ عُذريّ مجازيّ ، إلا أنّها تحوي الكثير من الأمور الراقية المفاهيم والعالية المعنى بوجه عامّ ، تصدّق مبانيها على كلّ عاشقٍ حقيقيّ وصادق في حبه . وتتضمّن مفهوماً يتعلّق بحبّ الله عزّ وجلّ ، وتكشف بطريقة مذهشة أسرار السلوك إلى الله والوصول إليه والفناء في ذاته المقدّسة ، وتُميط الستار عن أعظم حجاب معنويّ ، وتصف أسلم الطرق وأمنّها للوصول إلى المقام الأقدس لذات الله سبحانه .

يقول قيس بن الملوّح والمعروف عند العامة بمجنون ليلى :

تَمَيَّنْتُ مِنْ لَيْلَى عَلَى الْبُعْدِ نَظْرَةً
 لِيُطْفِي جَوَى بَيْنَ الْحَشَا وَالْأَضَالِغِ
 فَقَالَتْ نِسَاءَ الْحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى
 بِعَيْنَيْكَ لَيْلَى مُتَّ بِدَاءِ الْمَطَامِغِ
 وَكَيْفَ تَرَى لَيْلَى بِعَيْنٍ تَرَى بِهَا
 سِوَاهَا وَمَا طَهَّرَتْهَا بِالْمَدَامِغِ
 وَتَلْتَدُّ مِنْهَا بِالْحَدِيثِ وَقَدْ جَرَى

حَدِيثُ سِوَاهَا فِي خُرُوقِ الْمَسَامِغِ^١

وليس بإمكان من صحب غير الله وخاطب أعداءه واحتوى على مقاصد غير الهيّة، ونوايا غير سبحانيّة، وآمالٍ دنيويّة، أن يلقى الله تعالى ويتشرف برؤيته. وبحكم امتناع اجتماع الضدّين أو النقيضين، فلا سبيل لدخوله ذلك الميدان ما لم تزلّ النقائص وتمح تلك الأعراض.

منظر دل نيست جاي صحبت اغيار

ديو چو بيرون رود فرشته در آيد^٢

١- «ديوان قيس بن الملوّح العامريّ» المشهور بمجنون ليلي العامريّة، ص ١٠٩، طبعة بومبي؛ وقد روى آية الله الملاً أحمد النراقي أعلى الله درجته وهو (خالي لأمي)، هذه الأبيات الأربعة في كتاب «الخزائن» ص ١٣٠، إلّا أنّه ذكر البيتين الأولين كالتالي:

وَإِذْ رُمْتُ مِنْ لَيْلَى عَنِ الْبُعْدِ نَظْرَةً
 لَأُطْفِي بِهَا نَارَ الْحَشَا وَالْأَضَالِغِ
 تَقُولُ نِسَاءَ الْحَيِّ تَطْمَعُ أَنْ تَرَى
 مَحَاسِنَ لَيْلَى مُتَّ بِدَاءِ الْمَطَامِغِ

وذكر الأبيات كذلك الشيخ بهاء الدين العامليّ في «الكشكول» ص ٦١٠، العمود الأيمن، الطبعة الحجرية، وفي طبعة مصر بتحقيق طاهر أحمد الزاوي، دار إحياء الكتب العربيّة: ج ٢، ص ٢٣٠، وقال: «يُنسَبُ إِلَى الْمَجْنُونِ».

٢- جاء في «ديوان حافظ» ص ٨٤، الغزليّة رقم ١٨٧، طبعة پژمان، مطبعة

⇐ بروخيم، سنة ١٣١٨، ما يلي:

بر سر آنم که گر زدست برآید دست بکاری زخم که غصه سر آید
 منظر دل نیست جای صحبت اضداد* دیو چو بیرون رود فرشته در آید
 صحبت حکام، ظلمت شب یلداست نور ز خورشید خواه بو که بر آید
 بر در ارباب بی مروّت دنیا چند نشینی که خواجه کی بدر آید
 ترک گدائی مکن که گنج بیابی از نظر رهروی که بر گذر آید
 صالح و طالح متاع خویش نمودند تا که قبول افتد و چه در نظر آید
 بلبل عاشق تو عمر خواه که آخر باغ شود سبز و سرخ گل به بر آید**
 غفلت حافظ درین سراچه عجب نیست هر که به میخانه رفت بی خبر آید

يقول: «إني عازم على بذل كل ما في وسعي لأضع حداً للأحزان.

بيت القلب ليس مكاناً لأجتمع الغرباء والأضداد، فإذا طردت الشيطان من قلبك (وهو رمز الأوهام الساذجة والشهوات الباطلة) فستدخل ملائكة السكون والخير إليه لتنيره بنور الحق.

إن صحبة حکام الجور هي بحلکة ليلة یلدا (وهي أول وأطول ليلة من ليالي الشتاء) وبرودتها، فالتمس شمس الحقيقة حتى تشرق هذه الشمس على كل العالم.
 إلى متى تظلّ ملازماً عتبة باب بيت اللثام، في حين أنك تهجر بيت الله وهو القادر على أن يحسن إليك ويؤمن عليك.

لا تنس التوجه إلى أصحاب الضمائر الحية، عسى أن تحظى بكنز السعادة بمعونة أحد العرفاء.

الصالح والطالح كلاهما يقدمان على البارئ عزّ وجلّ بما عندهما من عمل وسنرى لأي منهما يمنح الله تعالى رضاه ويشمله برعايته.

اطلب العمر من بلبلک العاشق فسيخضّر البستان آخر الأمر ويورق الزهر الأحمر.
 لا عجب من غفلة حافظ من عاقبة الأمر في هذه الدنيا، فكّل من يدخل خمّارتها (الدنيا) ويشرب من خمر الهوى والشهوة سيسكر لا محالة ويفعل».

لقد خصص ابن سينا ، «النمط التاسع» من كتابه «الإشارات» لمقام العارفين ، ويقول في نهاية ذلك النمط :

«إشارة: جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ عَن أَنْ يَكُونَ شَرِيعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ ، أَوْ يَطَّلَعَ عَلَيْهِ إِلَّا وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ . وَلِذَلِكَ فَإِنَّ مَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ هَذَا الْفَنُّ ضَحْكَةً لِلْمُغْفَلِ عِبْرَةً لِلْمُحْصِلِ ؛ فَمَنْ سَمِعَهُ فَاشْمَازَ عَنْهُ فَلَيْتَهُمْ نَفْسَهُ ، لَعَلَّهَا لَا تُنَاسِبُهُ ؛ وَكُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ.»^١

وحكى الشيخ بهاء الدين العاملي أنه ورد في رواية أن إبراهيم بن أدهم كان يطوف بالكعبة فرأى شاباً أمرد جميل الوجه وسيم الطلعة . فنظر إليه برهة ثم تنحى عنه وتوارى بين المطوفين

فلما اختلى بنفسه سأله بعضهم عن سبب تلك النظرة قائلين : لم نشهد لك مثل تلك النظرة إلى شاب جميل فيما سبق!

فقال : هو ابني ، وقد كنتُ تركته في خراسان . فلما شئتُ ترك مدينته

⇐ * جاء في التعليقة: (خلوت دل نيست) بدلاً من (صحبت اغيار).

* * * البيتان التاليان المعروفان هما في نهاية الغزلية:

بگذرد اين روزگار تلختر از زهر بار دگر روزگار چون شكر آيد

صبر و ظفر هر دو دوستان قديمند بر اثر صبر نوبت ظفر آيد

يقول : «سينقضي هذا الدهر الأمر من السمّ (القاتل)، وسيعود ثانية الزمن (الحلو)

كالسكّر.

إنّ الصبر والظفر صديقان قديمان، إذ إنّ الظفر دوماً يعقب الصبر».

لكن لا يوجد هذان البيتان في النسخ القديمة. (التعليقة)

١- «شرح الإشارات» للخواجه نصير الدين الطوسي، الطبعة الحجرية، لسبع

صفحات بقين منه، وعبارة «كُلُّ مُيَسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» هي من حديث نبوي يستشهد به العرفاء

في كتبهم، منهم عزيز الدين النسفي في كتاب «الإنسان الكامل» ص ٢١٤.

وطفق يبحث عني ، فنخفتُ أن يشغلني عن ذكر الله ، وخشيتُ إن هو عرفني أن آنس به . ثم أنشد هذه الأبيات :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَ وَأَيَّمْتُ الْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَ
فَلَوْ قَطَعْتَنِي فِي الْحَبِّ إِرْباً لَمَا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ^١

* * *

أَحِبُّ التُّمَى وَالنَّفْسَ تَطْلُبُ غَيْرَهُ وَإِنِّي وَإِيَّاهَا لَمْصْطَرِعَانِ
فَيَوْمٌ لَهَا مِنِّي وَيَوْمٌ أُذِلُّهَا كِلَانَا عَلَى الْإَيَّامِ مُعْتَرِكَانِ^٢
وبناءً على ما قيل ، فإنَّ الأبيات التي مطلعها :

* هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَ *

مروية عن إبراهيم بن أدهم ، وأما نسبتها إلى سيّد الشهداء الحسين

١- ورد في كتاب «نفائس الفنون في عرائس العيون» ج ٢ ، ص ٢٨ ، طبعة الإسلامية ،

ذُكر هذه القصّة بالشكل التالي :

«وعلامه أخرى من علامات المحبّة هي الحذر من أن يكون الابن أحد الموانع التي تقف في طريق الوصول ؛ حيث ذكروا: أن إبراهيم أدهم رحمه الله عقد مع رفيقه ، وهو في الطريق لأداء فريضة الحجّ ، اتفاق موافقة ومصاحبة ، تعهد فيها الجانبان عدم ستر المنكر عندما يصدر من أحدهما. فلما وصلا إلى مكّة ، شاهدا إحدى العمارات المزيّنة وقد جلس فيها فتى وسيم. فتطلّع إبراهيم إليه ، وكرّر النظر. فأخذه رفيقه على هذا العمل. فاغرورقت عينا إبراهيم بالدموع وقال: ذاك ولدي فارقته وهو صغير ، فالآن لما رأيته عرفته . فقال رفيقه: أخبره عنك؟! »

فأجاب إبراهيم: لا ! فإنّ ذلك شيء تركناه لله فلا نعود فيه ! وأنشد هذين البيتين :

هَجَرْتُ الْخَلْقَ طُرّاً فِي هَوَاكَ وَأَيَّمْتُ الْعِيَالَ لِكَيْ أَرَاكَ
وَلَوْ قَطَعْتَ إِرْباً لَمْ تُسَمِّ إِرْباً لَمَا حَنَّ الْفَوَادُ إِلَى سِوَاكَ

٢- «الكشكول» ج ٥ ، ص ٤٩٦ ، العمود الأيمن ، الطبعة الحجرية ؛ وكذا في «طرائق

الحقائق» ، ج ٢ ، ص ١١٩ ، الطبعة الحروفية ، نقلاً عن الشيخ البهائي .

عليه السلام وذلك على المنابر الحسينية فإن هذا لسان حاله لا لسان مقاله .

لقد كان ذلك الإمام المعصوم رُوحِي وأرواح العالمين فداه أسوة حسنة ومثالاً يُحتذى به في الفناء في ذات الحقّ تعالى ، إذ لا تنتهي المسألة بيوم عاشوراء ولا تُطوى بانطواء أحداثها في ذلك اليوم ، بل إنّ نفسه الزكية وروحه الطاهرة كانت مجبولة على هذه الحال في سبيل الله عزّ وجلّ . إنّ يوم عاشوراء كان ساحة للتجلي والظهور ، كان يوم مكاشفة الخلائق والعوالم بما خفي عنهم وإيداء ما لم يُبَد لهم .

وما أروع ما أنشد ناصر الدين شاه القاجاريّ في هذا المقام ، يقول :

عشقبازی کار هر شیاد نیست

این شکارِ دام هر صیاد نیست

عشق از معشوقه اول سر زند

تا به عاشق جلوۀ دیگر کند

تا به حدّی بگذرد هستی ازو

سر زند صد شورش و مستی ازو

طالب این مُدّعی خواهی اگر

بر حسین و کربلايش کن نظر^١

١- يقول : «ليس كلّ مختال يخبر فنّ الغراميات، ولا كلّ صياد بقادر على إيقاع هذه

الفريسة في شباكه.

إنّ العشق يبدأ أولاً من المعشوقة فيثير في العاشق عواطفه.

ويبلغ هذا العشق درجةً يغيب فيها عن الوجود (أي العاشق)، وتتفجّر في داخله

انتفاضات وهيجانات.

وإذا كنت تبحث عن مصداق هذا الكلام تجده في الحسين ومصيبته في كربلاء».

روز عاشورا شه دنیای عشق
 کرد رو به جانب سلطان عشق
 بارالها این سرم این پیکرم
 این علمدار رشید این اکبرم
 این سُکینه این رقیّه این رباب
 این تنِ عریان میان آفتاب
 این من و این ذکر یا رب یا ربم
 این من و این ناله‌های زینبم
 پس خطاب آمد ز حقّ کای شاه عشق
 ای حسین ای یگه‌تاز راه عشق
 گر تو بر ما عاشقی ای محترم
 پرده برچین من ز تو عاشق‌ترم
 هرچه از دست داده‌ای در راه ما
 مرحبا صد مرحبا خود هم بیا
 خود بیا که می‌کشم من ناز تو
 عرش و فرشم جمله پا انداز تو^۱

۱- یقول: «آه من یوم عاشوراء حیث توجّه العشق کلّه إلى ملک العشق. قائلاً له: اللهمّ هذا رأسی وجسدي وحامل البیرق المغوار وعلیّ الأکبر. وسکینه ورقیة ورباب والجسد العریان تحت لهیب الشمس. وترانی وتسمع منّی نداء یاربّ یاربّ وتسمع نواح زینب. فجاء النداء من الحقّ تعالی: یا سلطان العشق یا حسین یا وحید درب العشق. إذا كنت لی عاشقاً أيّها العزیز ارفع الستار وانظر فعشقی لك أكبر. مرحباً بكلّ تضحیاتك التي قدّمتها فی سبیلی فأقدم علیّ أنت أيضاً. هلمّ إلیّ وتدللّ علیّ، فعرشی وبساطی تحت أمرک».

خود بیا که من خریدار توام
 مشتری بر جنس بازار توام
 لیک خود تنها میا در بزم یار
 خود بیا و اصغرت را هم بیار
 خوش بود در بزم یاران بلبلی
 خاصه در منقار او باشد گلی
 خود تو بلبل، گل علیّ اصغرت

زودتر بشتاب سوی داورت^١

يقول المؤرّخ والعالم المعاصر حجّة الإسلام الحاجّ الشيخ محمّد شريف الرازيّ أمّد الله في عمره الشريف، والذي تشرّف الحقيّر بمعرفة سماحته مدّة خمسين سنة، حول تشرّفه مرّة بزيارة المرقد الطاهر لسيد الشهداء عليه السلام: إنّ القصائد الشعريّة التي يردّها أهل المنابر الحسينيّة هي من تأليفه هو وقد أنشدها ارتجالاً أثناء دخوله إلى الحائر الشريف:

گر دعوت دوست می شنیدم آنروز

من گوی مراد می ربودم آنروز

آن روز بود که روز هَل مِن ناصر

ایکاش که ناصر تو بودم آنروز^٢

١- يقول: «تعال إليّ فإنّي راغب إليك، وقد تقبلتُ قرابينك.

لكن لا تأتِ بمفردك إلى مهرجان الأحيّة، بل هاتِ معك عليّ الأصغر.

وهنيئاً لبلبلٍ يذهب إلى حفلة الأحيّة حاملاً بمنقاره زهرة.

أنت البلبل وعليّ الأصغر الزهرة، فأسرع بالمجيء إلى ربّك».

٢- يقول: «لو أنّي كنتُ قد سمعتُ دعوة الحبيب في ذلك اليوم.

لفزتُ بهدفي العظيم المنشود في ذلك اليوم، ذلك اليوم الذي انطلقْتُ فيه صرخة

ثم شهِقَ شهقةً وأغشى عليه . فلَمَّا عادَ إلى وعيه بدأ يَنشدُ الأبياتَ
التالية وهو يبكي :

تو کیستی که گرفتی به هر دلی وطنی
که نه در انجمنی نی برون ز انجمنی
محمّدی نه، علیّی نه، حسن نه پس تو که ای
که جلوه‌ها بنمودی چو گل به هر چمنی
به خلق مثل محمّد به خوی مثل علیّ
به روی از همه خلق، خلقت حسنی
همان حسین غریبی که روز عاشورا
جهان مصالحه کردی به کهنه پیرهنی^۱

«هل من ناصر، فیا لیتنی کنتُ أنا الناصر الذي بَحَثَ عنه في ذلك اليوم» .
۱- یقول : «یا من ترَبَّعتَ فی کُلِّ قلب، فلا أنت فی الجمع ولا خارجه .
فلا أنت محمّد ولا أنت علیّ ولا الحسن، فمن أنت إذا، یا من تجلّیت کزهرة فی کُلِّ
بستان .
أنت كمحمّد فی الخلق وکعلیّ فی الخُلُق، وإنک خلقتک حسنیّة من دون جمیع الخلق .
إنّک أنت الحسین الغریب الذي بعثَ الدنیا کُلّها بثوب بالٍ» .
«اختران فروزان ری و طهران» أو «تذکرة المقابر فی أحوال المفخر» ص ۱۲۹؛ وقال
کذلك :

لقد تشرف مراراً بزيارة العتبات المقدّسة . وأنشد من أعماق فؤاده البيتين التاليتين
وذلك عند تشرفه بزيارة الحرم الشريف لأمر المؤمنين عليه الصلاة والسلام:
إسکندر و من ، ای شه معبود صفات برگرد جهان صرف نمودیم اوقات
بر همت من کجا رسد همت او من خاک در تو جستم او آب حیات
یقول : «أنا وإسکندر جُلنا العالم وقصّینا أوقاتاً طويلة، أيها السلطان، یامعبود
الصفات .

إلى آخر القصيدة .

لقد ابتغى هؤلاء الشعراء تبيان تلك الحالة التي اعترت سيّد الشهداء عليه السلام مصوراً مقولة «لي مع الله» ، تلك الحالة التي تمثلت فيها السعادة والأوقات العصبية ، والتي لم يكن لأيّ ملكٍ مُقَرَّبٍ أو نبيٍّ مُرْسَلٍ قدرة الوصول إلى ذلك المقام الرفيع ، أو تحمّل تلك الرموز العرفانيّة السامية على الإطلاق .

فلننظر معاً إلى التعابير الجزلة والإشارات البديعة واللطائف المليحة لحجّة الإسلام الشيخ محمّد تقي نير التبريزي ، وهو يصف جانباً من حالات ذلك الإمام الهمام والصمصام البتّار ، والقائد الذي تنصّل عن كينونته وطلب الالتحاق بالمحجوب ، عزيزه .

يشرح الشيخ التبريزي حالة ذلك المقدم في ميدان الحبّ السرمديّ

« أين همّته وعزمه من همّتي وعزمي فهو كان يبحث عن ماء الحياة في حين كنتُ أنا أبحث عن ترابك» .

وذكر في ص ١٣٠ : «وحين تشرفه بزيارة حرم الملك الحارس المرضيّ عليّ بن موسى عليه آلاف التحية والثناء أنشد هذين البيتين بإخلاص تامّ وأهداها إلى ذلك الحرم الجليل :

در طوس ، حريم كبريا مي بينم بسى پرده تجلی خدا می بینم

در کفش کن حريم پور موسى موسای کلیم با عصا می بینم

يقول : «أني أرى حرم الكبرياء في طوس ، وأرى تجليّ الله دون حجاب .

وأرى موسى الكلیم مع عصاه في منزع الأحذية في حريم موسى» .

وقال في ص ١٣١ : «كان ذلك المرحوم يمتلك معلومات علميّة وثقافيّة وأدبيّة وكان يمتلك ذوقاً وقريحة شعريّة ، فكانت أشعاره الغزليّة بحقّ أشعار الملوك وملوك الأشعار ، على غرار ما يُقال في المثل الدارج : كلام الملوك وملوك الكلام . وله ديوان شعريّ مطبوع بخطّ فارسيّ جميل وجذاب موشحاً بالذهب والمينا ومحفوظ في مكتبة الملك النفيسة وهي فرع من مكتبة الحرم الرضويّ الشريف في طهران برقم ٦٠٠٤» .

وابتغائه الوصول إلى المحبوب الأزلي ومقصوده ومراده الأبدى قائلاً:
 تا خبر دارم از او ، بی خبر از خویشتم
 با وجودش ز من آواز نیاید که منم
 پیرهن گو همه پُر باش ز پیکان بلا
 که وجودم همه او گشت من این پیرهنم
 باش یکدم که کنم پیرهن شوق قبا
 ای کمان کِش که زنی ناؤکِ پیکان به تنم
 عشق را روزِ بهار است کجا شد رضوان
 تا بَرَد لاله بدامن سوی خُلد از چمنم
 روز عهد است بکش اسپرم ای عقل زپیش
 تا تصوّر نکند خصم که پیمان شکنم
 می نیاید به کفن راست تن کشته عشق
 خصم دون بیهده گو باز ندوزد کفنم^١

١- يقول :

«طالما كان ذكره موجوداً فلا ذكر لي ، وطالما كان وجوده موجوداً فلا صرخة تُسمع

لي .

ثوبٌ ملأته سهام الوری، فأصبح ذلك الثوب وجودي كله .

سأجعل من ذلك الثوب جبة الشوق، يا من تُصوّب سهامك نحو جسدي .

لقد أصبح الربيع يوم عشقي فأين رضوان ليأتي ويأخذ الزهرة من بستاني المدثرة

بالرداء إلى جنات الخلد .

إنه يوم العهد فخذ درعي أيها العقل حتى لا يتوهم العدو أنني نقضت العهد .

وليس يليق بقتيل العشق أن يلبس الكفن، أيها العدو اللئيم لا تغل عبثاً إنني بحاجة إلى

كفن» .

هاتفم می دهد از غیب ندا شمر کجاست
 گو شتابی که به یاد آمده عهد کهنم
 سخت دلتنگ شدم ، همّتی ای شهپر تیر
 بشکن این دام بکش باز به سوی وطنم
 دایه عشق ز بس داده مرا خون جگر
 میدمد آبله زخم کنون از بدنم
 گوی مطلع چه عجب گر برم از فارس فارس
 تا به مدح تو شها نیر شیرین سخنم^١
 بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي وَنَفْسِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ؛ أَشْهَدُ لَقَدْ أَقْشَعَرَّتْ لِدِمَائِكُمْ
 أَظْلَةَ الْعَرْشِ مَعَ أَظْلَةِ الْخَلَائِقِ ، وَبَكَّتْكُمْ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَسُكَّانُ الْجَنَانِ
 وَالْبَرِّ وَالْبَحْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ عَدَدَ مَا فِي عِلْمِ اللَّهِ .^٢

١- يقول :

«ینادینی هاتف من الغیب: أين الشمر، فقل له أن ما تفعلونه هو مصداق لعهدی
 القديم.
 لقد ضاق صدري فعجلوا يا خيرة الرماة، حطموا لي هذا القيد وعجلوا برحيلي إلى
 الوطن.»

لقد ملأ العشق قلبي قيحاً حتّى فارت دماطل الجرح من بدني .
 ما أجمل أن أبداً كلامي أنا نیر ذرب اللسان وأمدحك أيها الملك» .
 ديوان «أتشكده» لحجة الإسلام نیر طاب ثراه، ص ١٢٣ ، الطبعة الرابعة: وهو لسان
 حال الإمام أبي عبد الله عليه السلام حين استشهاده.

٢- «مفاتيح الجنان» ص ٤٣٩ ، طبعة الإسلامية ، ١٣٧٩ هـ؛ وهي جزء من جملة زيارة
 سيّد الشهداء عليه السلام التي تُقرأ في الأوقات الستة : في أيام وليالي الأول من رجب،
 والنصف من رجب والنصف من شعبان (حسب ما روي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام
 في كتب الشيخ المفيد والسيّد ابن طاووس والشهيد).

يستفاد من هذه الفقرة من الزيارة الشريفة أنّ أشباح العرش وأشباح الخلائق لم يتحملوا أو يطبقوا مشهد تلك الواقعة ، فاقشعرت أبدانهم وارتعدت فرائصهم ومفاصلهم من شدة وقع تلك الحادثة ، وكذا السماوات والأرضون وسكانها ، وأهل الجنة والصحارى والبحار ، بكوا لذلك المصاب الجلل . فعليك سيدي ومولاي السلام بعدد الخلائق التي لا يعلم عددها إلا الله وحده ، يا مَنْ أظهر الجميع عجزهم الكامل أمام عظمتك وصبرك وجلدك ، وتحيروا إزاء شخصك ومنزلتك .

آسمان بار امانت نتوانست كشيد قرعه فال به نام من ديوانه زدند^١

١- يقول: «أزفت السماء عن حمل الأمانة، فجاءت القرعة باسمي أنا المجنون».

الْبَحْثُ الْخَامِسُ إِلَى الثَّامِنِ

اللَّهُ عَاشِقٌ مَا سِوَاهُ، وَمَا سِوَى اللَّهِ عَاشِقُهُ

وَتَفْسِيرُ آيَةِ الْبَارَةِ

يَتَأَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدَّ حَافِلَيْهِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :
يَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ .

(الآية ٦ ، من السورة ٨٤ : الانشقاق)

قال أستاذنا الأعظم آية الحق والعرفان العلامة الطباطبائي أعلى الله
مقامه في تفسير هذه الآية الكريمة :

«قال الراغب : الكَدْحُ السعي والعناء - انتهى . ففيه معنى السير ،
وقيل : الكدح جهد النفس في العمل حتى يؤثر فيها انتهى - وعلى هذا فهو
مُضْمَنٌ معنى السير ، بدليل تعدّيه بالي ، ففي الكدح معنى السير على أي
حال .

وقوله : فَمُلْقِيهِ عطف على كَادِحٌ ، وقد بين به أن غاية هذا السير
والسعي والعناء هو الله سبحانه بما أن له الربوبية ، أي أن الإنسان بما أنه
عبد مربوب ومملوك مُدَبَّرٌ ، ساع إلى الله سبحانه بما أنه ربه ومالكة المُدَبَّرِ
لأمره ، فإن العبد لا يملك لنفسه إرادة ولا عملاً ، فعليه أن لا يريد ولا يعمل
إلا ما أَرَادَهُ رَبُّهُ ومولاه وأمره به ، فهو مسؤول عن إرادته وعمله .

ومن هنا يظهر أولاً أن قوله : **إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ** يتضمّن حجة على المعاد ، لما عرفت أن الربوبية لا تتم إلا مع عبودية ، ولا تتم العبودية إلا مع مسؤولية ، ولا تتم مسؤولية إلا برجوع وحساب على الأعمال ، ولا يتم حساب إلا بجزاء .

وثانياً : أن المراد بملاقاته انتهاؤه إلى حيث لا حكم إلا حكمه ، من غير أن يحجبه عن ربه حاجب .

وثالثاً : أن المخاطب في الآية هو الإنسان بما أنه إنسان ، فالمراد به الجنس ، وذلك أن الربوبية عامة لكل إنسان^١ .
قد أثبت أعظم حكماء الإسلام أن بين رب العزة وبين مخلوقاته نوعاً من الجذب والانجذاب يُعَبَّر عنه بالعشق .

ولا جرم أن حبّ الله لمخلوقاته هو الذي أوجدها وألبس كل واحد منها (كل حسب إمكانيته واستعداده وماهيته المتفاوتة) لباس الوجود والبقاء ، ووصف كلاً منها بصفاته حسب ما يتناسب معه . إن هذا هو الحبّ الذي أعطى العالم كيانه وبقائه وديمومته ، بدءاً بالأفلاك ومروراً بالأرض والذرة إلى الذرة ، وجعلها كلّها موجودات تتحرك نحوه وتشق طريقها إليه . وكذا حال حياتنا ومعيشتنا في حركتنا نحو الله ، فهي تمضي قدماً في ذلك بواسطة ذلك الحبّ والعشق الذي أوجده الله عزّ وجلّ في الخلقة والفطرة . وعلى هذا فإنّ كلّ موجود من الموجودات الإمكانيّة يجد طريقه إلى الاستمرار في حياته وبقائه على أساس وأصل ذلك الحبّ للمحبوب ، وهكذا يستمدّ قانون التجاذب (الجذب والانجذاب) استمراريته بين جميع المخلوقات السفليّة (الدنيا) والعوالم العلويّة .

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ٢٠ ، ص ٣٦٠ .

إنّ هذا التجاذب المستقرّ في كلّ موجود وبشكل معيّن ، هو السبب في تكوين وإنشاء تلك الحركة المُتَّجِهة نحو المبدأ الأعلى عبر مدارج ومعارج متباينة ، وهو السبب في ذلك الحبّ الذي يدفع بجميع العاشقين إلى التحرُّك باتجاه ذلك المحبوب والسير نحوه بوساطة ذلك الحبّ ، من دون حجاب أو من وراء حجاب على السواء . وكلّ ما في الأمر أنّ الموجودات الضعيفة والماهيات السفليّة تتعرّض خلال سيرها لتأثير شديد من قِبَل قوى أشدّ منها نظراً لصفة المحدوديّة الموجودة في وجودها ، وهو ما يتسبّب في فنائها هناك . وطبقاً للقاعدة القائلة : (الأقرب فالأقرب) ، فإنّ أيّ موجود عالٍ هو غاية السير عند الموجود والمعلول الأدنى منه ، حتّى يصل إلى ذات الحقّ والمُصدّر المطلق ، والذي هو الموجود الأوّل العظيم اللامتناهي في عالم العوالم ، حيث يفنى فيه وتتحقق عند ذاك عمليّة التحاب والتعاشق بين الحقّ سبحانه وتعالى وبين ذلك الموجود .

وقد عبّرَ في هذه الآية الشريفة الكريمة عن تحرُّك الإنسان نحو هذا المحبوب ذي الجمال والمعشوق صاحب الجلال ، وهو الهدف النهائيّ والمقصد الرئيسيّ ، بالكدح .

ومعنى ذلك أنّه يتوجّب على الإنسان - وهو أشرف المخلوقات استعداداً - أن يُوصِلَ ذاته ونفسه إلى الفناء التامّ بالفعل .

فمالك من حالفهم الحظّ ووصلوا ، وهنالك من أضاعوا استعدادهم وضيّعوا عدّتهم ، وفشلوا في أن يجدوا مأمناً وأمناً في حرم أمنه ، وعجزوا عن الاستقرار في ظلّه ، ولم يفلحوا في اجتياز موانع الصراط والدخول إلى حضرة جلاله ، وسيلتقي كلّ منهم به ويتلاقى معه وسيصلون إلى محبوبهم الحقيقيّ من وراء ألف حجاب ، وعندها سيوقنون بأنّه هو وحده غاية مرادهم وحبیب قلوبهم ، وكلّ ما في الأمر ، أنّهم في دنيا الشهوات الدنيّة

التي أعشت عيونهم ، لم يروا جلاله ، وها هم ، يصلون بعد الحُجب لملاقاة ربهم عزّ وجلّ .

ذَكَرَ الشيخ بهاء الدين العامليّ في كشكوله :

«للشيخ الرئيس أبي علي ابن سينا رسالة في ذكر العشق^١ تحت عنوان «رسالة العشق» ، وفيها يتوسّع في مقالته ويقول بأنّ العشق لا يختصّ بالإنسان وحده ، بل بجميع الكائنات ، من الفلكيات والعناصر ، والمواليد الثلاثة (المعادن والنباتات والحيوانات) مجبولة عليه بالفطرة ، وهي منقوشة في ذاتها وماهيتها»^٢ . انتهى كلام الشيخ البهائيّ رحمة الله عليه .

وتبدأ الرسالة بالعبارة التالية :

بِسْمِكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ، سَأَلْتُ أَسْعَدَكَ اللَّهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ الْفَقِيهَ
الْمُعْصِرِيَّ ! أَنْ أَجْمَعَ لَكَ رِسَالَةً تَتَّضَمَّنُ إِضْاحَ الْقَوْلِ فِي الْعِشْقِ عَلَى
سَبِيلِ الْإِيْجَازِ فَأَجِبْتُكَ - إِلَى آخِرِهَا .

١- العشق ، بمعنى الإفراط في الحبّ ، واللفظة مأخوذة من كلمة عَشَقَ ، نباتٌ يلتوي على شجرة العنب ويلزمها فيمتصّ عصارتها وتذبل نتيجة ذلك . وهذا النبات الذي يدعى كذلك اللَّبْلَابُ أو السَّرِيْشَلَةُ لا يمتلك حَبًّا حتّى ينبت على الأرض ، بل ينمو لوحده تلقائياً في مزارع العنب ، ويلتصق جذره وساقه بشجرة العنب . ولو فُصِّلَ من هذا النبات جزء وتمكّن من الوصول إلى شجرة عنب أخرى التصق بها على الفور ونما سريعاً ويعمل على إتلاف الشجرة فتذبل وتبيّس . وقيل إنّه يكفي زرع حَبَّة واحدة من هذا النبات في مزرعة عنب لإتلافها جميعاً ، فهو ينمو بسرعة ويعمل على تبيس الشجرة . فحقّ إذاً للمزارعين أن يخافوا نموّ هذا النبات ويسارعوا إلى استئصاله فور اكتشافهم له في مزارع العنب ، ثمّ يعمدون إلى حرقه لمنع تواجد أيّ أثر له على الأرض تماماً .

٢- قال العرفاء عن الماهية بأنّها العين الثابتة ، وكذلك سمّوها بالتعيّن ؛ وورد ذكرها في الروايات باسم الطينة .

وقد نظم هذه الرسالة في سبعة فصول وهي :
الأول : في ذكر أن العشق يسري في كل ذات .
الثاني : في ذكر العشق في الجواهر البسيطة غير الحيّة ، على سبيل
المثال ، الهيولى ، والظواهر ، والمعادن ، وكلّ جماد .
الثالث : في ذكر العشق في الموجودات والأشياء التي تمتلك القوّة
المغذية .

الرابع : في ذكر العشق في الموجودات الحيوانية ، لسبب أنّها تمتلك
قوة حيوانية .

الخامس : في ذكر العشق في الظرفاء والفتيان في قبال حسان الوجوه .
السادس : في ذكر العشق في النفوس المتألّهة .
السابع : وهو فصل يختتم به الكتاب بالمراجعة والاستنتاج .
وهذه الرسالة استدلالية ، ومطالعتها من قبل ذوي الرأي لا تخلو من
فائدة .

وقد تحدّث فصلاً في الفصل الخامس ، وهو بعنوان «عشقُ الظُرفاءِ
وَالْفِتْيَانِ لِالْأَوْجِهِ الْحَسَنِ» ، واستدلّ بالحديث الشريف للنبيّ صَلَّى اللهُ
عليه وآله وسلّم : اَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ عِنْدَ حَسَنِ الْوُجُوهِ ٢ ، وعدّد أوجه الحلال

١- ظُرفَاءُ جَمْعُ ظُرَيْفٍ . ظُرْفٌ - ظُرفاً وظُرفاً : كَانَ كَيْساً حَسَنَ الْهَيْئَةِ ، كَانَ ذَكِيّاً بَارِعاً ،
فَهُوَ ظُرَيْفٌ ؛ ج : ظُرفَاءُ وِظُرَافٍ وِظُرْفٍ وِظُرُوفٍ وِظُرَيْفُونَ .
وِظُرَيْفَانِ جَمْعُ فُتَيٍّ ، وَهُوَ الشَّابُّ الْحَدِيثُ ، السَّخِيُّ الْكَرِيمُ ؛ ج : فُتَيَّانٍ وَفُتَيْبَةٌ وَفُتُوَةٌ وَفُتُوٌّ
وِظُرَيْفِيٌّ وَفُتَيْبِيٌّ .

٢- جاء في «مكاتب الرسول» ج ٢ ، ص ٦١٤ ، نقلاً عن «كنز العمال» : كِتَابُهُ صَلَّى اللهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَمَّالِهِ : إِذَا أَبْرَدْتُمْ إِلَيَّ بَرِيداً فَأَبْرِدُوهُ فَأَبْعَثُوهُ حَسَنَ الْوَجْهِ حَسَنَ الْأَسْمِ .

والحرام ، عقلاً وشرعاً ، موضحاً بأنّ الشريعة الإسلامية الغراء قد أوصدت باب العشق المذموم ، وذلك بالاستدلال العقليّ ، وبالمقابل ، قد فتحت باب العشق الممدوح على مصراعيه^١ .

ويستطرد في بحثه عشق النفوس المتألّهة ، حتّى يصل إلى المقطع الذي يقول فيه :

«الآن ، أصبح واضحاً ، بأنّ العلة الأولى ، هي مصدر كلّ الخيرات ، ولا مسبّب لهذه العلة ؛ وعليه ، فهذه العلة (الله) هي الخير المطلق ، استناداً لمحض ذاته المقدّسة ، وكذلك ، بالقياس إلى جميع الموجودات ، وذلك ، لأنّه هو حبل بقاء المخلوقات ودوامها .

وهذه المخلوقات ، هائمة ومشتاقة إلى كمال العلة الأولى ، وبهذا ، يكون هو الخير المطلق ، بكلّ الاعتبارات وعلى جميع الأوجه .

١- يقول المألا الروميّ («المنوي») ج ١ ، ص ٧ ، طبعة ميرخاني) عن الحبّ المذموم

ما معناه:

عشقهائي كز پی رنگی بود عشق نبود عاقبت ننگی بود

يقول : «إن يكن حباً كثير التلون ؛ فذاك الحبّ شؤماً ليس حباً» .

وحول الحبّ الممدوح قال:

عشق آن زنده گزين كو باقى است وز شراب جانفزايست ساقى است

عشق آن بگزين كه جمله انبياء يافتند از عشق وى كار و كيا

تو مگو ما را بدان شه بار نيست با كريمان كارها دشوار نيست

يقول : «ابحث عن عشق ذلك الحيّ الذي هو باقٍ على الدوام ، وهو الذي يسقيك

شراب الروح .

اطلب عشق ذلك الذي نال به جميع الأنبياء مرادهم ومطلبهم .

ولا تقل: أين نحن من ذلك السلطان؟ فليس التعامل مع الكرماء صعباً أو مستحيلاً» .

وقد قلنا من قبل إنّ من أدرك خيراً هام فيه بلا إرادة منه ، ولهذا ، فالعلّة الأولى ، هي المعشوق بالنسبة إلى النفوس المتألّهة ، ولأنّ كمال هذه النفوس ، الإنسيّ منها والملائكي ، هو تصوّر تلك النفوس للمعقولات كلّ حسب قدرته (من باب التشبّه بذات الخير المطلقة) حتّى تصدر عنها أفعال عادلة من قبيل الفضائل البشريّة ، وعلى مثال تحريك النفوس الملائكيّة للجواهر العلويّة السائلة . إنّ بقاء الموجودات في عالم الكون والفساد (هو من باب التشبّه بذات الخير المطلقة) والتقرّب له والاستفادة من كماله وفضيلته والانتفاع بها . وعلى هذا فقد بات واضحاً أنّ الخير المطلق هو معشوق هذه النفوس ، ولذا سُمّيت تلك النفوس بـ«المتألّهة» لسبب نسبتها وتشبّهها به وحبّها له ؛ وهذا العشق وذلك الحبّ ثابتٌ ومتأصّل في تلك النفوس المتصفة بـالتألّه ، غير زائل عنها» .

حتّى يصل إلى قوله :

«أصبح واضحاً بأنّ وجود الحقّ ، وهو الخير المطلق ، هو المعشوق الحقيقيّ للنفوس الإنسيّة والملائكيّة» .

ويقول في الفصل الختاميّ :

«نريد في هذا الفصل ، الخروج بعدّة استنتاجات :

أولاً: كما ذكرنا سابقاً ، أنّ جميع الموجودات في هذا الكون ، هي في الحقيقة ، عاشقة وتواقة إلى الخير المطلق ، بفعل العشق^١ الغريزيّ ، وهذا

١- ذكر معلق و مترجم الرسالة في هذا الخصوص: «يصنّف الأدباء وأهل الذوق

المحبّة إلى مراتب هي :

المرتبة الأولى مرتبة الهوى ؛ الثانية مرتبة العلاقة ؛ ثمّ مرتبة الكلف ؛ ثمّ مرتبة العشق ؛ ثمّ مرتبة الشغف (بالعين المهملة)؛ ثمّ مرتبة الشغف (بالعين المعجمة)؛ ثمّ مرتبة

الخير المطلق متجلاً لعشاقه ، ولكنّ هذا التجلّي مختلف بحسب درجات هذه الموجودات ، حيث إنهم كلّما ازدادوا تقرباً من الخير المطلق ، عظم تجلّيه لهم ، والعكس بالعكس .

ثانياً : أنّ الخير المطلق والعلّة الأولى ، يميل انسجاماً مع كرمه ورحمته الذاتيتين إلى أن يشمل بلطفه جميع الكائنات .

ثالثاً : وجود كلّ الموجودات هو انعكاس لهذا اللطف من لدن الخير المطلق .

أما وقد تمّ توضيح هذه المسألة بشكل إجماليّ ، الآن نقول : بأنّ في تركيب آحاد هذه الموجودات عشق غريزيّ لأجل استحصال كمالها الذاتيّ ، وكمالها هو نفسه الخير الذي أشرنا إليه .

إذاً ، فسبب وقوع كلّ الخيرات ، هو ذلك المعشوق الحقيقيّ لكلّ الموجودات ، والذي عبّرنا عنه بالعلّة الأولى ، فهي معشوق كلّ الموجودات ، وإذا كان هناك من حُرِم معرفته ، وجهل وجوده ، فهذا الجهل لا ينفي العشق الغريزيّ في الموجودات ، لأنّ كلّاً وراء كماله الذاتيّ ، وحقيقة الكمال - الذي هو الخير المطلق - تلك العلة الأولى ، والتي تتجلّى لكلّ الموجودات ، بحسب ذاتها ، إلّا أن يكون محجوباً بذاته عن التجلّي ،

﴿ الْجَوَى ؛ ثُمَّ مَرْتَبَةُ التَّيْمِ ؛ ثُمَّ مَرْتَبَةُ التَّبَلِّ (بفتح التاء وسكون الباء) ؛ ثُمَّ مَرْتَبَةُ التَّدْلِيَةِ ؛ ثُمَّ مَرْتَبَةُ الْهُيُومِ ، وهي آخر المراتب التي يمكن للعاشق الغاني في معشوقه أن يصل إليها ، وفي هذه المرتبة ينشد الشاعر قائلاً :

در هر چه نظر کردم سیمای تو می بینم

يقول : «فما نظرت إلى شيء من حولي ؛ إلّا وفي ذاك الشيء رسمك» .

أو كما قال بايزيد: لَيْسَ فِي جُبَّتِي إِلَّا اللَّهُ .

وقال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً إِلَّا وَقَدْ رَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ أَوْ مَعَهُ .

فيلزم أن يستتر ، فلا ينعم أيّ من الموجودات من فيض وجوده .
 إذا كان تجلّي الخير الأوّل هو بتأثير الغير ، فيجب إذاً أن تكون الذات
 المتعالية ، والمنزّهة عن كل النقائص ، واقعة تحت تأثير الغير أيضاً ، وهذا
 محال ، بل الخير الأوّل يتجلّى بحسب الذات ، وحجب تجلّيه عن بعض
 الذوات ، هو لقصور وضعف في هذه الذوات ليس إلا .
 وبعبارة أخرى : كلّ نقص وعيب ، يكون من جانب القابل ، وليس
 من جانب الفاعل ، وإلا فذاته المقدّسة متجلّية بحسب الذوات .

ويستطرد في قوله حتّى يصل إلى :

«الثاني : أنّ الموجود المتهيّ لأن ينعم باللطف الإلهيّ ، هو موجود
 ذو نفس إلهيّة ، على الرغم من أنّه في البدء ، ومصداقاً للآية الكريمة عَلَّمَهُ
 شَدِيدُ الْقُوَى وجد بتأثير الفعل الفعّال ، ومن موقع القوّة ، وأمدّته من موقع
 التصوّرات ورتبة التعقّلات ، ولكن ، ما أن يصل إلى حدود الفعلية ، وينعم
 بنعمة القرب من الحقّ تعالى ، حتّى يعلو ويسمو إلى مراتب أعلى من ذلك .
 حيث يقول الملك المقرّب من الله في هذا المقام : لَوْ ذَنُوتُ أَنْمَلَةً
 لَأَحْتَرَفْتُ .

ويتابع قائلاً :

«لذا ، فقد أصبح واضحاً بأنّ اللطف الإلهيّ والخير المطلق ، هو
 سبب نشأ كلّ الموجودات ، وعلة وجودها ، فلولا هذا اللطف الإلهيّ ،
 ما لبس مخلوق لباس الوجود ، وأنّ الحقّ تعالى بوجوده ، عاشق لوجود
 جميع المعلولات ، لأنّ جميع المعلولات كما أسلفنا ، انعكاس لنور
 لطفه ، ولأنّ عشق العلة الأولى ، هو أطهر العشق ، فيكون من فاز بلطفه
 هو المعشوق الحقيقي ، وهذا اللطف ، هو مراد النفوس المتألهة ، وهي
 نفسها ، معشوقات العلة الأولى ، ونستشف من كلمات الأئمة المعصومين

صلوات الله عليهم أجمعين ما يلي :

قال الله تعالى : أياً من عبادي كانت له الأوصاف الفلانيّة ، وعشقني ، عشقته أنا أيضاً ، لأنّ الحكمة الإلهيّة تقتضي أن لا يهمل أو يعطل شيء يحوي جملة فضائل ، وهذه الفضائل ، متأصلة في ذاته ، وإن لم يصل بفضيلته إلى حدّها الأقصى ، وعليه ، فالخير المطلق ، بمقتضى حكمته الذاتيّة ، هو عاشق ؛ عاشق لمن لبس الكمال ، وإن لم يكن أقصى الكمال ... وَإِذَا بَلَغْنَا هَذَا الْمَبْلَغَ فَلْنُخْتِمِ الرِّسَالَةَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ^١.

وقد بسط المرحوم صدر المتألّهين قدّس الله نفسه الزكيّة الكلام في بحث العشق على نحو أعمق وأجمل ممّا فعل الشيخ الرئيس ، حيث برهن تحت عنوان : «الفصل ١٥ : في إثبات أنّ جميع الموجودات عاشقة لله سبحانه مُشْتَاقَةً إِلَى لِقَائِهِ وَالْوُصُولِ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ» ، على أنّ الله سبحانه وتعالى ، قدّر لكلّ موجود من الموجودات : العقلية والنفسية والحسية والطبيعية ، بصيصاً من الكمال ، ولأجل بلوغ هذا الكمال والتحرّك نحو إتمامه ، ركّز فيهم العشق والشوق . أمّا العشق بلا شوق ، فهو من اختصاص المفارقات العقلية ، التي تمتلئ الفعلية في جميع جهاتها ، وأمّا في غير المفارقات العقلية من الموجودات التي تفتقر إلى الكمال ولكنها

١- قامت منشورات بيدار بطبع «رسالة عشق» (= رسالة العشق) مع اثنتين وعشرين رسالة أخرى في بلدة قم الطيبة تحت عنوان «رسائل الشيخ الرئيس أبي عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا» (ج ١)، وقد احتلت «رسالة عشق» الصفحات ٣٧٣ إلى ٣٩٧. وقام الخطيب الشهير السيّد ضياء الدين الدرّيّ بترجمتها مع ثلاث رسائل أخرى للشيخ باسم «الفوائد الدرّية»، وتولّت المكتبة المركزيّة طبعها سنة ١٩٣٩م، وبلغ مجموع الصفحات التي استوعبتها «رسالة عشق» من هذه الطبعة الثلاثين.

تمتلك القوة والاستعداد ، فقد أودع فيها العشق والشوق الإراديين بمقدار ، وهكذا العشق والشوق الطبيعيين بمقدار ، بحسب تفاوت درجاتها في كل من هذين الصنفين» .

ويتابع الحديث ، إلى أن يصل في كلامه إلى :

«وأنت تعلم أن إثبات العشق في شيء بدون الحياة والشعور فيه كان مجرد التسمية ، ونحن قد بينا - في السفر الأول في مباحث العلة والمعلول - عشق الهيولى إلى الصورة بوجه قياسي حكيمي لا مزيد عليه .

وقد مرّ أيضاً إثبات الحياة والشعور في جميع الموجودات وهو العمدة في هذا الباب ولم يتيسر للشيخ الرئيس تحقيقه ، ولا لأحد ممن تأخر عنه إلى يومنا هذا إلا لأهل الكشف من الصوفية ، فإنه لاح لهم - بضرب من الوجدان وتتبع أنوار الكتاب والسنة - أن كل شيء حي وناطق وذاكر لله ، مسبح ساجد له كما نطق به القرآن في قوله :

وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ^١.

وقوله : وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ^٢.

ونحن بحمد الله عرفنا ذلك بالبرهان والإيمان جميعاً ، وهذا أمر قد اختص بنا بفضل الله وحسن توفيقه .

فإن الذي بلغ إليه نظر «الشيخ» وهو من أعظم الفلاسفة في هذه الدورة الإسلامية في إثبات العشق في البسائط غير الحية ما ذكره في تلك الرسالة بقوله : «إن البسائط غير الحية ثلاثة : أحدها الهيولى الحقيقية ، والثاني

١- مقطع من الآية ٤٤ ، من السورة ١٧ : الإسراء.

٢- صدر الآية ١٥ ، من السورة ١٣ : الرعد.

الصورة التي لا يمكن لها القوام بانفراد ذاتها ، الثالث الأعراس»^١ .
وهنا يذكر صدر المتألهين نصّ عبارة الشيخ ، وهي تقع في صفحة
ونصف الصفحة تقريباً ، مستنتجاً بأنّ الشيخ قد عبّر عن تلازم الهيولى
والصورة بالعشق ، ثمّ يقول : «إنّ كلّ واحد من البسائط غير الحيّة قرين
عشق غريزيّ ، فإذا الذي ذكره الشيخ ليس بشيء .»

ونحن نثبت وجود العشق في الموجودات غير الحيّة ، عن طريق
إثبات وجود الحياة والشعور لديها ، وما ذكره الشيخ ، هو في غاية الضعف ،
حيث إنّّه لا يخفى على أيّ ذكيّ بأنّ قوله في إثبات معنى العشق في هذه
الموجودات لم يتحقّق إلّا اللهمّ بطريق التشبيه»^٢ .

ويتابع صاحب «الأسفار الأربعة» الكلام حتّى يصل إلى هذا المقطع :
الفصل ١٦ : في بيان طريق آخر في سرّيان معنى العشق في كلّ
الأشياء^٣ .

وبعد إتمام هذا البحث ، يصل إلى :

الفصل ١٧ : في بيان أنّ المعشوق الحقيقيّ لجميع الموجودات وإنّ
كان شيئاً واحداً في المأل وهو نيل الخير المطلق والجمال الأكمل ، إلّا أنّ
لكلّ واحدٍ من أصناف الموجودات معشوقاً خاصاً قريباً يتوسّل بعشقه
إلى ذلك المعشوق العامّ^٤ .

في هذا البحث أيضاً ، يقوم صدر المتألهين ببسط القول وتقديم بيانٍ

١- «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٥٢ إلى ١٥٤ .

٢- «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٤٨ إلى ١٥٥ .

٣- «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٥٨ و ١٦٠ .

٤- «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٦٠ .

شافٍ ومفصّل ، وبعد بيان الفصل (١٨) ، يصل بالموضوع إلى :
الفصل ١٩ : فِي ذِكْرِ عَشْقِ الظُّرْفَاءِ وَالفِتْيَانِ لِلأَوْجِهِ الحِسانِ ، حيث
 مبتغانا في بيان العشق العامّ في الموجودات للذات القدسيّة للحقّ تعالى ،
 هذه الفقرة من هذا العشق للذات القدسيّة للبارئ جلّ وعلا سبحانه وتعالى
 شأنه .

وبعد سرد تعريفات مختلفة للعشق ، يقوم صدر المتألهين بالبرهنة
 على أنّ العشق ليس عشقاً للجسم أو الصورة أو للشكل أو الشمائل ، بل هو
 عشق للنفس وحدها ، ولا يمكن أن يكون مراد العشق مادة أو أمراً مادّيّاً
 محسوساً . بل المراد ، هو أمر معنويّ وحسب ، ولهذا فإنّ العاشق حتّى وإن
 أدرك جسم المعشوق ، أو وجهه ، أو كلّ أعضائه ، فإنّ عشقه لن يسكن
 ولن يهدأ إلاّ بعد أن تتصلّ روحه بروح المعشوق ، وتذوب وتتلاشى فيها .
 قال : «ومنهم من قال أنّ العشق هو إفراط الشوق إلى الاتّحاد ، وهذا
 القول وإن كان حسناً إلاّ أنّه كلام مجمل يحتاج إلى تفصيل ، لأنّ هذا
 الاتّحاد من أيّ ضروب الاتّحاد ، فإنّ الاتّحاد قد يكون بين الجسمين ،
 وذلك بالامتزاج والاختلاط ، وليس ذلك يتصوّر في حقّ النفوس ، ثمّ لو
 فرض وقوع الاتّصال بين بدنيّ العاشق والمعشوق في حالة الغفلة والذهول^١
 أو النوم فعلم يقيناً أنّ بذلك لم يحصل المقصود ، لأنّ العشق كما مرّ من
 صفات النفوس لا من صفات الأجرام السماويّة ، بل الذي يتصوّر ويصحّ
 من معنى الاتّحاد هو الذي بيّناه - في مباحث العقل والمعقول - من اتّحاد
 النفس العاقلة بصورة العقل بالفعل واتّحاد النفس الحساسة بصورة

١- قال الحكيم السبزواريّ ، إنّما قيّد به إذ في حالة انفكاك الاتّصال الجسمانيّ عن
 الاتّصال الروحانيّ ينكشف جليّة الحال من أنّه أيّهما المقصود .

المحسوس بالفعل .

فعلى هذا المعنى يصحّ صيرورة النفس العاشقة لشخص متّحدة بصورة معشوقها وذلك بعد تکرّر المشاهدات^١ وتوارد الأنظار وشدة الفكر والذکر في أشكاله وشمائله حتى يصير متمثلاً صورته حاضرة متدرّعة في ذات العاشق . وهذا ممّا أوضحنا سبيله وحقّقنا طريقه بحيث لم يبق لأحد من الأزكياء مجال الإنكار فيه .

وقد وقع في حكايات العشاق ما يدلّ على ذلك ، كما روى أنّ مجنون العامريّ كان في بعض الأحيان مستغرقاً في العشق بحيث جاءت حبيبته ونادته : يَا مَجْنُونُ ! أَنَا لَيْلَى . فما التفت إليها ، وقال :

لِي عَنكَ غِنَى بِعَشِقِكَ!^٢

فإنّ العشق بالحقيقة هو الصورة الحاصلة ، وهي المعشوقة بالذات لا الأمر الخارجيّ وهو ذو الصورة إلّا بالعرض ، كما أنّ المعلوم بالذات هو نفس الصورة العلميّة لا ما خرج عن التصرّور .

وإذا تبين وصحّ اتّحاد العاقل بصورة المعقول واتّحاد الجوهر الحاس بصورة المحسوس - كلّ ذلك عند الاستحضار الشديد والمشاهدة القويّة كما سبق - فقد صحّ اتّحاد نفس العاشق بصورة معشوقه بحيث لم يفتقر بعد ذلك إلى حضور جسمه والاستفادة من شخصه ، كما قال الشاعر :

أَنَا مَنْ أَهْوَى وَمَنْ أَهْوَى أَنَا نَحْنُ رُوحَانٍ حَلَلْنَا بَدَانَا

١- قال الحكيم السيزواريّ : يعني أنّ الاتّحاد ، وإن حصل بمشاهدة مرّة ، إلّا أنّه يستدعي ملكة الاتّحاد ، لأنّه أثر هذه الصور على جميع مدركاته .

٢- قال سماحة الحاج السيّد هاشم الحدّاد روعي فداه : إنّ مجنون ليلى كان يقول لليلى : دَعِي نَفْسَكَ عَنِّي ! فَإِنَّ فِيكَ غِنَى عَنكَ !

فَإِذَا أَبْصَرْتَنِي أَبْصَرْتَهُ وَإِذَا أَبْصَرْتَهُ أَبْصَرْتَنَا^١

ثم لا يخفى أن الاتحاد بين الشئيين لا يتصور إلا كما حققنا ، وذلك من خاصية الأمور الروحانية والأحوال النفسانية . وأما الأجسام والجسمانيات فلا يمكن فيها الاتحاد بوجه ، بل المجاورة والممازجة والمماسّة لا غير ، بل التحقيق أن لا يوجد وصال في هذا العالم ولا تصل ذات إلى ذات في هذه النشأة أبداً وذلك من جهتين :

الجهة الأولى : أن الجسم الواحد المتصل إذا حقق أمره عُلِمَ أنه مشوب بالغيبة والفقْد ، لأنّ كلّ جزء منه مفقود عن صاحبه مفارق عنه ، فهذا الاتصال بين أجزائه عين الانفصال ، إلا أنه لما لم يدخل بين تلك الأجزاء جسم مبائن ولا فضاء خال ولا حدث سطح في خلالها ، قيل إنها متصلة واحدة وليس وحدتها وحدة خالصة عن الكثرة ، فإذا كان حال

١- قال الحكيم السبزواري قدّس الله نفسه في تعليقه على هذا البيت ما معناه: «قد يتوهم البعض من أنه كان من الأفضل أن يقال نحن روح واحد حلّ بدنين ، والجواب هو أن الشاعر أراد: أننا في الحقيقة شخصان من حيث إننا متّحدان، فلو تحقّق وجود أحد البدنين تحقّق وجود الثاني كذلك، فلا تنهّموا وتقولوا إنّ روعي فقط هي التي حلّت في بدني ، بل إنّ روعي أيضاً حلّت فيه، ذلك أنّ روعي هي روعي . وكذا الحال مع بدنه وروعي هو» -انتهى كلام الحكيم السبزواري).

وجاء في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢ ، ص ٢٦ و ٢٧ ، طبعة الدار الإسلامية:

«قال الجنيّد: المحبّة دخول صفات المحبّ على البدن من المحبّ . ويتبيّن سرّ «فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً» من حقيقة البيتين المذكورين :

أنا من أهوى ومن أهوى أنا	نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرتَه	وإذا أبصرتَه أبصرتنا
إلا أنه ليس للمحبة ثمة سبب واضح .	
إن المحبة أمرها عجبٌ	تلقى عليك وما لها سببٌ

الجسم في حد ذاته كذلك من عدم الحضور والوحدة ، فكيف يتحد له شيء آخر أو يقع الوصال بينه وبين شيء .

الجهة الثانية : أنه مع قطع النظر - كما ذكرنا - لا يمكن الوصلة بين الجسمين إلا بنحو تلاقي السطحين منهما ، والسطح خارج عن حقيقة الجسم وذاته ، فإذا لا يمكن وصول شيء من المحب إلى ذات الجسم الذي للمعشوق ، لأن ذلك الشيء إما نفسه أو جسمه أو عرض من عوارض نفسه أو بدنه ، والثالث محال لاستحالة انتقال العرض ، وكذا الثاني لاستحالة التداخل بين الجسمين . والتلاقي بالأطراف والنهايات لا يشفي عليلًا طالب الوصال ، ولا يروي غليله .

وأما الأوّل فهو أيضاً محال ، لأنّ نفساً من النفوس لو فرض اتّصالها في ذاتها ببدن لكانت نفساً لها ، فيلزم حينئذٍ أن يصير بدن واحد ذا نفسين وهو ممتنع .

ولأجل ذلك أنّ العاشق إذا اتّفق له ما كانت غاية متمناه ، وهو الدنو من معشوقه والحضور في مجلس صحبتته معه ، فإذا حصل له هذا المتمنى يدعى فوق ذلك ، وهو تمّنى الخلوة والمجالسة معه من غير حضور أحد ، فإذا سهل ذلك وخلي المجلس عن الأغيار تمّنى المعانقة والتقبيل ، فإن تيسر ذلك تمّنى الدخول في لحاف واحد والالتزام بجميع الجوارح أكثر ما ينبغي . ومع ذلك كله الشوق ؛ بحاله ، وحرقة النفس كما كانت ، بل ازداد

الشوق والاضطراب كما قال قائلهم :

أَعَانِفُهَا وَالتَّنْفُسُ بَعْدُ مَشُوقَةٌ إِلَيْهَا وَهَلْ بَعْدَ العِنَاقِ تَدَانِي
وَأَلْتَمُّ فَهَا كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي فَيَزِدَادُ مَا أَلْقَى مِنَ الهَيَجَانِ
كَأَنَّ فُؤَادِي لَيْسَ يُشْفِي غَلِيلُهُ سِوَى أَنْ يُرَى الرُّوحَانَ يَتَّحِدَانِ

والسبب اللّمّي في ذلك أنّ المحبوب في الحقيقة ليس هو العظم

ولا اللحم ولا شيء من البدن ، بل ولا يوجد في عالم الأجسام ما تشناقه النفس وتهواه ، بل صورة روحانية موجودة في غير هذا العالم^١ .
نعم ، هذه المسائل ذكرت ، لتبين عظمة الروح والنفس الإنسانية ، وإن كل ما هو موجود فهو منه ، وإليه ينتهي كل مقام ورتبة . فالبدن جسد مسخر لتنفيذ أوامر ونواهي النفس ليس إلا .
إن العشق يوّلد روحاً ، والعاشق يتحوّل إلى روح للمعشوق الحقيقي ، والمصدر الأول ، المجرد المنزه ، والصرف الخالص . وللروح قوّة هيوليّة ، وقابليّة بسيطة غير متناهية ، ليحظى بشرف لقاء الله ونعمة التكلّم إليه ، فيصبح عندها كليم الله .

إنّ على الإنسان أن يعرف قدر نفسه ، وأن لا يحكم على هذه الجوهرة النفيسة أن تكون أسيرة البدن ورغباته وشهواته الماديّة ، ولا يحبس القوّة الناطقة في حدود القوّة الحيوانيّة والبهيميّة ، ولا يبذل عشقه للأوجه الحسان في عالم التجرد ، بعشقه للأشقياء والعاصين في عالم الطبيعة ، فتكون عاقبته الخسران العظيم .

يقول صدر المتألّهين ، في بحث العظمة والتجرد والنورانيّة :

«اعلم أنّ هذه المسألة دقيقة المسلك بعيدة الغور ولذلك وقع الاختلاف بين الفلاسفة السابقين في بابها ، ووجه ذلك إنّ النفس الإنسانيّة ليس لها مقام معلوم في الهويّة ، ولا لها درجة معيّنة في الوجود كسائر الموجودات الطبيعيّة والنفسيّة والعقليّة التي كلّ له مقام معلوم ، بل النفس الإنسانيّة ذات مقامات ودرجات متفاوتة ، ولها نشآت سابقة ولاحقة ، ولها في كلّ مقام وعالم صورة أخرى ، كما قيل في البيت الشعريّ التالي :

١- «الأسفار الأربعة» ج ٧ ، ص ١٧١ إلى ١٧٩ .

لَقَدْ صَارَ قَلْبِي قَابِلًا كُلِّ صُورَةٍ فَمَرَعِي لِعِزْلَانٍ وَدَيْرًا لِرُهْبَانٍ^١
وما هذا شأنه صعب إدراك حقيقته وعسر فهم هويته ، والذي أدركه
القوم من حقيقة النفس ليس إلا ما لزم وجودها من جهة البدن وعوارضه
الإدراكية والتحريرية ، ولم يتفطنوا من أحوالها إلا من جهة ما يلحقها من
الإدراك والتحرير ، وهذان الأمران مما اشترك فيهما جميع الحيوانات .
وأما ما أدرك منها أزيد من ذلك وهو تجردها وبقاؤها بعد انقطاع
تصرفها عن هذا البدن فإنما عُرِفَ ذلك من كونها محلّ العلوم ، وأنّ العلم
لا ينقسم ومحلّ غير المنقسم غير منقسم ، فالنفس بسيطة الذات ، وكلّ
بسيطة الذات غير قابل للفناء وإلا لزم تركبها من قوة الوجود والعدم وفعليّة

١- قال الحكيم السبزواري في تعليقه على هذا البيت ما يلي :

«يعني بسبب اللطافة والبساطة في ألوانه صار قابلاً للتحوّل إلى كلّ صورة؛ سواء كانت
من جنس تلك الصور المترتبة والطوليّة الحاصلة له بواسطة الحركة الجوهرية والعرضية، أم
من الصور الذهنية غير المترتبة بالترتيب الطبيعي المعهود لها.
وبناءً على هذا فإنّ مَرَعِي لِعِزْلَانٍ هو باعتبار النشأة الحيوانية السابقة، وَدَيْرًا لِرُهْبَانٍ
باعتبار النشأة العقلية اللاحقة. أو أنّ خياله كان في السابق مصروفاً إلى أمتعة الدنيا من أنعام
وزرع وغيرهما، ثمّ كان قد تذكّر الله تعالى بعد ذلك والملائكة المقربين والأطهار المنتجبين
لساحته تعالى .

وأما التعبير بالغزال وذلك من جهة توحّشه، فهو إشارة إلى أنّ شهواته تشبه الحيوانات
الوحشية غير المعلمة طالما أنّها لم تكبح، إلا أنّه يمكن لقلب الإنسان أن يكون مرعى
للحيوانات الإنسيّة بكونها مسخرة ومقهورة تحت إشارة العقل وإيماءته للتوجّه إلى الله
تعالى، بل ويمكن أن يكمن خلاصه ونجاته بذبح حيوانيته بتقديم الهدى والقربان في سبيل
الله: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ . ولعلّ كذلك المراد بهذا
هو أنّ قلب الإنسان قد يتحوّل إلى مرعى للمحبوبة التي تمتلك عيوناً تشبه عيون الغزلان
الجميلة الطلعة».

الوجود والعدم هذا خلف .

هذا غاية عرفانهم بالنفس أو ما يقرب من هذا . ومن ظنّ أنّه بهذا القدر عرف حقيقة النفس فقد استسمن ذا ورم^١ .

وهنا يجهد صاحب «الأسفار» بطرق مختلفة في تعريف النفس وبيانها ، وبما أننا لسنا بصدد إثبات تجرّد النفس ، فسنعزف عن ذكره هنا . وعلى العموم ، يجب تطهير العين من النظر لغير ليلي ، وغسل الأذن من الاستماع ، إلّا لصوتها ، حتى تأذن بالنظر إلى طلعتها ، والإنصات لحديثها .

إلهي ، ما العمل ؟ وما الحيلة ؟ وإجمالاً ، هل من بارقة أمل ، أم علينا أن نلقي بأنفسنا في أحضان اليأس ؟

لقد قالت نساء الحيّ من قبيلة ليلي : اذهب وطمّر عينيك وأذنك . تطهير العين هو بالبكاء على فراق المحبوب الأزليّ في الليالي الحالكة ؛ وتطهير الأذن بغلقها عن سماع حديث السوء الذي يغضب المعشوق ؛ تطهير العين عن كلّ ما لا يحلّ الله النظر إليه وتطهير الأذن عن كلّ ما لا يحلّ الله الاستماع إليه .

أليس قد ورد في الروايات أن الله العليّ القدير يحبّ العين الباكية من بين سائر العيون ؟ وأنّ كلّ عين يوم القيامة ستبكي ، إلّا التي سهرت الليالي باكية من خوف الله .

ولكن لِمَ هذا البكاء ؟ هذا البكاء للنظرات التي كانت لغير الله ، وهو غُسل لدنّس وأوساخ البصر والبصيرة ؛ لأنّ النظر إلى ليلي بدون هذا الغسل والتطهير غير ممكن . فالتطهير - إذأ - هو طريق وسبيل يوصل إلى

١- «الأسفار الأربعة» ج ٨ ، ص ٣٤٣ و ٣٤٤ ، باب ٧ ، فصل ٣ .

الهدف ، وبعد طي هذه الطريق ، يسمو الإنسان أعلى وأعلى حتى يتعرف إلى الله ، وهناك حيث لا أحد غير الله . فكل المراحل قد طويت ، وهذا المسكين قد بكى حتى طهر ناظره ، ونساء الحبي قد كففت عن ملامته ، ويمضي ويمضي حتى يصل إلى ليلي إذ لم يعد عشقه مجازياً ولا مادياً ، كما لم تعد ليلي بدنأ ، بل هي روح ونفس مجردة ؛ وفي هذه الحال إذا أمست في المشرق وقيس في المغرب ، فهناك ارتباط بينهما . فهو يعيش صحوها ونومها ، ومرضاها وعافيتها .

كان كثير من أصحاب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأصحاب الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم على هذه الحال . هكذا كان أويس اليمانيّ القرنيّ وكانوا يحسّون بالوجدان نوايا أسيادهم وقادتهم ، وكانت ضمائرهم تُدرك الصالح والفاقد في الأمور على خطى ضمائر أسيادهم ومواليهم . فهذا أويس يكسر له ضرس في اليمن ، في نفس اليوم وفي نفس الساعة التي كُسر فيها ضرس النبيّ في يوم أحد .

قيل لَمَّا فُصِدَ قيس ، تعالى صياحه ، وفسّر ذلك بأنّه يخاف على ليلي من الألم ، وخشي أن - حين فصدوا يده - قد فصدوا يدها وهي في ديارها .
گفت مجنون من نمی ترسم ز نیش

صبر من از کوه سنگین است بیش

منبلم بی زخم ناساید تنم

عاشقم بر زخمها بر می تنم^١

١- يقول : «قال - مجنون ليلي - : أنا لا أخاف الميضع ، لأنّ صبري أقوى من الجبل

الشامخ .

ولأنني عاشق فإنّ جسمي لا يهدأ بعيداً عن الجروح التي أستطيع مقاومتها والصبر

على آلامها» .

ليک از لیلی وجود من پُر است
 این صدف پر از صفات آن دُر است
 ترسم ای فِصَاد اگر فِصدم کنی
 نیش را ناگاه بر لیلی زنی
 داند آن عقلی که او دل روشنی است
 در میان لیلی و من فرق نیست
 من کیم لیلی و لیلی کیست من
 ما یکی روحیم اندر دو بدن^١

الله سبحانه وتعالى شأنه نور ، وهو ظاهر ، وهو الذي أظهر جميع
 المخلوقات ؛ والإنسان يريد أن يصل إلى الله ، فكيف له إدراك الظاهر وهو
 المخلوق الذي يمثل ظهوراً ؟ فعندما يكفّ عن الظهور ، فإنه سيلتحم
 بالشعاع ويرجع إلى أصل النور . يرجع إلى الشمس ويخترق ذاتها ، وهناك
 لن يكون ثمّة شعاع ، فالشمس هي الشمس ولا يمكن لأحد أن يعرف ذاتاً
 للشمس غير الشمس نفسها .

ومهما تكلمنا عن الشمس وتحدثنا عن عظمتها وخصائصها
 وصفاتها ، فمن أين لنا أن نعرف كنه حقيقتها لتحدث عنها ؟ وأين
 سنراها ؟ أتى سندرك حرارتها ؟ بل كيف سنلمّ كمّتها وكيفها ؟ ملايين
 الفراسخ تفصلنا عنها ، وما يصلنا من حرارتها هو نزر يسير ليس إلا ، ومتى

١- يقول : «وإنّ وجودي مليءٌ بالحيويّة بسبب وجود ليلي ، فهذه الصّدفة (التي هي
 أنا) تعكس كلّ صفات تلك الجوهرة التي هي ليلي .

وأتني - أيها الحجاج - لأخاف أن تشته يدك فتجرح ليلي بينما تريد فصد عرقي .
 ذلك أنّ كلّ من له عقل وهو لبيب لا يمكنه التفريق بيني وبين ليلي .
 فأنا في الحقيقة ليلي وليلي هي أنا ، إذ نحن روح واحدة تسكن بدنيّين .»

ما أردنا رؤيتها وضعنا زجاجة سوداء على أعيننا ومن وراء حجاب أسود ومظلم نستطيع فقط رؤية قرصها .

هذا مبلغ علمنا عن الشمس ، فمن ذا الذي عرف الشمس كما هي ؟
الذي عرف كُنه الشمس وحقيقتها ، هو الذي انطلق من الأرض
ودخل في أعماقها ، وذاب وانمحي في ذراتها ، ولم يبق له أي أثر ،
وللأسف عندها لن يكون هو موجوداً فيها ، بل إن كلمة (هو) لن تجد لها
مكاناً في بطن الشمس .

مدح تو حيف است با زندانيان

گويم اندر مجمع روحانيان

مدح ، تعريف است و تخريق حجاب

فارغ است از مدح و تعريف آفتاب

مادح خورشيد مدّاح خود است

که دو چشمم روشن و نامرمد^١ است

ذمّ خورشيد جهان ذمّ خود است

که دو چشمم کور و تاریک و بد است^٢

١- أي غير المصابة بالرمد ، والرمد مرض يصيب العين فيجعلها ترى القمر محاطاً
بهالة دائمة .

٢- يقول : «إنّ مدحي لك مع السجناء مدعاة للأسف، إذ يجب مدحك ضمن جماعة
الروحانيين .

إنّ المدح تعريف وخرق للحجاب ، والشمس غنيّة عن المدح والتعريف .
إنّ مدّاح الشمس في الواقع يمدح نفسه، وكأنّه يقول: إنّ عينيّ مفتوحتان وسالمتان ،
غير مُرمدتين .

وإنّ من يذمّ الشمس إنّما يذمّ نفسه، فهو كمن يقول: عيناى لا تبصران شيئاً، ⇨

وقال في مكان آخر :

عاشقى پیداست از زارى دل

نیست بیماری چو بیماری دل

علت عاشق ز علتها جداست

عشق ، اضطراب اسرار خداست^١

* * *

آفتاب آمد دلیل آفتاب^٢

گر دلیلت باید از وی رو متاب

از وی ار سایه نشانی می دهد

شمس هر دم نور جانی می دهد

سایه خواب آرد ترا همچون سمر

چون بزاید شمس ، انشق القمر^٣

⇐ ولا أرى سوى الظلمة والشرّ.

ديوان «المثنوي» ص ٤٢٩ ، السطر ٤ و ٥ ، بداية (الكتاب الأول) ، طبعة آفا ميرزا

المحمودي .

١- يقول : «إنّ العشق ظاهر من خلال شكاوى القلب والفؤاد، ولا داء كالعشق أبداً.

إنّ علّة العاشق لا تشبه العلل الأخرى، فمثل العشق كمثل إسطرلاب أسرار الله».

٢- إشارة إلى الحديث عَرَفْتُ رَبِّي بِرَبِّي ، وكذلك يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ.

(التعليقة).

٣- يقول : «إذا كانت الشمس لك دليلاً للشمس فلا تُشعّ بوجهك عنها.

إنّها وإن كانت تُظهر الظلّ إلا أنّها تشعّ على العالم بالنور والضياء.

إنّ الظلّ يغريك على النوم كالقصة (التي تقال عند رأس من يريد النوم)، فلو ولدت

الشمس، انشق القمر».

خود غریبی در جهان چون شمس نیست

شمس جان باقئی کش أمس نیست^١

يقول الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي :

«الطَوَّافُونَ حَوْلَ كَعْبَةِ جَلَالِهِ قَدْ اعْتَرَفُوا بِتَقْصِيرِهِمْ فِي عِبَادَتِهِ
وَيُنَادُونَ : مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، وَتَحَيَّرَ الْعَارِفُونَ فِي وَصْفِ جَمَالِهِ
قَائِلِينَ : مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ !^٢»

١- يقول : «لا غريب كالشمس في هذا العالم، فمع انقضاء يوم أمس يبدو وكأن الشمس لم يكن لها وجود إلا اليوم».

ديوان «المنثوي» ج ١ ، ص ٤ ، سطر ١٢ و ١٦ و ١٧ ، طبعة ميرزا المحمودي .

٢- يقول السمعاني في كتاب «روح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتاح» ص ٥٤ :
«فتأتي ملائكة الملوك إلى صوامع العبادة وتشعل ناراً فيها، وتبعثر أكداس التقديس
والنسيح قائلةً : مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ . ثم يأتي العرفاء والموحدون ناشرين أيديهم
قائلين : مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ .»

وقال في ص ٥٩٦ : «إن قول الملائكة : مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ ، إنما هو إضاعة وتبديد
للجهد ؛ وقول الإنس : مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ ، معناه إشعال النار في الأكداس وإحراقها» .
وكتب نجيب مانل الهروي في تعليقه في ص ٦٩٧ :
مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ .»

كتب علاء الدولة السمناني يقول : إن إحدى مسائل الأصول موضع الخلاف بين الإمام
أبي حنيفة والإمام الشافعي هي أن أبا حنيفة يقول : مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ وَلَكِنْ عَرَفْنَاكَ
حَقَّ مَعْرِفَتِكَ ، في حين يقول الشافعي : مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ أَي مَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ .
(المجلس الأربعون ، ص ١٥٦ إلى ١٥٧) .»

ويقول علاء الدولة السمناني في كتابه «العروة» ص ٨٣ و ٨٤ : «وكذلك قال جميع
العرفاء . أما ما قاله الإمام الأعظم أبو حنيفة الكوفي فهو : سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ
وَمَا شَكَرْنَاكَ حَقَّ شُكْرِكَ ، وَلَكِنْ عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ ؛ يحمل هذا المعنى» .

گر کسی وصف او ز من پرسد بی دل از بی نشان چه گوید باز
عاشقان ، کشتگان معشوقند بر نیاید ز کشتگان آواز^١
نکس أحد العارفين رأسه في مراقبته واستغرق في بحر المكاشفة ،
وعندما أفاق سأله بعض الأصحاب : ماذا هيأت لنا من البستان إياه ؟
فأجاب العارف : شغفني زهر هذا البستان ، فوقفت عنده أقطف
لأصحابي بعضها ، فأسكرني عطره وغيبني سحره .

ای مرغ سحر عشق ز پروانه بیاموز
کان سوخته را جان شد و آواز نیامد
این مدعیان در طلبش بی خبرانند

کأنرا که خبر شد خبری باز نیامد^٢

* * *

ای برتر از خیال و قیاس و گمان و وهم
و ز هرچه گفته اند و شنیدیم و خوانده ایم
مجلس تمام گشت و به آخر رسید عمر
ما همچنان در اول وصف تو مانده ایم^٣

١- يقول :

«أيها السائل عن وصف الحبيب ما يقول الواله ما عسى أن يجيب
إنما العشاق قتلى للحبيب كيف للموتى بقول أو نحيب»

٢- يقول : «يا طائر فجر العشق ! تعلم من الفراشة كيف تحترق بصمت .

إنّ هؤلاء الباحثين عنه غافلون عن أنّ من صار خيراً لم يأت منه خير» .

٣- يقول : «يا من هو أسمى من الخيال والقياس والظنّ والوهم ، وأعلى من كلّ ما قلنا

وسمعنا وقرأنا .

لقد انقضى المجلس وتصرّم العمر ، ونحن حائرون في أول صفتك» .

وَكُلُّ يَدْعِي وَضَلًّا بِلَيْلَى وَلَيْلَى لَا تُقَرُّ لَهُمْ بِذَاكَ
إِذَا جَرَّتِ الدُّمُوعُ عَلَى الخُدُودِ تَبَيَّنَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَ
ذُكِرَتِ الرَّبَاعِيَّةُ التَّالِيَةُ بِالْمُنَاسَبَةِ فِي «مَفَاتِيحِ الإِعْجَازِ» :

رخ دلدار را نقاب توئی چهره یار را حجاب توئی
به تو پوشیده است مهر رخس ابر بر روی آفتاب توئی^١

وعلى العموم ، فهذا النوع من معرفة الله ، الذي هو عبارة عن اقتفاء الأثر للوصول إلى المؤثر ، وبحث سرّ الخلق للوصول إلى الخالق هي معرفة إجمالية وليست مفصلة . معرفة عن بعد ومن وراء حجاب ، وليست عن قرب وبدون حجاب ، وهي معرفة الضعفاء والعاجزين لا معرفة الرجال قويي الإرادة وعالي الهمة .

هذه المعرفة ، معرفة البعرة التي تدلّ على البعير ، والروثة تدلّ على الحمير . أين هذا من المعرفة بعد مجاهدة طويلة وعذاب مرير طوال عمر مديد ؟

◀ نقلاً عن نسختين ، الأولى نسخة قديمة مطبوعة كُتبت مع «بوستان» بخط علي أكبر التفرشي في شهر شعبان المعظم ١٢٦٠ هـ في عهد محمد شاه القاجاري . وصفحات هذه النسخة غير مرقّمة . الثانية : عن «كليات سعدي - ديوان سعدي» والتي جمعت تحت إشراف محمد علي فروغي ومن جملتها ديوان «گلستان» . وقد ذكرنا هنا هذا الكلام نقلاً عن ص ٣ منها .

١- يقول :

«أنت حجاب وجه المحبوب أنت ستار طلعة المحبوب
بك مستور مُحيّاه ووجهه أنت غيم بك ضوء الشمس محجوب»
«مفاتيح الإعجاز» في شرح «گلشن راز» (= بوستان الأسرار) للشيخ محمد اللاهيجي ،

ص ١١٠ .

يروى المجلسي رضوان الله تعالى عليه عن «جامع الأخبار»:
 سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ إِثْبَاتِ الصَّانِعِ ، فَقَالَ : الْبَعْرَةُ
 تَدُلُّ عَلَى الْبَعِيرِ ، وَالرَّوْنَةُ تَدُلُّ عَلَى الْحَمِيرِ ، وَأَثَارُ الْقَدَمِ تَدُلُّ عَلَى
 الْمَسِيرِ . (بهذا الاتجاه أو ذاك) فَهَيْكَلُ عَلَوِيِّ بِهَذِهِ اللَّطَافَةِ وَمَرَكَزُ سِنْفِيٍّ
 بِهَذِهِ الْكثَافَةِ كَيْفَ لَا يَدُلَّانِ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ؟!^١

وكذلك روى عن «جامع الأخبار»:

سُئِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى إِثْبَاتِ
 الصَّانِعِ؟!^٢

قَالَ : ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءَ : تَحْوِيلُ الْحَالِ ، وَضَعْفُ الْأَرْكَانِ ، وَنَقْضُ الْهَمَّةِ .^٢
 وفي «التوحيد» للصدوق عن ابن إدريس ، عن أبيه ، عن ابن هاشم ،
 عن ابن أبي عمير ، عن هشام بن سالم قال : سُئِلَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 فَقِيلَ لَهُ : بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟!
 قَالَ : بِنَفْسِ الْعَزْمِ وَنَقْضِ الْهَمِّ ؛ عَزَمْتُ فَفَسَخَ عَزْمِي وَهَمَمْتُ
 فَفَقَضَ هَمِّي!^٣

ومثل هذه المعرفة ، وهي التي يطلق عليها في المنطق البرهان
 «الإثباتي» ؛ معرفة من المعلول إلى العلة ، من المخلوق إلى الخالق ، ومن
 المصنوع إلى الصانع .

١- «بحار الأنوار» للعلامة شيخ الإسلام: الملا محمد باقر المجلسي رضوان الله عليه،
 ج ٣، ص ٥٥، كتاب التوحيد، الرواية ٢٧، طبعة المطبعة الحيدريّة.
 ٢- «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٥٥، كتاب التوحيد، الرواية ٢٩، طبعة المطبعة
 الحيدريّة..

٣- «بحار الأنوار» ج ٣، ص ٤٩، باب ٣: «إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه
 على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته»، الحديث ٢١، طبعة مطبعة الحيدريّ.

سُئِلْتُ عجوز: كيف عرفتِ الله؟ أجابت: من آلة النسيج هذه، فعندما أمسك مقبضها وأدوره بهذا الدوران ينسج الجبل، وحيث أرفعُ يدي وأتوقف عن التدوير تتوقف ويبقى الصوف والقطن على حاله، عندها لا نسيج ينسج، ولا ليف يبرم.

من هنا أيقنت أنّ للأفلاك والنجوم والكواكب السيّارة والشمس والقمر والأرض ونظام الخلق بأجمعه خالقاً مقتدرًا، متى شاء عطّل الوجود ورماه في هوة العدم. وإن شاء أمده بأسباب الحياة وأدار عجلة استمراره.

خبر داری که سیاحان افلاک

چرا گردند گرد مرکز خاک

در این محرابگه معبودشان کیست

وزین آمد شدن مقصودشان چیست

چه می خواهند از این محمل کشیدن

چه می جویند ازین منزل بریدن

چرا این ثابت است آن منقلب نام

که گفت این را بجنب آن را بیارام

مرا بر سرّ گردون رهبری نیست

جز آن کاین نقش دانم سرسری نیست^١

١- يقول: «هل تعلم لماذا تسبح الكواكب والأجرام في الأفلاك حول مركز التراب.

من هو معبودهم في هذا المحراب؟ وما مرادهم من هذا الدوران؟

ماذا يبغون من حملهم هذا الهودج؟ وما هو هدفهم من ترك هذا المنزل؟

لم نسمي هذا ثابتاً متقلباً؟ ولم يُقال لهذا متحرّكاً ولذاك ساكناً؟

أنا لا أملك دليلاً على سرّ هذا الدوران لكنّي أعلم أنّ هذا النظام ليس عبثاً».

از این گردنده گنبدهای پر نور
 بجز گردش چه شاید دیدن از دور
 بلی در طبع هر داننده‌ای هست
 که با گردنده گرداننده‌ای هست
 از آن چرخه که گرداند زن پیر

قیاس چرخ گردنده از آن گیر^١
 ولهذا قيل : وَعَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ! ولكن مهما يكن من أمر ، عليك
 أن لا تنسى بأنك رجل ، بل رجل يافع تملك إرادة ، فإذا اقتضت على دين
 العجائز كان مصيرك الحزن والندامة في الحياة الدنيا ، والحسرة والخذلان
 في الآخرة .

يقول فخر الشيعة الاثني عشرية العالم الجليل الشيخ محمود بن
 عبد الكريم نجم الدين الشبستري ، وهو من علماء القرن السابع الهجري
 تغمده الله بأعلى درجات رضوانه ، في هذا الشأن :
 تو از عالم همين لفظی شنیدی

بیا بر گو که از عالم چه دیدی؟^٢

١- يقول : «ماذا يمكن أن يرى من محرّك هذه الأجسام المنيرة الدائرة سوى الدوران؟
 نعم فكلّ لبيب يفهم أنّ لكلّ دائرة مُدوّر.
 فقس الفلك الدائر بمغزل العجوز وخذ عبرة منه».

«كليات حكيم نظامي گنجوی» (= الديوان الكامل للحكيم النظامي الكنجوي)
 ص ١٢٣ و ١٢٤ ، طبعة منشورات أمير كبير ، القسم الخاصّ بـ(خسرو و شیرین) تحت عنوان
 «استدلال نظر وتوفيق شناخت» (= استدلال الرأي والتوفيق للمعرفة)، وهي قصيدة مفصلة
 انتخبنا منها الأبيات المذكورة.

٢- يقول : «أنت لا تعرف من هذا العالم إلا اسمه، وإذا كنت قد رأيت شيئاً منه،»

چه دانستی ز صورت یا ز معنی ؟
 چه باشد آخرت چونست دُنیی ؟
 بگو سیمرغ و کوه قاف چبود ؟
 بهشت و دوزخ و أعراف چبود ؟
 کدام است آن جهان کو نیست پیدا
 که یک روزش بود یک سال اینجا ؟
 همین نبود جهان آخر که دیدی
 نه ما لا تُبْصِرُونَ آخر شنیدی ؟
 بیا بنما که جابلقا کدام است
 جهان شهر جابلسا کدام است
 مشارق با مغارب هم بیندیش
 چه این عالم ندارد جز یکی بیش
 بیان مِثْلَهُنَّ ز ابن عَبَّاس
 شنو پس خویشان را نیک بشناس^۱

﴿ فقل إذن ماذا رأيت ؟ ﴾.

۱- يقول: «ماذا عرفت عن الصورة أو المعنى؟ أم ما هي الآخرة وما هي الدنيا؟
 قل ما هي العنقاء أو جبل قاف؟ أم ما هي الجنة والنار والأعراف؟
 أين ذلك العالم، لم لا يبين؟ أين ذلك العالم الخفي الذي يعادل يومه سنة من هذا
 العالم؟»

لم يكن هذا العالم الذي رأيتَه هو العالم الآخر، أما سمعت عن (ما لا تُبصرون)؟
 تعال وقل أيّ المدن هي جابلقا وأيها هي جابلسا؟: وَتَفَكَّرْ كَذَلِكَ بِالْمَشَارِقِ
 وَالْمَغَارِبِ، لِأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ لَا يَمْلِكُ إِلَّا مَشْرِقًا وَاحِدًا وَمَغْرِبًا وَاحِدًا.
 اسمع بيان (مِثْلَهُنَّ) من ابن عَبَّاس، ثُمَّ اعْرِفْ نَفْسَكَ جَيِّدًا.

تو در خوابی و این دیدن خیال است
 هر آنچه دیده‌ای از وی مثال است
 به صبح حشر چون گردی تو بیدار
 بدانی کآن همه وهم است و پندار
 چه برخیزد خیال چشم أحول
 زمین و آسمان گردد مبدل
 چه خورشید جهان بنمایدت چهر
 نماند نور ناهید و مه و مهر
 فتد یک تاب از آن بر سنگ خاره
 شود چون پشم رنگین پاره پاره
 بدان اکنون که کردن می‌توانی
 چه نتوانی چه سود آنکه که دانی
 چه می‌گویم حدیث عالم دل
 ترا سر در نشیب و پای در گل^۱

١- يقول: «أنت غاطّ في النوم ونظرك خيال، وكلّ ما رأيته ليس إلّا مثلاً. لكن عندما تصحو يوم الحشر وتنبه ستعلم حينئذٍ أنّ ذلك لم يكن إلّا وهمًا وظنًّا. إذا فتح الأحوال عينيه بدت السماء والأرض في عينيه على غير ما هما عليه وخلافاً لحقيقتيهما.

لو ظهرت لك شمس العالم وطلعت ما أبقث للزُّهرة نوراً ولا للقمر ضياءً. ولو سقط شعاع منها على حجر الصوّان لأحاله إلى عيْنٍ منغوش. اعلم مادمت قادراً على عمل شيء ما الآن، فلا فائدة من علمك إن كنت عاجزاً عن فعل شيء.

ماذا أقول عن حدیث عالم القلب، فرأسك مُنكّس في غور وقدمك في الوحل».

جهان آن تو و تو مانده عاجز
 ز تو محروم تر کس دید هرگز؟
 چو محبوسان به یک منزل نشسته
 بدست عجز ، پای خویش بسته
 نشستی چون زنان در کوی ادبار
 نمداری ز جهل خویشان عار
 دلیران جهان آغشته در خون
 تو سر پوشیده ننهی پای بیرون
 چه کردی فهم از این «دین العجائز»
 که بر خود جهل می داری تو جایز؟
 زنان چون ناقصات عقل و دینند
 چرا مردان ره ایشان گزینند؟
 اگر مردی برون آی و نظر کن
 هر آنچ آید به پیشت زان گذر کن^۱

۱- يقول : «العالم بيدك وأنت حائر عاجز، فلا أظنُّ أن أحداً حرم تلك النعمة كما هو الحال معك.

فأنت جالس كالسجين في البيت، مقيداً قدميك بالعجز.
 جلست كالنساء مُدبراً وحيداً، جاهلاً أن ذلك إنما هو عارٌ.
 فالأشواوس في العالم مخضَّبون بدمائهم، في حين أنك متخفٌ لا تجرؤ على الخطو
 خارج منزلك.

ماذا فهمت من «دین العجائز» هذا، حتى أجزت الجهل على نفسك؟
 النساء ناقصات عقل ودين، فكيف يتبعهم الرجال؟
 فلو كنت رجلاً اخرج وألتي نظرة، وتجاوز عما يقف في طريقك».

مياسا يك زمان اندر مراحل
 مشو موقوف همراه رواحل
 خليل آسا برو حقّ را طلب كن
 شبی را روز و روزی را به شب كن
 ستاره بامه و خورشید اكبر
 بود حسّ و خیال و عقل انور
 بگردان زان همه ای راهرو روی
 همیشه لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ گوی
 و یا چون موسی عمران در این راه
 برو تا بشنوی إني أنا الله
 ترا تا کوه هستی پیش باقی است
 جواب لفظ أرني ، لَنْ تَرَانِي است
 حقیقت کهربا ، ذات تو گاه است
 اگر کوه توئی نبود چه راه است ؟^١

١- يقول : «لا تتوقّف في أيّة مرحلة من المراحل في أيّ وقت كان، ولا تحطّ رحلك متى حطّت الرواحل رحلها.

اتكلّ على الخليل وابتحث عن الحقّ، وصل من أجل ذلك الليل بالنهار.
 إنّ النجم بالاشتراك مع القمر والشمس، كلّها تُمثّل الحسّ والخيال والعقل الأنور.
 ملّ عن كلّ ذلك يا عابر السبيل، وردّد دوماً عبارة «لا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ».
 أو كن في مسيرك هذا كموسى بن عمران حتّى تسمع نداء «إني أنا الله».
 ما بقيّ أمامك للوصول إلى جبل الوجود إلاّ سماعك نداء «لَنْ تَرَانِي» جواباً لـ «أرني».
 إنّ الكهرباء هي الحقيقة وما ذاتك إلاّ تبنّاً، ولو لم يكن جبل الـ«أنت» موجوداً، لما بقيّ أمامك من طريق تطويه».

تجلی گر رسد بر کوه هستی
 شود چون خاک ره ، هستی ز پستی
 گدائی گردد از یک جذبه شاهی
 به یک لحظه دهد کوهی به کاهی
 برو اندر پی خواجه به اُسری
 تفرّج کن همه آیات کُبری
 برون آی از سرای اُمّ هانی
 بگو مطلق حدیث مَن رءانی
 گذاری کن ز کاف کُنج کونین
 نشین بر قاف قرب قاب قوسین
 دهد حقّ مر ترا از آنچه خواهی
 نمایندت همه اَشیا کما هی^١
 لقد أغلق الشيخ رحمه الله ، في الأبيات المختصرة التي مرّت آنفاً ،

١- يقول : «لو طال التجلّي جبل الوجود لأحال الوجود إلى كومة تراب لتفاهته وصغره».

قد يتحوّل المسكين إلى سلطان بجذبة واحدة ولاستبدل جبلاً بكومة من تين .
 رافق الخواجة في رحلة الإسراء (المعراج) وتطلّع إلى جميع الآيات الكبرى .
 اخرج من قصر اُمّ هاني ، واتل حديث «من رأني» كاملاً .
 اجتزأ الـ«كاف» في الـ«كُونين» واعبر إلى الـ«قاف» في «قاب قوسين» .
 سيعطيك الحق حينها كل ما ترغب وتمنى وسيريك جميع الأشياء كما هي على
 حقيقتها».

«گلشن راز» ص ١٦ إلى ١٩ ، بخطّ النسّعليق ، للعماد الأردبيليّ ، منشورات مكتبة الأحمديّ ، شیراز .

كَلَّ أبواب عبادة النفس ودلَّ على الطريق إلى الله ، وبما أنَّ كتابنا هو في (معرفة الله) فقد رأينا من المناسب ذكرها هنا .

بيدَ أنَّ بعض هذه الأبيات تحتاج إلى شرح وتوضيح ، ومنذ عصر الشيخ وحتى الآن ، لم يظهر شرح أحسن ولا أوضح ولا أقرب إلى القلب من شرح العالم الجليل : الشيخ محمد بن يحيى بن عليّ الجيلانيّ اللاهيجيّ ، وعلى الرغم من مضي خمسمائة وثمانية وثلاثين عاماً منذ ذلك الوقت وحتى هذه السنة ، وهي سنة (١٤١٥ هـ)^١ على هذا الشرح ، فهو لا يزال مرجعاً لأعلام الفنّ ، وارتأى أن تورّد نفس عباراته لتوضيح مفاهيم الشيخ . كما أن متانة الكلام وقوة البرهان وسلاسة الإنشاء وعذوبته ورقّة الشّعْر

١- كما علمنا فإنّ المرحوم الشيخ قام بنظم «گلشن راز» سنة ٧١٧ هـ وقد شرّحه المرحوم اللاهيجيّ كما في «مفاتيح الإعجاز» المطبوع مع مقدّمة السيّد كيوان سميعي ، منشورات المحموديّ ، ص ٢ ، وكان قد بدأ بشرّحه سنة (٨٧٧) ، وعلى هذا تكون قد مضت (٦٩٨) سنة على نظم «گلشن راز» و(٥٣٨) سنة على شرّحه .

وجاء في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» ج ٢١ ، ص ٣٠١ :

«إنّ «مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز» هو كتاب من تأليف شمس الدين محمد المعروف بد(أسيري) اللاهيجيّ النوربخشيّ وهو حائز على إجازة من السيّد محمد نوربخش (المذكور في ج ٩ ، ص ٧٦) . وقد أشرنا إلى بعض الشرح من «گلشن راز» في ج ١٣ ، ص ٢٦٨ إلى ٢٧١ . بدأ اللاهيجيّ بتأليف هذا الكتاب في يوم الاثنين ١٩ ذي الحجّة من سنة ٨٧٧ ، وقد طُبِعَ الكتاب المذكور مراراً وتكراراً ، ومن ضمن تلك الطبعات طبعة بومباي سنة ١٣٠١ ، وتبدأ هذه الطبعة بالعبارات التالية : «بَاسْمِكِ الْأَعْظَمِ الشَّامِلِ فِيضُهُ الْمُقَدَّسُ لِكُلِّ مَوْجُودٍ ... اي محمود به هر شأني و اي معبود به هر مكاني» . والنسخ الخطيّة لهذا الكتاب متوفّرة ومتشّرة . وأقدم تلك النسخ ، حسب علمي ، هي النسخة الموجودة في القاهرة (دار الكتب ٧ م تصوّف فارسي) كُتِبَتْ في سنة ٨٨٥ ، والأخرى موجودة في طهران (المجلس ١١١٧) كُتِبَتْ في سنة ٩٠٠ ، ونسخة أخرى عند سلطان القرائي في طهران وهي مكتوبة سنة ٩٠١» .

وسحره جعلته يتربّع على عرش البيان .

وها نحن نشرع بالشرح ، وحيثما كانت الحاجة إلى الملاحظات الضرورية قمنا بتسجيلها ، بِحَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

يقول الشيخ محمد اللاهيجي :

«لأنَّ الحقَّ تعالى متجلِّ بجميع الأشياء والأعيان ، وأنَّ العلم والحياة لازمتا الذات الإلهية ، وبالطبع أينما كان الملزوم ، كان اللازم ، فهذا ، أينما وُجد الوجود ، وُجد العلم والحياة .

وغاية ما في هذا الباب ، أنه إذا كان مكان ظهور التجلّي لا يحوي الاعتدال الموجب لظهور الحياة والعلم ، عندئذٍ ستبقى تلك الصفات كامنة فيه ، كالشخص المغمى عليه .

إذاً جميع الأشياء هي ذات علم وحياة ، وكلّ شيء له حياة ، فبالقطع له نفس أيضاً ، وكلّ نفس موجودة - بالقوة أو بالفعل - تكون بالضرورة مدركة لوجودها . وحرّياً بها أن تدرك الوجود المطلق ، حيث العامّ يكون أوضح من الخاصّ ، أي أنّ كلّ ما في الكون يدرك ذاته - بالقوة أو بالفعل - وهذا الإدراك يفتح الطريق إلى ساحة الله تعالى ، لأنّ ذات الحقّ تعالى متجلّية وظاهرة في جميع الأشياء .

نطق آب و نطق خاك و نطق گل هست محسوس حواس اهل دل
فلسفی کآن منکر حنّانه است از حواس اولیا بیگانه است^١
فكلّ موجود مظهر لوجه الله تعالى ومرآة له ، وهو متجلّ بجميع

١- يقول: «إنّ أهل العشق هم الذين يفهمون منق الماء والتراب والطين .

إنّ الفيلسوف الذي لا يؤمن بالحنّانة فهو بعيد كلّ البعد عن الأولياء وأحاسيسهم» .

الأشياء ، ولكنته تواری في حجاب التعینات . ويقول أيضاً :

به زیر پرده هر ذره پنهان جمال جانفزای روی جانان^١
 وأما من عجائب السرّ الإلهي ، أنه جلّت قدرته في أوج ظهوره
 محتجب ، وفي أوج احتجابه ظاهر ، وعلى الرغم من أنه لا موجود كائن
 بدونه ، وأنه عين كلّ شيء ، وأضحى التعین والتشخص حلّة جماله ، فإنّ
 جمال ذلك المحبوب الحقيقيّ الأخاذ قد كمن وفي ضمير كلّ ذرّة من ذرّات
 العالمين ، بدا بكلّ صورة ولون .

بَدَتْ بِاِحْتِجَابٍ وَاخْتَفَتْ بِمَظَاهِرٍ

عَلَى صَبِغِ التَّلْوِينِ فِي كُلِّ بَرَزَةٍ^٢

خورشید به ذره چون نهان است چون ذره به نور خود عیان است
 حیف است که مهر روی جانان مستور به پرده جهان است
 از بهر چه نور عالم آرا در ظلمت این و آن نهان است
 خورشید رُخش به جلوه آمد ذرّات جهان نمود آن است^٣

١- يقول: «إِنَّ فِي كُلِّ ذَرَّةٍ جَمَالَ مَخْفِيٍّ يَشَعُّ عَلَى الْأَرْوَاحِ».

٢- هذا هو البيت السادس والأربعون بعد المائتين من تائيّة ابن الفارض الكبرى والتي يبلغ مجموع أبياتها (٧٦١) بيتاً وتعرف بـ«نظم السلوك»، وهذه الأبيات توجد في ص ٧٠ من مجموعة «ديوان ابن الفارض الكامل» طبعة دار صادر، دار بيروت، سنة ١٣٨٢ هـ. وأمّا البيتان اللذان يسبقان هذا البيت فهما:

فكُلُّ صَبَا مِنْهُمْ إِلَى وَصْفِ لِبْسِهَا بِصُورَةٍ حُسْنٍ لَاحٍ فِي حُسْنِ صُورَةٍ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ بَدَتْ بِمَظَاهِرٍ فَظَنُّوا سَوَاهَا وَهِيَ فِيهَا تَجَلَّتْ

٣- يقول: «ليست الشمس إلا كذرة، لكنّ هذه الذرّة تشعّ بنورها».

أسفاً أن تكون هذه الشمس الساطعة على الخلائق محجوبة بحجاب الدنيا.

لِمَ يُحْبَسُ هَذَا النُّورُ الْمَشْرُقُ عَلَى هَذَا الْعَالَمِ فِي ظِلْمَةِ هَذَا وَذَلِكَ.

فَسُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ مَا ظَهَرَ فِي مَظْهَرٍ إِلَّا وَاحْتَجَبَ بِهِ .
قَاعِدَةٌ فِي أَنَّ مَرَاتِبَ ظُهُورِ الْحَقِّ غَيْرُ مُتَنَاهِيَةٍ :

وبعد أن أشار ضمن تفكره في الآلاء والنعم إلى بيان صدور الكثرة من الوحدة ، وظهور الوحدة في الكثرة ، تطرق إلى ترتيب مقدمة من جهة تنبيه الغافلين وترغيب الطالبين ، حيث تحدثت تلك المقدمة عما تتوقف عليه المعرفة التامة ، وقال تحت عنوان قاعدة :

إنّ هذه القاعدة تشير إلى أنّ مراتب الظهور الإلهي لا متناهية ، وإنّما نحصل على المعرفة الحقيقية ، عند حصولنا على الاطلاع الكشفي على هذه المراتب الكلية .

واعلم أنّ العالم لا يقتصر على عالم الشهادة هذا ، وأنّ هذا العالم ، إنّما هو انعكاس بالقياس إلى العوالم الغيبية المعنوية ، وأنّ للحقّ تعالى ظهوراً مختلفاً في كلّ من عوالم التجلي والظهور ، وعلى هذا قال :

تو از عالم همين لفظی شنیدی بیا بر گو که از عالم چه دیدی؟!^١
حيث يقول : إنّك من هذا العالم الذي تعرفه إنّما سمعت لفظاً ، وما دريت أنّ العالم أكبر من ذلك . لأنّه قيل : إنّ العالم ، هو ذلك الذي يتوصّل به إلى معرفة شيء ما ، وبهذا المعنى ، يكون اشتقاق كلمة العالم أظهر من كلمة العلم . لذا ، فإنّ تسمية الموجودات بالعالم ، هي بواسطة أنّه وسيلة وآلة لإدراك الحقّ تعالى . مثله كمثل الخاتم ، الذي يدلّ على الشيء الذي يختم به .

﴿ لقد تجلّى وجه الشمس ومحيّاها وأضحت ذرّات العالم مظاهر لها.﴾

١- يقول : «أنّك لا تعرف من هذا العالم إلا اسمه ، وإذا كنت قد رأيت شيئاً منه ، فقل إذن ماذا رأيت؟» .

وعلى هذا المعنى أمكن إطلاق كلمة العالم على مجموع الأشياء الموجودة ، وكذا أمكن إطلاقه على كل مرتبة بل وكل فرد ، ولهذا فهو يقول ، هلّم وأخبرني عمّا رأيت من هذا العالم ؟ وإلى أيّ من هذه العوالم وصلت ؟ ذلك أنّ العوالم غير المحسوسة كثيرة ، وقد ورد في الأخبار ، أنّ العوالم كثيرة ، وقد أشار بالتفصيل إلى ذلك :

چه دانستی ز صورت یا ز معنی ؟

چه باشد آخرت چونست دنیا؟!^١

يقول ماذا علمت عمّا قيل من عالم الصورة والمعنى ؟ اعلم ، أنّ ما يمكن إدراكه بالحواس الظاهرة ، إنّما هو الصورة ، وأنّ ما لا تدركه الحواس الظاهرة ، هو المعنى أو ما يسمّى بالغيب والشهادة .

وأما الدنيا ، فهي عبارة عن هذا العالم ، الذي تتعلّق فيه النفس الإنسانيّة بالبدن ، وبواسطة الآلات البدنيّة ، يمكنها اكتساب الأخلاق والأعمال من سيّئات وحسنات . ويعبّر عن ذلك ، بالنشأة الأولى ؛ وأما الآخرة ، فهي العالم الذي تُقاضى فيه النفس بعد مفارقتها البدن ، وتجرى على أخلاقها وأعمالها ، **إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ**.^٢

١- يقول :

«ما الذي علمته من صورة أو معنى ؟ وما هي الآخرة ، كيف حال الدنيا؟»

٢- قال ابن مالك في ألفيته في باب كان :

وَيَحذِفُونَهَا وَيَبْقُونَ الْخَيْرَ وَبَعْدَ إِنْ وَلَوْ كَثِيرًا ذَا اشْتَهَرَ

ويقول المألا جلال السيوطي ، شارح الألفية ،: ومثله قول: «المرء مجزيّ بعمله ، إن خيراً فخيراً». أي : إن كان عمله خيراً.

ويقول أبو طالب في حاشيته: «وورد في بعض الكتب «الناس مجزيون بأعمالهم» ، وقيل إنّ هذا القول هو حديث». («البهجة المرضية» بخط عبد الرحيم ، ص ٥٥).

وسوف نشير إلى حقيقة معني كَلَّمُوا النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ^١
 باختصار أثناء شرحنا للأبيات إن شاء الله تعالى .
 ولَمَّا كَانَ الْهَدَفُ وَهُوَ مَعْرِفَةُ الطَّالِبِ لِمَا لَا يُدْرِكُ بِالْحَسِّ وَالْعَقْلِ حَقَّ
 إدراكه ، ليس بسهل ، وإنما يستند على تنقية الفؤاد : فقد قال :
 بگو سیمرغ و کوه قاف چبود ؟

بهشت و دوزخ و أعراف چبود ؟^٢
 واعلم أنه قد رويت وقيلت الكثير من الحكايات حول طائر العنقاء
 كلُّ حسب تأويله ، وأما ما يخطر ببال الحقير الفقير فهو أن العنقاء رمز
 للذات الواحدة المطلقة ، وأن القاف ، وهو مقرّها ، يرمز إلى الحقيقة
 الإنسانيّة التي هي مظهر تامّ لتلك الحقيقة ، وأن الحقّ بكامل أسمائه

١- لم يرد حديث بهذا الشكل في كتب الشيعة، وأما ما ورد فهو بالشكل التالي :
 نَحْنُ - إِنَّا - مَعَاشِرَ الْأَنْبِيَاءِ أَمْرًا أَنْ نَكَلِّمَ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ . («المحجّة البيضاء»
 ج ١ ، ص ١٢٢ ؛ «تحف العقول» ص ٣٧ ؛ «بحار الأنوار» الروضة، ج ١٧ ، ص ٤١ ، طبعة
 الكمبانيّ ؛ وقد وردت الرواية كاملة في «أصول الكافي» ج ١ ، ص ٢٣).
 نعم، قد وردت أحاديث نبويّة مرسلّة عن طريق العامّة في كتاب «مرصاد العباد»
 ص ١٥ ، طبعة بُنگاه ترجمه ونشر كتاب. ووردت كذلك في كتاب «أحاديث مثنوي»
 (=أحاديث المثنويّ) في موضعين: الأول في ص ٣٧ ، رقم ٩٣ :

پست می گویم به اندازۀ عقول عیب نبود این بود کار رسول
 يقول : «أتكلّم كلاماً بسيطاً تطيقه العقول ، وليس هذا عيباً ، لأنّه كان فعل الرسول» .
 والثاني في ص ١٢٩ ، رقم ٣٩٣ :
 رنگ و بودر پیش ما بس کاسد است لیک تو پستی ، سخن کردیم پست
 يقول : «إنّ اللون والرائحة كاسدان لدينا ، ولكنك بسيط فتكلّمنا كلاماً بسيطاً» .
 ٢- يقول :

«أتعرف ما العنقاء أو طود قاف ؟ أو الجنّة وجهنّم والأعراف ؟»

وصفاته ، متجلّ وظاهر بها .

وأما ما قيل من أنّ جبل قاف محيط بالعالم من كلّ جوانبه لعظمته ، فإنّ هذا المعنى ظاهر في الحقيقة الإنسانية ، لأنّ تلك الحقيقة كما مرّ بيانها ، تشتمل على جميع حقائق العالم ، ولأنّ الإنسان يمثل أحديّة الجمع ظاهراً وباطناً ، وهو منتخب كلّ العالم وخلصته .

وكلّ من وصل إلى معرفة الحقيقة الإنسانية ، اعتماداً على قاعدة أنّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ^١ ، تيسّرت له رؤية الحقّ تعالى ومعرفته ، حيث إنّ : مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ^٢ ؛ وعلى هذا ، فإنّ من وصل إلى جبل

١- جاء في تفسير «الميزان» ج ٦ ، ص ١٨٢ ، في (بحث روائي) في ذيل الآية الشريفة يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ ، نقلًا عن «الغرر والدرر» للآمدّي ، عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ . وروى كلّ من الشيعة والسنة ذلك أيضاً ، وهو حديث مشهور . وقال بعض العلماء : هذا الحديث يُشير إلى التعليق بالمحال ومفاده استحالة معرفة النفس باستحالة الإحاطة العلميّة بالله سبحانه ؛ وهذا القول مرفوض أولاً لقول النبيّ صلّى الله عليه وآله في رواية أخرى : أَعْرِفُكُمْ بِنَفْسِهِ أَعْرِفُكُمْ بِرَبِّهِ . وثانياً أنّ هذا الحديث مُناقض لقول الله تعالى : وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ . وقد أفاض العلامة في بحث مفصل حول هذا الحديث واستشهد بكثير من الروايات حول ذلك في ص ١٨٦ .

هذا وقد ورد الحديث المذكور كذلك في «مرصاد العباد» ص : ٣ ، ١٧٤ ، ١٨٥ ، ٤١٣ ، و ٥٣٥ ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب .

٢- جاء في كتاب «أحاديث المشنوي» ص ٦٢ ، و ٦٣ ، الطبعة الثانية :

چون مرا دیدی خدا را دیدی بی
گرد کعبه صدق بر گردیده بی
مقتبساً معناه من الحديث القائل : مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ . (البخاري) ج ٤ ، ص ١٣٥ ؛ «صحيح مسلم» ج ٧ ، ص ٥٤ ؛ «كنوز الحقائق» ص ١٢٥ ؛ مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُتْرَأَى بِي . (الجامع الصغير) ج ٢ ، ص ١٧٠ .

قاف ، فقد وصل إلى العنقاء . شعر :

گر نه آن حسن در تجلی بود

آن أنا الحقّ که گفت : سُبحانی^١

که تواند به غیر او گفتن

لَیسَ فی جُبتی^٢ که می خوانی^٣

١- قال السمعاني في كتاب «رُوح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتاح» ص ١٢٩ و١٣٢: «كان بايزيد يصيح: سُبحاني ما أعظم شأنِي . وهو القائل: سُبحاني سُبحاني». وقال علاء الدولة السمناني في «العروة لأهل الخلوة والجلوة» ص ٩٤: «لكن اعلم أنه إذا انتهى التجليّ الصوريّ والذي لا يرى بعده تجلّ آخر، فإنه سيرى ختامه على صورته وسيكون مصدراً للفناء لاهجاً بلسانه عبارة: أنا الحقّ ، و سبِحاني دون إرادته». ويقول الشيخ نجم الدين الرازي في كتاب «العشق والعقل» ص ٨٩: «وإذا خرج الجسم من بيضة الوجود، صرخ قائلاً: سبِحاني ما أعظم شأنِي ؛ بينما لا تزال قدمه داخل البيضة». ٢- قال سعيد الدين الفرغاني في كتاب «مشارك الدراري» ص ٦٣٤: «إلا إذا كان كالشخص الذي يصل بكمال التخلّق والتحقّق بالأسماء الإلهية إلى مقام الجمع الوجودي ويغرق في بحره اللجّي . حينئذٍ سيصرخ بلسان الجمع الإلهي قائلين: أنا الحقّ و سبِحاني وليس في الجنة سوى الله .

وقال في «السيرة الحلبية» ج ١ ، ص ٢٩٠: «ومن ثمّ ذكر القاضي عياض في «الشفاء»: أن من ادعى حلول الباري في أحد الأشخاص كان كافراً بإجماع المسلمين . وقول بعض العارفين وهو أبو يزيد البسطاميّ : سبِحاني ما أعظم شأنِي ، وقوله: إنّي أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، وقوله: وأنا ربّي الأعلى ، وقوله: أنا الحقّ وهو أنا وأنا هو ؛ ليس من دعوى الحلول في شيء» .

٣- يقول : «لولا وجود ذلك الجمال المتجلّي ، لما قال من قال أنا الحقّ ، أو سبِحاني .

من يجرؤ غيره على قول (العبارة التي تردّها): ليس في جبتِي ؟» .

هر چه هستی است در تو موجود است

خویشتن را مگر نمی دانی^١

واعلم ، أن الجنة والنار ، إنما هي مظاهر في جميع العوالم الإلهية ، ولا ريب في كونها من الأعيان التي هي صور علمية في العلم الإلهي ، ويكثر وجودها في العالم الروحاني أكثر منه في الوجود الجسماني كذلك . وأن إخراج آدم وحواء من الجنة ، إنما هو إشارة إلى ذلك ، وللنار كذلك وجود في هذا العالم الروحاني ، ذلك أن العالم الروحاني مثال لما هو موجود في علمه ، والأحاديث التي تدل على وجودهما كثيرة ، وقد أشار الرسول عليه الصلاة والسلام إلى مسألة إثبات وجودهما في عالم الدنيا بقوله ، **الدُّنْيَا سَجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**^٢ . وكذا في الآية الشريفة : **وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ**^٣ .

وفي مكان آخر ، أشار كذلك إلى إثبات وجودهما في البرزخ المثالي قائلاً : **الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ**^٤ . وهو

١- يقول : «إِنَّ كُلَّ مَا هُوَ موجود من وجود يكمن فيك أنت؛ عجباً، ألا تعرف نفسك؟» .

٢- أورد صاحب «مرصاد العباد» الجزء الأول من هذه الرواية في ص ١٢٦ ؛ وقال في ص ٥٩٨ في معرض توضيحه : «ورد هذا الحديث في «ترك الإطباب» ص ٧٦ ؛ وورد في شرح «الشهاب» بالفارسية ص ٧٥ ؛ و«أحاديث مثنوي» ص ١١ .

٣- الآية ٤٩ ، من السورة ٩ : التوبة .

٤- ذكر المألاً صدرها هذه الرواية في تفسيره لسورة الطارق ، ص ٣٢ ، طبعة انتشارات بيدار ، قائلاً : **وَمِمَّا يُدَلُّ عَلَى الْبَرْزَخِ قَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّيرانِ** . وقد أورد المعلق في تعليقه المصادر التالية : «الترمذي» ج ٤ ، ص ٦٤٠ ، الباب ٢٦ ، كتاب صفة القيامة .

⇨ وكذا في «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٢٠٥ ، الطبعة الحروفية؛ و«سفينة البحار» ج ٢ ، ص ٣٩٥ ، الطبعة الحجرية؛ وكذلك في نفس مُجلّد «البحار» هذا في باب أحوال البرزخ والقبر، ص ٢١٨ ، حديث ١٣ ، نقلاً عن «الأمالى» فيما كتب أمير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن أبي بكر: **يَا عِبَادَ اللَّهِ! - ثُمَّ يَقُولُ بَعْدَ سَطْرَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ -: وَالْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ.**

وجاء في «أحاديث المشنوي» ص ١٤٠ ، برقم ٤٣٣ البيت التالي على لسان مولانا (محمد الرومي):

گورها يكسان به پيش چشم ما روضه وحفره به پيش انبيا
يقول: «إِنَّ القبور كلها تبدو لنا (نحن البشر العاديون) واحدة ومتشابهة ولا فرق بينها، لكنّها بنظر الأنبياء إما أن تكون روضة غناء أو حفرة دهماء».

وقيل: «إِنَّ هذا إشارة إلى الحديث القائل:
إِنَّمَا الْقَبْرِ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ. (الجامع الصغير» ج ١ ، ص ٦٢)».

وأيضاً قال المَلّا صدرا في «تفسير سورة السجدة» ص ٨٩ ، منشورات بيدار:
وقد انتهى الكلام إلى ما عجز عن دركه جمهور الأنام ؛ اللهم اجعل هذه الكلمات محروسة عن ملاحظة الناقلين ، واسترّها عن أعين المغرورين ، واجعل لأصحاب القلوب الصافية نصيباً وافراً من دركها ، ورغبة تامة في حفظها ثم في صونها عن الأغيار ، ليكون مستقرّ هذه المعاني صدور الأحرار التي هي قبور الأسرار لتكون في روضة من رياض الجنان ، ولا تجعلها في بطون الأشرار كيلا يكون في حفرة من حفر النيران ، وهم الظاهريون الذين زينوا ظواهرهم بالنقوش المزخرفة والأقوال المزينة المليحة الحلوة كالأطعمة والحلاوات ، وأهملوا بواطنهم بل أحشوا بالنفاق والجهل والاستكبار عن الحق والحقائق كبطن الفجّار وقبور الكفّار.

همچو گور کافران ، بیرون حُلّل
و اندرون قهر خدا عزّ و جلّ
يقول: «كقبور الكفّار التي تزيّنّها الحلل والبرد من الخارج، إلا أنّ داخلها مليء» ⇨

موجود كذلك في العالم الإنسانيّ، الذي هو منتخب الجميع، ذلك أنّ مرتبة الروح والقلب والكمالات الخاصّة بهما، هي النعيم عينه. وأمّا مقام النفس والهدى ومتعلقاتهما، فهي الجحيم عينه. وآخر مراتب مظاهرها هي الدار الآخرة، التي هي عالم الجزاء، وقد تطرّقت الأحاديث والقرآن الكريم إلى الكلام عن هذا العالم في مواضع كثيرة.

ويقول الإمام محمّد الغزاليّ في «المظنون به على غير أهله»^١: قال أبو عليّ وهو من عظماء الفلاسفة: يمكن القول إنّ الحقّ جلّ شأنه قد أعطى هذه القوّة للنفس الفلكيّة، بحيث إنّ ما موجود في عالم المواليد السفليّة من أشخاص وأقوال وأعمال وأخلاق وحركات وسكنات، والصور المناسبة لكلّ من تلك الرموز وأسمائها الواردة في الشريعة السمحاء، موجودة بأجمعها في تلك النفس الفلكيّة، إذ إنّ النفس الإنسانيّة بعد قطع اتّصالها بالبدن العنصريّ تتصل ببدن آخر يليق بذلك العالم، وتُشاهد عياناً صور الأعمال والأخلاق والأوصاف والأقوال التي صدرت منها في هذا العالم.^٢

﴿ بغضب الله وسخطه عزّ وجلّ ﴾.

اللهمّ اجعل قبرنا روضة من رياض الجنان ولا تجعلها حفرة من حفر النيران».. انتهى كلام المألا صدرا.

وأورد هذا الحديث كذلك الغزاليّ في كتاب «المضنون به على غير أهله» ص ٧٩، في هامش ج ٢ من «الإنسان الكامل» للجيليّ، الطبعة الأولى.

١- لم نعر في كلتا الطبعتيّن اللتين طُبعتا على ما جاء في هامش «الإنسان الكامل» للجيليّ.

٢- لقد اعتبرنا مثل هذا الاحتمال ضعيفاً كما ذكرنا في «معرفة المعاد» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة وأثبتنا المعاد الجسمانيّ العنصريّ على أحسن وجه.

ذلك ما أخبر به المخبر الصادق ، وهو الرسول الأمين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، من حور وقصور ورضوان وأثمار وأنهار ، وأخبر في مقابل ذلك عن الأفاعي والعقارب والنار ومالك ، ولَمَّا كَانَ ذَلِكَ لَا يَخَالِفُ الْعَقْلَ ، وقد كان المخبر به هو المخبر الصادق ، فلا ريب أن ذلك هو ما هو كائن حقاً . وهذا لِمَنْ يُرِيدُ إدْرَاكَ هَذَا الْمَعْنَى بطريق العقل ، وإِلَّا فَإِنَّ أَصْحَابَ الصِّفَاءِ وَالنِّقَاءِ وَأَهْلَ الْقُلُوبِ يَشَاهِدُونَ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ كُلَّمَا قَالَه وَأَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ، وَعَلَى هَذَا ، فَإِنَّ قَاعِدَةَ : مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا^١ ، تدلّ على أن ما يكون بعد الموت الطبيعي ، يمكن مشاهدته بالموت الاختياري بعين اليقين ، وإزالة ما في داخلهم من شك .

زينهار ای جان من صد زينهار

نيك كن پيوسته دست از بد بدار

زانکه هر چه اينجا کنی از نيك و بد

مونست خواهد شدن اندر لحد^٢

١- «مرصاد العباد» ص ٣٥٩ و ٣٦٤ و ٣٨٦؛ و«العروة» للسمناني ص ٨٧؛ وقال في «أحاديث المشنوي» ص ١١٦:

ای خنک آنرا که پیش از مرگ مُرد یعنی او از اصل این رَز بوی برد
يقول: «طوبى لمن مات قبل الموت، فهو الذي عرف بحق أصل ذلك السرّ المكنون». إشارة إلى الحديث القائل: مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ، والذي تناقلته الصوفيّة.
ولم يعدّه مؤلّف «اللؤلؤ المرصوع» حديثاً، نقلاً عن ابن حجر. وجاء في «حدائق الحقائق» ص ٤٧٩ ، الطبعة الثالثة: بمقتضى مُوتُوا قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا.
٢- يقول:

اعلمي المعروف واجتنبى الشرر

«حذار يا نفسي كوني على حذر

سيكون أنيساً لك داخل القبر»

إنّ ما تصنعي من خير هنا

حيث إنَّ القَبْرُ صَنْدُوقُ الْعَمَلِ ١.

وأما الأعراف ، فهي جمع عُرف ، يطلق على المكان المرتفع الذي يُشرف على جوانبه . وتلك هي مرتبة السابقين ، حيث يقول تعالى :

السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ٢ .

وهم الكاملون الذين وصلوا إلى مقام جمع الجمع ، وهو مقام البقاء بالله ، حيث يرون الحق تعالى متجلياً في كل شيء والصفة التي يعد ذلك الشيء مظهراً لها ، وهذا المقام هو الإشراف على الجوانب . إذ يمكنه رؤية كل شيء كما هو ، ويعلمون أن :

وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ٣ .

ما طيبانيم و شاگردان حق بحر قلزم ديد ما را فانلق ٤

١- «الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام» الطبعة الحجرية:

يَا مَنْ بَدُنِّيَاهُ اشْتَغَلُ قَدْ غَرَّهُ طُولُ الْأَمَلِ
الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً وَالْقَبْرُ صَنْدُوقُ الْعَمَلِ

وقد ورد ذلك أيضاً في الطبعة المنقحة والمصححة لعبد العزيز الكرم في ص ١٠٥ .
وأورد عبد العزيز سيّد الأهل الأبيات التالية في «ديوان الشعر المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام»، ص ١١٣ :

غَرَّ جَهُولاً أَمَلُهُ يَمُوتُ مَنْ جَا أَجَلُهُ
وَمَنْ دَنَا مِنْ حَتْفِهِ لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيلُهُ
وَمَا بَقَاءُ آخِرِ قَدْ غَابَ عَنْهُ أَوْلُهُ ؟
وَالْمَرْءُ لَا يَصْحَبُهُ فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُهُ

٢- الأيتان ١٠ و ١١ ، من السورة ٥٦ : الواقعة .

٣- بعض من الآية ٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٤- يقول : «ألانحن الأطباء وللحق تلاميذ ؛ لَمَّا رَأَى الْبَحْرَ مَاجَ وَانْفَلَقَ» .

آن طبيبان طبيعت ديگرند که به دل از راه نبضی بنگرند
 ما به دل بی واسطه خوش بنگریم کز فراست ما به عالی منظریم^١
 وبعد أن أشار إلى بعض من العوالم الغيبية ، ذكر في مكان آخر :
 کدام است آن جهان کو نیست پیدا
 که یک روزش بود یک سال اینجا؟^٢

واعلم أن العوالم الكلية هي خمسة :

الأول : عالم الذات ، وهو ما يطلقون عليه باللاهوت والهوية الغيبية ،
 والغيب المجهول ، وغيب الغيوب ، وعين الجمع ، وحقيقة الحقائق ، ومقام
 أو أدنى ، وغاية الغايات ، ونهاية النهايات ، والأحدية .

الثاني : عالم الصفات ، وهو ما يطلقون عليه بالجبروت ، وبرزخ
 البرازخ ، والبرزخية الأولى ، ومجمع البحرين ، وقاب قوسين ، ومحيط
 الأعيان ، والوحدانية ، والعماء .

الثالث : عالم الملكوت ، ويسمونه كذلك عالم الأرواح ، وعالم
 الأفعال ، وعالم الأمر ، وعالم الربوبية ، وعالم الغيب والباطن .

الرابع : عالم الملك ، ويطلقون عليه كذلك عالم الشهادة ، والعالم
 الظاهر ، وعالم الآثار ، والخلق ، والمحسوس .

الخامس : عالم الناسوت ، ويطلقون عليه كذلك الكون الجامع ،
 والعلّة الغائية ، وآخر التنزلات ، ومجلى الكل .

١- يقول : «فطبيب يفحص القلب بجسّ للنض ؛ ذاك طبّ يتعامل بالأهق

إنّما نحن أطباء بغير واسطة ؛ طبنا ليس كطبّ من سبق» .

٢- يقول :

«أين ذاك العالم يا صاح قل لي
 أتزعّم أنّ يوماً فيه قدر بسنة؟»

فالعوالم الثلاثة من هذه العوالم الخمسة هي ضمن عالم الغيب ، لأنّها خارجة عن عالم الإدراك والحواس . وأمّا العالمان الآخران فهما ضمن عالم الشهادة ، لأنّهما محسوسان بالحواس .

يقول الشيخ : أين هو ذلك العالم غير المحسوس ؟ أي أنّه غير محسوس وغائب عن الحواس ، حيث إنّ يوماً في ذلك العالم ، يعادل سنة من هذا العالم .

وهذا العالم إشارة إلى البرزخ المثاليّ ، وهو الحدّ الفاصل بين الغيب والشهادة ، وهو جامع لأحكام العالمين ، الظاهر والباطن ، بحسب البرزخيّة . وأمّا مسألة الزمان والمكان والطول ، والقصر في الشهر والسنة في هذا العالم الجسمانيّ ، فهي مقيدة بالكثافة ، وكلّما قلّت الكثافة ، قلّ في مقابل ذلك التقيّد واعتبار البعد بين المبدأ والمعاد ، والأزل والأبد ، وأضحت مسألة ظهور العلم وانكشاف المعلومات والحقائق هامشيّة قليلة الأهميّة .

ولهذا صار يوم واحد في عالم البرزخ يعادل عاماً واحداً في عالمنا هذا ، ويوم واحد في عالم الربوبيّة ، هو بألف عامّ في هذا العالم إنّ يوماً عند ربّك كألف سنةٍ ممّا تعدّون . وأمّا اليوم الواحد في عالم الألوهيّة ، فهو مساوٍ لخمسين ألف سنة في هذا العالم **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**^١ . شعر :

پیش ما صد سال و یک ساعت یکی است

که دراز و کوته از ما منفکی است^٢

١- الآية ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٢- يقول : «إنّ مائة سنة وساعة واحدة سواء لدينا ، لأنّ الطول والقصر منفكان عنّا» .

آن دراز و کوتاهی در جسمها است
 آن دراز و کوته اندر جان کجاست
 از ره و منزل ز کوتاه و دراز
 دل چه داند کوست مست و دلنواز
 آن دراز و کوته اوصاف تن است
 رفتن ارواح ، دیگر رفتن است^١
 بما أنّ في ذات الأحديّة لا وجود للتعيّن والتقيّد - لأنّ الكثرات
 الاعتباريّة عنده معدومة - فإنّ تقدّم الذات الأحديّة على الذات الوحدانيّة
 التي هي منشأ التعيّنات والنسب ، يُعبّر عنه بالسنة السرمدية ، وجاء في
 بعض النسخ «كان يوماً منه بخمسين يوماً من هذا العالم» .
 وذلك العالم هو إشارة إلى عالم الألوهية ، والمراد بالخمسين ، هي
 خمسون ألف عام ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة^٢ .
 وقد أشار إلى عوالم غير مدرّكة بالحواس ، وليس كلّ شخص هو
 سابع في هذه الأجواء ، ولأجل التأكيد على تصديق المستمع يقول :
 همين نبود جهان آخر که دیدی نه ما لا تُبصرون آخر شنیدی^٣ ؟
 أي أنّ عالم الشهادة والمحسوس الذي أمامك ليس هو كلّ شيء ، بل
 هنالك عوالم أخرى كثيرة لا تدركها الحواس ، على الرغم من أنّه ، أي عالم
 الشهادة والمحسوس ، ينحصر عموماً في العوالم الثلاثة التي مرّ ذكرها ،

١- يقول : «إن كان الطول والعرض في الأجسام ؛ فأين هما في الأرواح؟

أسير عن الدنيا وما أنا ذاكرٌ لها بسلام إنّ أحداثها حُمس .

إنّما الأطوال والأعرض من جنس البدن ، فإذا ما ولّت الأرواح كانت في دمس» .

٢- قسم من الآية ٤ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٣- يقول : «لم يك ما رأيت بعالم الآخرة ، أما سمعت نداء ما لا تُبصرون؟» .

فهو يقول : ألم تسمع كلام الخالق : وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ؟ أي تلك العوالم التي لا ترى بالباصرة . وفي كلام البارئ جاء القسم بهذين العالمين بقوله فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ،^١ وهما عالم الظاهر ، وعالم الباطن ، أو الغيب والشهادة ، واللذان يشتملان على العوالم الخمسة المذكورة ، التي تم شرحها آنفاً . وعالم اللاهوت هو أصل كل تلك العوالم ، ونسبة هذا العالم إلى تلك العوالم ، كحبة الرمل إلى الصحراء ، أو قطرة الماء إلى البحر .

ولأن النشأة الإنسانية ، وشأن جامعيتها كمالها ، يقتضيان العلم بكل مراتب الموجودات ، والاطلاع على كل المسميات بحكم وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا^٢ يقول :

بينا بنما كه جابلقا كدام است جهان شهر جابلسا كدام است^٣
جاء في القصص والروايات التاريخية ، أن جابلقا ، هي مدينة كبيرة جداً في الشرق ، وجابلسا أيضاً ، كبيرة جداً وتقع في الغرب ، وبالمقابل من جابلقا ، وقد علق أهل التأويل في هذه المسألة بما يكفي ، ولكن خطر بيالي معنيين على سبيل الإشارة وهما :

الأول : جابلقا هي العالم المثالي ، والتي تقع في الجانب الشرقي للأرواح ، وهي البرزخ بين الغيب والشهادة ، وتشتمل على صور العالم ، فهي بلا شك ، مدينة كبيرة ، وواسعة جداً . وأما جابلسا ، فهي عالم المثال

١- الآيتان ٣٨ و ٣٩ ، من السورة ٦٩ : الحاقة .

٢- صدر الآية ٣١ ، من السورة ٢ : البقرة .

٣- يقول :

«خبر جابلقا لعلك ناطق وأرني حاضرة جابلسا لعلك صادق»

وعالم البرزخ ، وهي مستقرّ الأرواح بعد مفارقتها دار الدنيا ، ومكان صور كلّ ما ارتكَب من الأعمال ، والأفعال ، والأخلاق ، الحسن منها والسيئ المكتسبة في الحياة الدنيا - كما هو وارد في الأحاديث والآيات - ، ويقع هذا البرزخ في الجانب الغربي من الأجسام ، وهي مدينة عظيمة السعة ، وتقع قبالة جابلقا .

وهنا يكون أهل مدينة جابلقا ، أكثر لطافةً ونقاءً ، ذلك لأنّ أهل مدينة جابلقا ، وبسبب أعمالهم وأخلاقهم الرديئة التي اكتسبوها في الدنيا ، قد صُوِّروا بصور مظلمة .

ومعظم الخلق على هذا التصوّر ، بأنّ هذين البرزخين هما شيء واحد ، ولكن يجب العلم ، بأنّ البرزخ الذي يستقبل الأرواح بعد مفارقتها للحياة الدنيا ، هو غير البرزخ الكائن بين الأرواح المجردة والأجسام ؛ هذا لأنّ مراتب تنزّلات الوجود ومعارجه دورية ، على اعتبار أنّ اتصال النقطة الأولى بالنقطة الأخيرة غير ممكن ، إلاّ في حالة الحركة الدورانية ؛ والبرزخ الذي هو كائن قبل النشأة الدنيوية ، هو في مراتب تنزّلاتها ، ويشكّل النقطة الأولى بالنسبة إلى هذه النشأة ، وأمّا البرزخ الذي يأتي بعد النشأة الدنيوية ، فهو من مراتب الأوج ، وعليه ، فهو يعتبر النقطة الأخيرة بالنسبة إلى النشأة الدنيوية .

والمسألة الأخرى هي أن الصور التي تلحق بالأرواح ، هي صور الأعمال ونتائج الأفعال والأخلاق والملكات التي حصلت في النشأة الدنيوية ، على عكس صور البرزخ الأوّل .

فكلّ واحد منهما ، هو غير الآخر ، ولكنهما يشتركان في كونهما عالمين روحانيين ، ولكلّ منهما جوهر نورانيّ غير مادّي ، ويحيويان على مثال صور العالم .

ويروي الشيخ داود القيصريّ بقوله : قال الشيخ محيي الدين الأعرابيّ قدس سرّه في «الفتوحات» ، أنّ البرزخ الأخير ، هو غير البرزخ الأوّل . وقد أطلق على الأوّل اسم (الغيب لاإمكانيّ) ، وعلى الأخير بـ (الغيب المحاليّ) ، وذلك لأنّ كلّ صورة في البرزخ الأوّل ، يمكن لها أن تظهر في الشهادة أيضاً ، وأمّا الصور في البرزخ الأخير ، فهي ممتنعة عن الرجوع للشهادة ، اللهمّ إلا في الآخرة .

وكثير هم أهل المكاشفة الذين ظهرت لهم صور البرزخ الأوّل ، والذين كانوا على دراية بآت الزمان ، ولكن بالمقابل ، يندر أن يطّلع أحد منهم على أحوال الموتى .

وأما المعنى الثاني ، فهو : أنّ مدينة جابلقا ، هي مرتبة إلهية ، وهي مجمع البحرين بالنسبة للوجوب والإمكان ، حيث تكمن فيها صور أعيان جميع الأشياء ، ابتداءً من المراتب الكلّية والجزئية ؛ واللطائف والقبايح والأعمال والأفعال والحركات والسكنات ، ومحيطة بما كان وما يكون ، وهي بالمشرق ، حيث تلي مرتبة الذات ولا توجد فاصلة بينهما ، وكلّ شمس الأسماء والصفات والأعيان وأقمارها ونجومها قد بزغت وتلأأ نورها من المشرق .

وأما مدينة (جابلسا) ، فهي لسان حال النشأة الإنسانية ، وهي مجلى جميع حقائق الأسماء الإلهية ، والحقائق الكونية . فما يطلع من مشرق الذات ، يغرب في مغرب التعيّن الإنسانيّ ويختفي في صورته . شعر :

با مغربي مغارب اسرار گشته ايم بي مغربي مشارق انوار گشته ايم^١
وهذان السوادان الأعظمان في موازاة بعضهما ، وخلقهما مع بعض

١- يقول : «طويت مغارب الأسرار مع المغربيّ ، وبدونه طوينا مشارق الأنوار».

لا يعني النهاية ، لأنّ كلّ عالم يحوي المشرق والمغرب معاً ، بل إنّ كلّ مرتبة وكلّ فرد من الموجودات ، يمتلك هذه الميزة ، وهو يقول :

مشارك با مغارب هم بينديش چو این عالم ندارد از یکی بیش^١
 واعلم أنّ عالم الألوهيّة بالقياس إلى عالم الربويّة ، هو المشرق الذي يفيض من نوره على عالم الربويّة ، وهكذا ، عالم الربويّة بالقياس إلى البرزخ المثاليّ ، والبرزخ المثاليّ بالقياس إلى عالم الشهادة ، كلّ يفيض من نوره على من هو دونه ، وكذلك فإنّ كلّ عالم من العوالم ، وكلّ مرتبة من المراتب ، وكلّ فرد من الأفراد هو مشرق ، قد سطعت منه شمس من الأسماء الإلهيّة ، ومن جهة أخرى ، فهو مغرب كمنّ في تعينه نور ذلك الاسم . وأنّ القلب الإنسانيّ ، وبحسب كمال المظهريّة ، له مائة مشرق ، بل مئات الآلاف من المشارق التي تسطع منها نجوم الأسماء الإلهيّة ، وهكذا ، وفي إزاء ذلك ، فإنّ كلّاً منها هو مغرب . وإنّ عجائب وغرائب القلب الإنسانيّ لا تظهر إلاّ لعيان أهل الصفاء والسالكين إلى الله .

شعر :

عالم دل را نشانی دیگر است
 برّ و بحر و کار و شانی دیگر است
 صد هزاران آسمان و آفتاب
 مشترى و تیر و زهره ماهتاب^٢

١- يقول : «طالع المشارق والمغارب ، إذ ليس لهذا العالم أكثر من مشرق واحد ومغرب واحد» .

٢- يقول : «إنّ للقلب لذنياً وفكر ؛ غير ما نعهد من برّ وبحر . ألف علياء ومثلها من سماء ؛ من عطارد وزحل ومن قمر» .

هر یکی تابنده تر از دیگری

نور هر یک در گذشته از ثری

هر یکی را برج دیگر منزل است

این کسی داند که از اهل دل است^١

ويحث الشيخ على التأمل والتفكير في المشارق والمغرب ، كما ورد في القرآن الكريم : فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغْرِبِ ،^٢ فالمشارق والمغرب جمع ، وفي هذا العالم المحسوس ، ليس إلا مشرق واحد ، ومغرب واحد ، وكلّ منهما في جهة معاكسة .

وأصبح واضحاً الآن ، بأنّ العالم لا ينحصر في عالم الظاهر هذا ، فهناك عوالم أخرى لطيفة وغير محسوسة ، بل تلك العوالم والسماء والكواكب هي أصل العوالم ، لأنها المؤثرة وهذه المتأثرة .

آسمانها است در ولایت جان کار فرمای آسمان جهان^٣

فأكثر الخلائق عن هذه الحقيقة غافلون ومحرومون من معرفة الأسرار والتجليات الإلهية ، وبحكم انعدام الاستعداد الفطريّ لديهم ، فلا حظّ لهم في الإصغاء والفهم ، وهو يقول :

بیان مثلهنّ ز ابن عباس

شنو پس خویشان را نیک بشناس^٤

١- يقول : «كلّ جرم أنور من صاحبه ؛ ذاك نورٌ صادر عن ثرى البرّ .

قد يكون الأمر صعباً بعض شيء ؛ إنّما يعقل ذلك الأمر حرّ» .

٢- صدر الآية ٤٠ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٣- يقول : «السموات خاضعة لولاية الروح ؛ فهو الأمر الناهي في سماء العالم» .

٤- يقول :

«اسمع من ابن عباس بيان (مثلهنّ) واعرف الأنفس جيداً دون بطر أو وهن»

يقول سلطان المفسرين عبد الله بن عباس رضي الله عنهما :
 لَوْ ذَكَرْتُ تَفْسِيرَ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
 وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ» ، لَرَجَمُونِي أَوْ قَالُوا : إِنَّهُ
 كَافِرٌ .

لأنَّ الشيخ قد قال : بأنك لم تسمع بغير كلمة عالم ، ولا علم لك عن
 هذه العوالم التي مرَّ ذكرها ، وبأنَّ العالم غير منحصر بالمحسوسات ، وأنَّ
 هناك عوالم لطيفة كثيرة غير هذه ، استشهداً على ذلك يقول شعره «بيان
 مثلهن» أي استمع جيداً إلى ما قاله ابن عباس في شرح الآية مِثْلَهُنَّ بأنَّه لو
 فسّر هذه الآية لُقُتِل ، وأُعرف نفسك جيداً ، فإنك لم تعرف حقيقة الأمر
 بعد ، وإذا كشف عارف ومحقق ملهم الحجاب عن بعض أسرار الوجود ،
 لهبَّ الخلائق إلى الطعن والمجابهة ، بل قد يغالي بعضهم إلى حد تكفيره ،
 واستباحة دمه ، بحجة الدفاع عن حرمة الدين بزعمهم .

يروى أنَّ السلطان بايزيد البسطامي قدس سره قد أُخرج من بسطام
 بتهمة الإلحاد والزندقة اثنتي عشرة مرّة ، وكان في كلّ مرّة يبعد عن بسطام
 يقول : هنيئاً لمدينة ملحدها بايزيد . وأمّا الآن ، فالجميع متيم وعاشق لقبر
 ذلك الجليل ، وعندما كان على قيد الحياة الظاهرية ، لم يكن الناس على
 وفاقٍ وعلاقة معه ، ولكن عندما التحقت روحه بالعالم العلويّ ، وأصبح
 قبره كومة تراب وحجر فإنَّ الناس من جهة أوساخ غفلتهم وجهلهم لهم ما
 يربطهم مع الحجر والحما المسنون فقد ولّوها بقبره .

إذا كنت منصفاً ، تمعّن في هذه الآية الكريمة التي يقول فيها ذو
 الجلال والعزّة جلّ شأنه وعظم سلطانه :

١- صدر الآية ١٢ ، من السورة ٦٥ : الطلاق .

يَحْسِرَةٌ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ.^١

شعر:

ديده اين شاهان ز عامه خوف جان

كين گُره كورند و شاهان بی نشان

انبيا را گفته قوم راه گم

از سَفَه: إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ^٢

زر خالص را و زرگر را خطر

باشد از قلاب خاين بيشر^٣

لأنّ وجود العالم هو ظلُّ للوجود الحقيقيّ ، وأنّ توهم الغيريّة

الحقيقيّة لوجود عالم الخيال ، توهم باطل ، وكلّ من خامرته فكرة الغيريّة ،
كان ضحيّة الغفلة ، يقول :

تو در خوابی و اين دیدن خيال است

هر آنچه دیده‌ای از وی مثال است^٤

أي كما أنّ الفرد تتراءى له في النوم صور ليس لها وجود في أرض

الواقع ، ولكنّه يعتقد بوجودها ، ولا يدرك بأنّها صور خياليّة ليس إلّا ،

١- الآية ٣٠ ، من السورة ٣٦ : يس .

٢- مقطع من الآية ١٨ ، من السورة ٣٦ : يس .

٣- يقول : «لقد عهد هؤلاء الملوك في عامّة الناس الخوف والحرص على أنفسهم؛ إنّ

هؤلاء الناس عمي والملوك ضائعون لا عنوان لهم .

وقال الضالون للأنبياء سفهاً : إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ .

فالخوف كلّ الخوف على الذهب والصائع من الخونة ومصاندهم لا من شيء آخر» .

٤- يقول : «أنت غاطّ في النوم وهذه الرؤية خيال ، وكلّ ما رأيته ليس إلّا مثلاً من

الحقيقة» .

وأنتها غير موجودة بالحقيقة ، وأنت الذي تتوهم بأن العالم هو وجود حقيقي ، ولا تدري بأن العالم غير الذي ترى ، فإنك في غفلة ، ووهم باطل . وبالحقيقة ، فكّل ما ترى هو صورة ومثال لوجود الحقّ تعالى ، تيسرت من خلال مرآة العيان ، وأن لا وجود لغير الحقّ تعالى . شعر :

اين نقشها كه هست ، سراسر نمايش است

اندر نظر چو صورت بسيار آمده

عالم ، مثال ذات و ظلال صفات اوست

نقش دوئی چو صورت پندار آمده^١

يوم القيامة ، يظهر كلّ شيء مخفي على حقيقته بحكم الآية الشريفة
يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ^٢ ، ويقول :

به صبح حشر چون گردی تو بیدار

بدانی کآن همه وهم است و پندار^٣

وبحكم أن النَّاسَ نِيَامٌ^٤ يقول : إنّما يقظتك هي نوم ، والصحو في نوم

١- يقول : «إنّ هذه النقوش والرسوم ما هي إلا تمثيل وهو يبدو في النظر صوراً كثيرة .

وإنّ العالم مثال ذاته وظلال صفاته ، وما الثنائيّة إلا كالصورة المتخيّلة» .

٢- الآية ٩ ، من السورة ٨٦ : الطارق .

٣- يقول :

«إذا ما استيقظ المرء من القبر وجال سيعلم أنّما ما قد مضى كان خيال»

٤- «شرح منازل السائرين» ص ٣٤ ، باب اليقظة ، انتشارات بیدار: كَمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: النَّاسُ نِيَامٌ ؛ و«مرصاد العباد» ص ٤٦٨ ، التعليق ٧: النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا . وفي ص ٦٦٠ ، يقول في توضيحه «وهي الرواية المذكورة في «زهر الآداب» والمنسوبة إلى الرسول الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، والمذكورة كذلك في «شرح التعريف» للإمام علي عليه السلام . راجع : «أحاديث مثوي» ص ٨١ .

الغفلة هذا يكون بالموت فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا ، والحشر هو بمعنى الجمع ،
(حَشَرْتَهُمْ أَي : جَمَعْتَهُمْ) ، والمراد بهذا الحشر هو الموت الإرادي ، حيث
إِنَّ مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ ؛ أَي أَنَّكَ سَتَسْتَيْقِظُ مِنْ غَفْلَتِكَ عِنْدَ صَبَاحِ

☞ وقد ذُكِرَ فِي مَوْضِعَيْنِ ، فِي كِتَابِ «الإنسان الكامل» لعزير الدين النسفي : فِي ص ٤٢٦
و ٢٧١ ؛ وَكَذَلِكَ فِي «أَحَادِيثَ مَثْنَوِي» فِي مَوْضِعَيْنِ : الْأَوَّلُ فِي ص ٨١ ، رَقْم ٢٢٢ :

این جهان وهم است ، اندر ظنّ مایست گر رود در خواب دستی باک نیست
يقول : «إِنَّمَا عَالَمُنَا وَهْمٌ ، خِيَالٌ كُلُّ مَا فِيهِ مِبَادٌ وَزَوَالٌ»

وهو ما يناسب مضمون هذه الرواية : النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا . والتي وردت في
«زهر الآداب» ج ١ ، ص ٦٠ ، طبعة مصر ، منسوبة إلى الرسول الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ؛
وفي «شرح التعريف» ج ٣ ، ص ٩٨ منسوبة إلى مولى المتقين عليّ عليه السلام .
والثاني في ص ١٤١ ، رقم ٤٣٨ :

تا برآید ناگهان صبح اجل
وا رهد از ظلمت ظنّ ودغل
يقول : «إِذَا مَا جَاءَكُمْ صَبِحَ الْأَجَلُ زَالَتِ الظُّلْمَةُ عَنْكُمْ وَالضَّلَلُ»

وهي أيضاً ، تناسب فحوى الرواية النَّاسُ نِيَامٌ فَإِذَا مَاتُوا انْتَبَهُوا ، حيث ورد شرحها في
ذيل الرقم ٢٢٢ .»

١- يقول صدر المتألهين في «تفسير سورة السجدة» ص ٨٧ و ٨٨ ، انتشارات بيدار ،
في تفسير عبارة : لَا أَسْمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (الآية ١ ، من السورة ٧٥ : القيامة) :

«كما أن الافتراق بين روح الإنسان وجسده هو عبارة عن موت هذا العالم الصغير
وقيامته الصغرى ؛ طبقاً للحديث الشريف للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ
قِيَامَتُهُ .»

وفي «إحياء العلوم» ج ٤ ، ص ٤٢٣ ، طبعة دار الكتب العربيّة ، عن أنس عن رسول الله
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَيْثُ قَالَ : مَنْ مَاتَ فَقَدْ قَامَتْ قِيَامَتُهُ .»

وكذلك رواه حجة الإسلام الغزاليّ في كتابه «المضنون على غير أهله» في ص ٧٩ ،
وعلى هامش الجزء الثاني من كتاب «الإنسان الكامل» للشيخ عبد الكريم الجيليّ (الطبعة
الأولى للمطبعة الأزهرية المصرية ، عام ١٣١٦ هـ).

المحشر ، وهو الموت الإرادي ، وتزول التعينات والكثرة وتجتمع أسباب الفرقة والتشتت التي تورث الغفلة والتخيلات الفاسدة كلها ، ويظهر التوحيد . ولكن اعلم أن الوجود كل واحد ، ولكن بسبب كثرة المظاهر تعدد ، وتصورك الغيرية ، واعتبارك إياها حقيقة أكيدة ، ما هو إلا وهم وسراب ، وأن لا وجود إلا للحق تعالى .

وباعتبار أن التعينات والكثرة ، يعبر عنها بالليل ، من جهة ظلمة عدميتها ، فقد جرى إطلاق تعبير الصبح على الموت ، باعتباره فناء التعين ، وذلك لأن البرزخ قد توسط ليل الكثرة ونهار الوحدة .

وحسب تعبير المتصوفة ، أن الولوج في الحياة الطيبة القلبية بعد الموت الإرادي ، هو ما يعبر عنه بالقيامة الوسطى ، كما جاء في الآية الكريمة :

أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ^١ ، أَيْ مَيِّتًا بِالْجَهْلِ ، فَأَحْيَيْنَاهُ بِالْعِلْمِ وَالْمَعَارِفِ .

ولأن الحشر ، هو اجتماع المتفرقات الذي يظهر بعد محو الكثرات ، ويقول :

چو برخیزد خیال چشمِ أحوالِ زمين و آسمان گردد مبدل^٢
وفي صبح الحشر ، الذي يمثل وصول السالك إلى مقام التوحيد ، وحيث يذوب الكونان في نظره بنور الوجدانية ، وَلَا يَبْقَى إِلَّا الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، فإن أوهام الأحوال التي تصوّر له وجوداً مع وجود الحق تعالى ستزول مع زوال وهم الغيرية ، فيعلم يقيناً أن كل الوجود هو الحق تعالى ،

١- الآية ١٢٢ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- يقول : «فلما أن توارى عن العين الحَوْلَ علمت أنه حق ما هو بالهزل»

وَأَنَّ وَجُودَ الْمَوْجُودَاتِ مَا هُوَ إِلَّا وَجُودُ أَجْوَفٍ ، وَخِيَالٌ وَوَهْمٌ وَظَنٌّ ، يَوْمَ
تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ .^١

يومئذ ستكون هناك أرض وسماوات ، ولكن غير هاتين اللتين نرى
الآن ، لأنّ الحلم الذي رآه في نوم الغفلة ، وفي ليل العمر ، وظنّ أنّه الغير ،
طلع عليه صبح الحشر ، وتبين أنّه وهم وخيال أحول ليس إلّا . شعر :

بوديم يكي ، دو مى نموديم

چون سايه به آفتاب پيوست

چون سوخته شد تمام هيضم

إنّ في ظهور نور تجلّي الوحدة ، توارى ظلمة الكثرة ، ويقول بهذا

الصدد :

چو خورشيد جهان بنمايدت چهر

نماند نور ناهيد و مه و مهر^٣

إنّ تجلّي نور شمس الذات الإلهيّة في مرآة قلب السالك إلى الله ،
اللاهث وراء الحقّ ، هذا النور قد طرد أنوار الزّهرة والقمر والشمس ،
ورمى بهنّ في هوة العدم الحالكة . حيث يمحى كلّ وجود ونور ؛ كما في
قوله تعالى : إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ .^٤ ولأنّ هذه

١- الآية ٤٨ ، من السورة ١٤ : إبراهيم .

٢- يقول : «كنا واحداً ، لكنّا كنّا نبدو اثنين ، فتلاشى وانمحى ذلك البداء الكينونة

والتكوّن .

ولمّا التحق الظلّ بالشمس تخلّص وارتاح من ظلّمة كينونته .

وإذا احترق الحطب جميعه لن ترى له بعد ذلك دخان متصاعد .

٣- يقول : «لو ظهرت لك الشمس وطلعت ما أبقّت للزّهرة نوراً ولا للقمر ضياءً» .

٤- الآيتان ١ و٢ ، من السورة ٨١ : التكوير .

القيامة عند السالك إلى الله ، هي واقعة ، لا محالة ، وهي صورة للقيامة الكبرى ، فإنه إذا ظهرت علاماتها ساطعة ، تلاشت أنوار الوجود الخيالي المجازي للكائنات ، وذابت في وهج إشعاع نور ذات الله المطلقة ، وبالظهور المطلق للحق تعالى ، تقوم القيامة ، ويفنى كل وجود غير وجوده المقدس ، وما كان آجلاً عند غيره ، أصبح عاجلاً عنده . شعر :

هرکه گوید کو قیامت ای صنم

خویشتن بنما قیامت نک منم

این قیامت زان قیامت کی کم است

آن قیامت زخم و این چون مرهم است^١

كما أن قيام الساعة ، التي هي مصداق لاسم القهار والمعيد ، هي ظهور الفناء في الوجود، إذ: **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**؛^٢ يقول :

فتد یک تاب از آن بر سنگ خاره شود چون پشم رنگین پاره پاره^٣

أي أنّ الحجر قد تفتّت من وميض نور الذات الإلهية المتجلية ، وقد ركع أمام هيبه النور الإلهي وإشعاع التجلي القدسي حجر الصوّان حتى أضحى كالعهن المنفوش والمتلاشي: **وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ**.^٤

١- يقول: «وإذا سأل أحدهم: أيان يوم القيامة يا صنم؟ انظر إلى نفسك وتأملها فما أنا

ذا القيامة.

فهذه القيامة لا تقل عن تلك شيئاً، وإذا كانت تلك القيامة جرح فهذه القيامة هي البلم

والدواء الناجع».

٢- الآية ٢٦ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

٣- يقول: «إن يسقط النور على العروش تكن جميعها عنناً منفوش»

٤- الآية ٥ ، من السورة ١٠١ : القارعة .

صَارَ دَكًّا مِّنْهُ وَانْشَقَّ الْجَبَلُ

هَلْ رَأَيْتُمْ مِنْ جَبَلٍ رَقَصَ الْجَمَلُ؟! ^١

وذلك أن تحصيل الكمالات الحقيقية، والمعارف اليقينية، وهي هدف الوجود، غير متيسر إلا في هذه النشأة، يقول:

بدان اكنون كه كردن می توانی

چو نتوانی چه سود آنکه که دانسی ^١

إنَّ الشيخ في هذه الأبيات، يحث على السمو إلى المراتب القلبية، والمكاشفات، والمشاهدات، والتجليات، والفناء، والتحليق، والعروج إلى الأفلاك، والعوالم اللطيفة. فقد ذكر هنا مقدّمة يمكنها أن تكون وسيلة للطالب الصادق الذي يودّ الحصول على تلك المعاني، وتزيد في فهمه وإدراكه لما هو واقع، وهي:

اعلم أن الإنسان، وبسبب الشمولية التي تشكّل أصل الفطرة فيه، يمكن لحقائق الأمور بعد التنقية والتجلية أن تنكشف له، وأن يتوصّل إلى العروج والسير والطيران في الأفلاك والعوالم الملكوتية والجبروتية اللطيفة، وأن يسبح في بحر تجليات الآثار والأفعال والأسماء والصفات والذات، ليرى بعين البصيرة، ويمتّع ناظره بجمال ذي الجلال الوهاج، فيفنى الوجود المجازي والتعین للسالك في فيض نور تجليات الذات الأحديّة، وبعد أن يفنى في الله تعالى ويذوب فيه، يعود ويخلد به جلّ جلاله، يرى الحق ويعرفه حق معرفته، ويتمّ المراد من خلق الكون، وهو المعرفة. شعر:

١- يقول: «فاسع ما استطعت ولا تك لاهياً، إذ ما الفائدة من العلم حين تفقد

الاستطاعة؟».

اگر دمی بگذاری هوای نا اهلی

ببینی آنچه نبی دید و آنچه دید ولی^١

والحصول على هذه المعاني متوقف على عدة أسباب ، هي :

الأول : طلب الإرشاد في سلوك طريق الحق ، كما هو واجب أرباب الطريقة ، والوصول إلى الكمالات المعنوية ، والتي ذُكرت بصورة إجمالية ، يمكن لهذا الكامل ، وبإذنٍ إلهيٍّ ، إرشاد طلاب الحق ، وهذا الكامل بدوره ، يكون مأذوناً من قبل كاملٍ آخر ، وهكذا ،^٢ حتى تنتهي بخاتم الأنبياء

١- يقول : «إذا تركت الانحراف وهجرت سبيل الجَنف زمناً ، لتمكّنت من رؤية ما قد

رأه أيّ نبِي ووليٍّ».

٢- هناك من الأدلة والشواهد على وجوب اتباع المرشد الكامل في السير إلى العوالم

الربّانية ، بحيث لا يسع المجال هنا لذكرها. ولكن مسألة مراعاة التسلسل في اتباع هذا المرشد مُعنعناً (الواحد تلو الآخر حتى نصل إلى رسول الله)، لا دليل عليها ، لا ثبوتاً ولا إثباتاً ، على الرغم من أهميّة هذه المسألة عند المتصوّفة ، إذ يعتبرونها من أساسيات السلوك ، ومع هذا ، فلا يستند قولهم إلى أساس رصين ، أو قاعدة متينة. وخير نموذج وشاهد ، هو العرفان والسلوك لأية الحقّ والحقيقة ، وسند القرآن والسنة: آية الله الأخوند الملاً حسين قلي الدرّجزيّ الشّونديّ الهمدانيّ ، أعلى الله درجاته السامية ، والذي أخذ العرفان عن أستاذه آية الله السيّد علي الشوشتريّ ، وهذا عن النّساج ، والله أعلم عمّن أخذ هذا الأخير العرفان .

ينقل الفاضل جناب الحاج السيّد محمّد حسن الطباطبائيّ القاضي أدام الله ظلّه ، عن

والده المرحوم آية الله القاضي الكبير ما يلي : سألت أبي ذات يوم : عمّن أخذت العرفان ؟ فأجاب : عن المرحوم السيّد أحمد الكربلائيّ الطهرانيّ . فقلت : وهو ، عمّن أخذه ؟ فقال : عن المرحوم الأخوند الملاً حسين قلي الهمدانيّ . فقلت : وهذا ، عمّن أخذه ؟ فقال : عن السيّد علي الشوشتريّ . فقلت : وهذا ، عمّن أخذه ؟ فقال : عن النّساج . فتابعت : وهذا ، عمّن ؟ فأجابني بغضب : وما أدراني ؟! أتريد أن تسطرّ لي سلسلة ؟!

صلوات الله وسلامه عليه وآله .

شعر :

راه دور است و پیر آفت ای پسر
 راهرو را می بیاید راهبر
 گر تو بی رهبر فرود آیی به راه
 گر همه شیری ، فرو افتی به چاه
 کور هرگز کی تواند رفت راست ؟
 بی عصاکش کور را رفتن خطاست
 گر تو گوئی نیست پیری آشکار
 تو طلب کن تا بیابی صد هزار
 زانکه گر پیری نباشد در جهان
 نه زمین در جای ماند نه مکان
 گر نباشد در جهان قطب زمان
 کی تواند گشت بی قطب آسمان^۱

۱- يقول: «إنَّ الطريق طويل ومليء بالمهالك أيها الصبي، فاتَّخِذْ لَكَ دليلاً.
 ولو سِرتَ في ظُلْمَةٍ ذلك الطريق دون دليل، فإنَّكَ لا محالة ستقع في الحفرة وإن كنت
 أسدّاً هَـصَوراً.
 أُنَى للأعمى أن يسير بدقّة واستقامة؟ إنَّ سير الأعمى دون أحد يمسك عصاه ويهديه
 لهو الهلاك المبين والاشتباه المهلك.
 فإن زعمت أن ليس هناك من شيخ ومرشد، فابحثْ وستجد مائة ألف شيخ ومرشد.
 ولولا الدليل في هذا العالم لما كانت هناك أرضٌ مَدْحِيَّةٌ ولا مكانٌ مُتَمَامٌ.
 ولولا وجود قطب للزمان في الكون وعالمنا هذا لما تمكَّنت السماء أو الأفلاك من
 التحرك والدوران».

گر ترا درد است پیر آید پدید

قفل در دست را پدید آید کلید^١

وكما أننا فوضنا أمرنا إلى شيخ كهذا ، فعلينا أن ندفن إرادتنا في إرادته ، ونكون له كالميت في يدي الغسال ، وأن نتوجه إلى الحق تعالى كما يأمرنا هذا الشيخ ، وأن نعود أنفسنا صدق الأقوال والأفعال ، والإعراض عن الأهواء واللذات النفسانية ، وأن نُزكّي النفس من رذائل الأخلاق ، ونقائض الأعمال ، وترويض البدن على الطاعات والعبادات على حسب ما تأمرنا به السنة المطهرة لخاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله ، وأن نتجنب الإفراط والتفريط ، وأن نولي الوجه عما يشغلنا عن الحق تعالى ، وأن نجعل شعارنا قلة الكلام والمنام ، والانشغال بالذكر على الدوام ، والاقتصاد بالطعام ، وأن لا نحيد قيد أنملة عن أمر الشيخ .

وبتهيئة هذه الأسباب ، تضيء مرآة قلب السالك ، التي هي البلورة المسحورة بنور القدس والطهارة ، وتُصَفّى من أدران الطبيعة .

وأنّه بقطع رابطته بهذا العالم السفليّ الحالِك المظلم ، تحلّق روحه في العالم العلويّ ، وتخرج فوق السماوات ، وفوق العرش ، وترتبط مع الملائكة والروحانيات ، وتتوهج الأنوار الإلهية في قلبه الطاهر ، فيحظى برؤية السرّ ، سرّ لقاء الله ، الذي هو غاية المقاصد ، ونهاية المرام .

شعر :

چون تو دیدی پرتو آن آفتاب

تو نماندی باز شد آبی به آب^٢

١- يقول : «إن طرأ عليك الألم بسبب المرشد ، فاعلم أنّ مفتاح قفل ألمك قد وُجد» .

٢- يقول : «وما أن رأيت ضوء الشمس حتى تزلزلت أركانك واختلطت أعضائك» .

قطره بودی گم شدی در بحر راز
می نیابی این زمان آن قطره باز
گرچه گم گشتن نه کار هر کسی است
در فنا گم گشتگان چون من بسی است^١
يقول الشيخ: اعلم حيث إنك الآن تقدر على الفعل، أي اليوم وقد
تهيأت لك أسباب السير والسلوك والعمر الثمين، اعلم بأن الإنسان يمكنه
أن يستحصل هذه الكمالات، بل إنّه مخلوق لهذه الغاية.
إذاً، هيئ هذه الأسباب التي يتوقف عليها حصول الكمالات،
وتحرّك نحو الهدف الذي من أجله خلق الكون، فعندما يدبّ الوهن في
البدن بعد القوّة، هذه القوّة التي هي وسيلة نيل هذا المطلوب، فستقاعس
عن السلوك والتريّض، وتضيع منك هذه الفرصة، وعندها، فإنّ علمك
يُسرّ تحصيل هذه الكمالات التي لم تكتسب منها شيئاً لن يعود عليك إلاّ
بالحسرة والندامة. شعر:

بود در اوّل همه بی حاصلی

کودکی و بی دلی و غافل

باز در اوسط همه بیگانگی

وز جوانی شعبه دیوانگی^٢

١- يقول: «كنت قطرة فُتِهت في بحر الأسرار، ولن تعثر على تلك القطرة في هذا الزمان أبداً.

إنّ الضياع والفناء وإن لم يكن ديدن كلّ أحد، لكنّ هناك في عالم الفناء الكثير من أمثالي».

٢- يقول: «في البدء كان العَبَثُ هو كلّ شيء: الطفولة والطيش والغفلة.

وفي وسط الأمر كانت العُربة والضياع، وكان الجنون الذي هو من صفات الشباب.

باز در آخر که پیری بود کار
تن خرف درمانده و جان گشته زار
چون ز اول تا به آخر غافلیست

حاصل ما لاجرم بی حاصلی است^١
ويمكن لهذه المقولة «إذا كنت لا تقدر فما فائدة أن تعلم» أن تحمل
هذا المعنى ، وهو أن الروح الإنسانية لما تفارق البدن ، فلا تعد هناك وسيلة
لتحصيل الكمال ، وتتيقن أن ما كان مطلوباً منها ، لم يحصل ، وراح
يستغرق في التمني : فَأَرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ،^٢ عندها لا تنفع
هذه المعرفة ، بل تزيد من ندمه ، وهو عذاب مضاعف .
وبما أن منشأ هذه المشاهدات والمكاشفات التي مرّ ذكرها ، هي
القلب الإنساني ، يقول في هذا الشأن :

چه می گویم حدیث عالم دل ترا ای سر نشیب و پای در گل^٣
ما الذي أقوله لك عن حديث عالم القلب ، وهو الخروج إلى العوالم
اللطيفة ، ومشاهدة الأنوار والتجليات الإلهية ، وأنت تنزل إلى قعر الهاوية ،
من أعالي مراتب الكمالات القلبية والروحية ، إلى أسفل السافلين ، وقد
غاصت قدما السير والسلوك في وحل اللذات الجسمانية ، والشهوات

١- يقول : «وفي النهاية، لما لاح الشيبُ وبيدت الشيخوخة، صار البدن خرفاً
ومخبولاً، فتألمت الروح.

ولأن الغفلة والإهمال كانتا الصفتين البارزتين من أول العمر إلى آخره، فإننا لم نحصد
إلا العبث والضباع».

٢- الآية ١٢ ، من السورة ٣٢ : السجدة.

٣- يقول «فأين أنت وحديث القلب يا مسكين ، يا من شمخت برأسك لكنّ رجلك
في الطين».

النفساتية ، وأضحى الهارب مطلوباً ، والمطلوب هارباً ، وتحمل النفس عناء الركن وراء المال والجاه ، وتبقى محروماً عن إدراك الكمالات المعنوية ، التي هي اللذة الحقيقية الباقية . شعر :

اهل دل شو ياكه بنده اهل دل

ورنه همچون خر فرومانی به گل

هرکه را دل نیست او بی بهره است

در جهان از بینوائی شهره است

رو به اسفل دارد او چون گاو و خر

نیستش کاری بجز از خواب و خور

حقّ همی گوید که ایشان فی المثل

همچو گاوند و چو خر بل هم أضلّ^١

ولأنّ الهدف من إيجاد العالم ، هو المعرفة ، ولا يقدر على تحصيل المعرفة الحقيقية إلاّ الإنسان الكامل ، فإنّ العالم مخلوق للإنسان . ولهذا قال الشاعر :

جهان آن تو و تو مانده عاجز ز تو محروم تر کس دید هرگز؟^٢

١- يقول : «كُنْ من أصحاب القلوب العاشقة أو كن عبداً لهم، وإلا فإنك ستبقى كالحمار المتوغّل في الوحل.

إنّ من لا يتعامل بالحبّ والعشق فلا خلاق له (من الحياة) وسيكون أشهر من نار على علم في البؤس والشقاء.

إنّ شخصاً كهذا ينكس رأسه دوماً إلى الأسفل كالبقير والحمير، ولا عمل يُلهيه أو شغل يشغله إلاّ النوم والأكل.

فالحقّ تعالى قد شبه أمثال هؤلاء قائلاً: أولئك كالأنعام بل هم أضلّ.

٢- يقول : «لك الدنيا وأنت فيها عاجز فهل رأى الدهر مثلك خسراناً؟»

فالعالم هو لك ، ومن أجلك وجد ، والوجود كله أداة طيعة في يدك ،
وأنت بدورك خلقت من أجل المعرفة ، ففي الحديث القدسي **يَا بَنَ آدَمَ !
خَلَقْتُ الْآشْيَاءَ كُلَّهَا لِأَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي** .^١ أما أنت فغارق في ملذات

١- «الجواهر السنية في الأحاديث القدسية» للشيخ الحرّ العامليّ، ص ٣٦١، طبعة
النجف الأشرف: قال [أي الحافظ رجب البرسي]:
وجاء في الأحاديث القدسيات : **أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : عَبْدِي ! خَلَقْتُ الْآشْيَاءَ لِأَجْلِكَ
وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي ؛ وَهَبْتُكَ الدُّنْيَا بِالْإِحْسَانِ وَالْآخِرَةَ بِالْإِيمَانِ** .
وجاء في تفسير «حدائق الحقائق» تأليف معين الدين القراهي الهروي المشهور
بالمولى مسكين، ص ٣٧٨ و٣٧٩، الطبعة الثالثة، ما يلي :

«لطيفة جليلة : لَمَّا غَلَقْتُ زُلَيْخَا الْأَبْوَابَ ، لَاحِظَ يُوسُفُ أَنَّهَا قَدْ زَيَّنَتْ نَفْسَهَا وَتَبَرَّجَتْ
عَلَى أَفْضَلِ مَا يَكُونُ . فَسَلَّمَ عَلَيْهَا ثُمَّ دَارَ بِوَجْهِهِ نَحْوَ الْحَائِطِ فَرَأَى صُورَتَهُ وَصُورَةَ زُلَيْخَا
مُنْعَكِسَةً عَلَى ذَلِكَ الْحَائِطِ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَدَارَ بِبَصَرِهِ نَحْوَ السَّقْفِ . فَرَأَى صُورَتَيْهِمَا مَنْقُوشَةً
عَلَى السَّقْفِ كَذَلِكَ . فَنَكَّسَ رَأْسَهُ إِلَى الْأَرْضِ فَالاحت له الصورة نفسها على الأرض ! فتحيّر
في الأمر . فكذلك ، أيها الدرويش ! فَإِنَّ مَجْمُوعَ أَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ مِنْ سَقْفِ فَلَكَ
الْأَطْلَسِ إِلَى سَطْحِ الْأَرْضِ الْمَسْدُوسَةِ الشَّكْلَ مَبْنِيَّةً عَلَى مَحَبَّةِ جَلَالِهِ الْأَقْدَسِ جَلَّ وَعَلَا . وَكَانَ
غَرَضُ زُلَيْخَا مِنْ تَصْمِيمِ الْبِنَاءِ عَلَى تِلْكَ الشَّاكِلَةِ وَتَصْوِيرِ الْقَصْرِ عَلَى تِلْكَ الْهَيْئَةِ ، أَنْ لَا يَرَى
يُوسُفُ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَيْهَا إِلَّا صُورَتَهَا مُنْعَكِسَةً فِي أَطْرَافِ الْقَصْرِ وَجَوَانِبِهِ ، وَلَا يَشَاهِدُ إِلَّا
جَمَالَهَا هِيَ وَحَدَهَا فَتَدْخُلُ سَلْسَلَةُ الْعَشْقِ وَالْمَحَبَّةِ فِي دَائِرَةِ وَحَلْقَةِ مَسْدُودَةٍ . وَكَذَا الْهَدَفُ
مِنْ خَلَقِ كُلِّ تِلْكَ الْأَجْرَامِ الْعُلُويَّةِ وَالْأَجْسَامِ السَّفَلِيَّةِ ، وَهُوَ تَوَجُّهُ هَذِهِ الْحَفْنَةِ مِنَ التُّرَابِ إِلَى
جَنَابِ الْأَقْدَسِ تَعَالَى ؛ **يَا بَنَ آدَمَ ! خَلَقْتُ الْآشْيَاءَ كُلَّهَا لَكَ وَخَلَقْتُكَ لِأَجْلِي** . ومهما أخفوا
وجوده بالحُللِ والخَلَعِ فَإِنَّهُمْ جَمِيعاً شَرَبُوا مِنْ كَأْسِ شَهْوَدِهِ وَأَصْبَحُوا مَرآةَ جَمَالِ مَظْهَرِ ذَاتِهِ
وصفاته ، حتّى لا يجد العارف غير حُسن محبوبه وجماله ، أتى نظر وإلى أيّ جانب أبصر ؛
كما يقول الفقير إليك :

گر گشائی دیده دل ، حسن او بینی همه

ور بسندی دیده بدبین ، نکو بینی همه ⇐

⇐ آفتابی را که اندر روزن دل تافته است
 با همه ذرات عالم روبرو بینی همه
 ناظر حقّ باش در مرآت ذرات وجود
 تا در این آئینه‌ها دیدار او بینی همه
 عکس روی است آنکه می‌تابد ز آئینه نه روی
 آینه بردار تا خود جمله رو بینی همه
 یک سر موگر شود از عالم وحدت پدید
 هر دو عالم کمتر از یک تار مو بینی همه
 از گلستان معانی یک گلت نامد بدست
 بس که در گلزار صورت رنگ و بو بینی همه
 باده وحدت به هر ظرفی نمی‌گنجد معین

نیست این زان می که در خمّ و سبو بینی همه»

يقول: «لو فتحت بصيرتك لرأيت في كل شيء حسنه وجماله، ولو أغلقت عين
 التشاؤم لرأيت الأشياء كلها جميلة وحسنة.
 وسترى أنّ ضوء الشمس المتألق في أعماق القلب لا يختلف عن باقي الذرات في
 العالم.

كُنْ ناظرًا للحقّ في مرآة ذرات الوجود، حتّى يتسنى لك رؤية صورته ومُحيّاه في هذه
 المرايا.

إنّ ما تراه في المرآة إنّما هي صورة مُنعكسة وليس الوجه نفسه، فأزل المرآة لترى
 وجهه في كلّ شيء.

إن ظهر لك عالم الوحدة ولو بقدر شعرة واحدة، لرأيت كِلا العالمين وكأُنهما
 لا يتجاوزان شعرة واحدة.

ما حصلت إلى الآن حتّى على زهرة واحدة من بستان المعاني، وذلك لأنك ترى
 الجميع في بستان الصورة ذاك على هيئة لون ورائحة.

الطبيعة ، مشغول عن تحصيل المعرفة التي من أجلها خلقت ، مُتَّبِع هوى النفس الأمارة بالسوء ، أفلا تستطيع أن تترك اللذات الفانية أياماً قلائل وتغنم الكمالات الأزليّة من فيض المعرفة الإلهيّة ، وتنجو بنفسك من الحرمان الأبديّ ؟

فبسبب دناءة الهمة ، وعدم الانقياد ، جعلت من نفسك الأكثر شقاءً ، والأتعس حظاً من بين كلّ الموجودات . إنّ بقيّة المخلوقات ، لا يسمون لأعلى ممّا خلقوا لأجله ، فهم لا يرون كملاً غير الذي هم فيه ، وبسبب عدم الأهليّة ، فليس عليهم بلوغ الكمال كما هو مطلوب من الإنسان ، أمّا أنت ، فتعرف كلّ هذا ، ولأجل هذا كانت خلقتك ، فلا تكن عبداً للذات البهيميّة ، والشهوات النفسانيّة ، وتتخلّف عن مقصود العالمين .

شعر :

اين چه نادانى است يك دم با خود آى

سود مى خواهى از اين سودا برآى^١

﴿ إنّ صهباء الوحده لا يحويها كلّ ظرف ولا يسعها كلّ إناء ، إذ إنّ هذه الصهباء ليست كالتي عهدت محفوظة في الأزوار والدنان .﴾

وافتح الشيخ محيي الدين بن عربي في «الفتوحات المكيّة» ص ١٢٣ ، الباب ٣٣٣ ، القسم الثالث ، الطبعة القديمة ، بما يلي :

فِي مَعْرِفَةِ مَنْزِلِ «خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي ؛ فَلَا تَهْتِكُ مَا خَلَقْتُ مِنْ أَجْلِي فِيمَا خَلَقْتُ مِنْ أَجْلِكَ» .

وقال في طبعة ١٣٩٥ هـ ، الجزء السابع والعشرون ، باب الستون ، ص ٣٥٨ : وَأَنْزَلَ فِي التَّوْرَةِ : «يَا بَنَ آدَمَ ! خَلَقْتُ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِكَ وَخَلَقْتُكَ مِنْ أَجْلِي» .

١- يقول :

أتريد منفعة ؟ خذ من ذا وأدبر»

«ما هذا الجهل اصحّ وتدبر»

گنج عالم داری و کد می کنی

خود که کرد آنچه تو با خود می کنی ؟

پادشاهی ، از چه می گردی گدا ؟

گنجها داری ، چرائی بینوا ؟^۱

ولأنه لا راحة من اللذات الشهوانية ، والأطماع النفسانية ، يقول :

چو محبوسان به یک منزل نشسته

بدست عجز ، پای خویش بسته^۲

فهو كالسجين المكبل الرّجلين ، جالس ، لا يقوى على الخروج ، وقد حُصِر في منزل التقليد والطبيعة والأهواء النفسانية لا يتجاوزه ، وقد قيد بيَد العجز قَدَمي السير والسلوك عنده ، ولا مهرب له للخلاص من هذه القيود ، من شدة الكآبة ، وبسبب برودة التقليد وهوى النفس التي تركت أثرها فيه ، وأصبح كالميت ، لا يمتلك حرارة الشوق ولا ذوق العشق . شعر :

زنده شو این مردگی از خود ببر گرم شو افسردگی از خود ببر

آتشی از عشق او در دل فروز خرمن تقلید را یکسر بسوز^۳

ولأن برودة الطبع والهوى غالبه على أمزجة النساء ، فهو يقول :

۱- يقول :

«تملك الدنيا وتُجهد نفسك من ذا قد فعل الذي عليه تصرّ

أنت سلطان، لماذا تكتدي ؟ تملك الكنز ، علام تسهر ؟»

۲- يقول : «كما المسجون الذي جلس في منزل من المنازل وقد قيد بالعجز قدميه» .

۳- يقول : «إحيي وأزل عنك هذا اليأس والتهاؤك ، وانشط و تفاعل ، واهجر الكآبة

والهمّ .

اشعل في قلبك شعلة من نيران حبه ، واحرق أكداس وركام التقليد برمتها» .

نشستی چون زنان در کوی ادبار نمی داری ز جهل خویشتن عار^١
فکنت كالنساء ، أدرت ظهرك للمعرفة ، واتجهت لمقتضيات الطبيعة
وهوى النفس ، وسلكت سبيل الشقاء والادبار ، واغتررت بمباهج الدنيا
وظاهرها البراق ، ولم ترفع قدماً في طريق نيل الكمال المعنوي ، ولم
تخجل من جهلك . شعر :

تا به کی همچون زنان این راه و رسم و رنگ و بو؟
راه مردان گیر و با صاحب‌دلان دمساز شو
چون زغن تا چند باشی بسته مردار تن
در هوای سیر جان یک لحظه در پرواز شو^٢
وحيث إنّ حصول الكمالات ، مقرون بمخالفة النفس وهواها ،
يقول :

دلیران جهان آغشته در خون تو سر پوشیده نهی پای بیرون^٣
أي أنّ طالبي قرب المولى عزّ وجلّ ، وهم سالكو الدرب بما
يملكون من شجاعة خارقة ، في صراع دائم مع النفس الأمارة بالسوء ،
حيث يقول الحديث الشريف : **أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ** ،^٤

١- يقول : «جلست - كفعل النساء - في درب الادبار ، وما أدراك أنّ في ذلك عاراً» .

٢- يقول :

«حتّى م كالنساء تبغي السبلا
كالحداة لا تبرح المُستَنقعا
خُذ سبيلاً للرجال الكُملا
طرّ لحظة واطلب لنفسك النفعاً»

٣- يقول : «فالأشواوس في العالم مخضّبون بدمائهم ، في حين أنّك متخفّ لا تجرؤ

على الخطو خارج منزلك» .

٤- نُقِلَ هذا الحديث في «بحار الأنوار» ج ١٥ ، ص ٤٠ ، في الجزء الثاني المتعلّق بالأخلاق ، طبعة الكمباني ، نقلاً عن «عُدّة الداعي» . وأوردها كذلك المرحوم آية الله

التي هي عدوة الدين ، فهم لا يكفون عن محاربتها باستمرار ، يقول الحديث القدسي : **أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنْ أَرَدْتَ رِضَائِي فَخَالَفْ نَفْسَكَ ؛ إِنْ لَمْ أَخْلُقْ خَلْقاً يُنَازِعُنِي غَيْرَهَا ، هُوَ لَاءَ هُمْ** راسخو الأقدام ، انبروا إلى مخالفتها ومجادلتها ، ولم يركنوا إلى مكرها لحظة واحدة ، فقلوبهم كلمى من غضبها وقهرها ، أما أنت ، فقد وضعت حجاب التقليد على وجهك ، وأقمت في دار الطبع والهوى كالحریم ، ولم تتقدم في طريق الطلب ، ولم تنج بنفسك من مستنقع الطبيعة هذا .
شعر :

نفس دون را زيردستی تا به کی ؟

شو مسلمان ، بت پرستی تا به کی ؟

همچو یوسف خوش برآ از قعر چاه

تا شوی در مصر عزت پادشاه^١

ولأن التقليد في طريق معرفة الله ، الذي هو أساس جميع العقائد

الدينيّة ، غير مستحسن ، فهو يقول :

چه کردی فهم از این دین العجائز

که بر خود جهل می داری تو جایز؟^٢

بحر العلوم في الرسالة المنسوبة إليه ، ص ٩٤ . وذكرتها أنا الحقير في رسالة «لبّ اللباب» وهي مجموعة دروس وتقريرات الأستاذ العلامة ، ص ٧٣ . وجاء ذكره أيضاً في «حدائق الحقائق» ص ٧١١ .

١- يقول : «إلى متى ترزح نفسك في الحضيض ؟ كُن مسلماً ، فحتّى مَ عبادتك

الأصنام؟

كُن كيوسف؛ أخرج بنفسك من غيابة الجبّ ، حتّى تصبح العزيز في مصر» .

٢- يقول : «ما الذي استوعبت من دين العجائز فقبلت الجهل حكماً ما بجائز؟»

ويشير إلى الحديث الشريف: وَعَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ،^١ أي ماذا

١- قال صاحب ديوان «أحاديث مثنوي» ص ٢٢٥ و ٢٢٦ برقم ٧٤٢، الطبعة الثانية: هم در اول عجز خود را او بديد
مرده شد دين عجائز برگزيد
يقول: «لقد رأى عجزه في البداية فمات وسار على دين العجائز».
وهو إشارة إلى الحديث المذكور: عليكم بدين العجائز. («إحياء العلوم» ج ٣، ص ٥٧؛ واعتبره مؤلف «اللؤلؤ المرصوع» ص ٥١ موضوعاً مستقلاً. راجع «اتحاف السادة المتقين» ج ٧، ص ٣٧٦، ففيه بحث مفيد حول هذا الحديث وشواهد على صحته».
وذكر آية الله الحاج الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء رحمه الله في كتاب «الفردوس الأعلى» ص ٢٢٤، الطبعة الثالثة، ما يلي: ولعل هذا المراد من الكلمة المأثورة: «عليكم بدين العجائز». وقال آية الله السيد محمد علي القاضي الشهيد رحمه الله معلّقاً على ذلك بقوله:

«مراد شيخنا الإمام دام ظلّه من كون تلك الكلمة مأثورة، هو كونها مأثورة عن بعض السلف، لا أنّها مأثورة بهذه العبارة عن أحد المعصومين عليهم السلام؛ لأنّها ليست من المأثورات عن النبي أو أهل بيته عليهم الصلاة والسلام، ولم يروها أحد من المحدثين بطرق أصحابنا الإمامية أو بطرق أهل السنة في الجوامع الحديثية عنهم صلوات الله عليهم كما حقّقنا ذلك تفصيلاً في بعض مجاميعنا.

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر بن أحمد المقدسي في كتابه: «تذكرة الموضوعات» ص ٤٠، ط ٢، مصر، سنة ١٣٥٤ هـ: عليكم بدين العجائز. ليس له أصل من رواية صحيحة ولا سقيمة إلا لمحمد بن عبدالرحمن البيهقي بغير هذه العبارة له نسخة، كان يُتهم».

وذهب جماعة من العلماء كالشيخ البهائي وتلميذه الفاضل الجواد والفاضل المازندراني إلى أنّ تلك الكلمة من كلام سفيان الثوري من متصوفة العامة.

وقال القوشجي في «شرح التجريد»: إنّ عمرو بن عبيدة لما أثبت منزلة بين الكفر والإيمان، فقالت عجوزة: قال الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ، فلم يجعل الله من عباده إلا الكافر والمؤمن؛ فقال سفيان: عليكم بدين العجائز!.

استنبطت من هذا الحديث حتى تبيح لنفسك الجهل ، ولا تسعى وتجتهد وتكدح في طريق المعرفة الإلهية ؟ إلا اللهم ، إذا اعتقدت بأن التفكير في معرفة الله ممنوعة ، وأن هدف النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من هذا الحديث هو كما أن لا قدرة للعجائز على التفكير والاستدلال ، فكونوا أنتم أيضاً كذلك . أي أن لا تسعوا في طلب المعرفة اليقينية ، واكتفوا بمجرد التقليد ، وبهذا الاستنباط العقيم ، قد سرى الخذلان والجهل إلى نفسك ، ولم تسع في طريق الطلب ؟

واعلم ، أن حقيقة مضمون هذا الحديث الشريف ، هو أنه يجب علينا وفي جميع الأحكام الشرعية ، بدءاً من الأوامر ، حتى النواهي التي تشكل هيكل الدين ، أن نتقيد بتنفيذها ، كما تفعل العجائز ، وأن لا نشرك العقل أو هوى النفس فيها . وأن لا نفسر الأمور على خلاف ظاهرها ، إلا إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، لأن تأويل الأحكام الشرعية ليس مرجعها العقل وحده ، وليس معنى ذلك ترك التفكير في معرفة الله ، والكف عن الطلب ، والقبوع في بيت التقليد المحض مثلما تفعل العجائز . شعر :

◀ وقال المحقق القمي قدس سره صاحب «القوانين» : المذكور في الألسنة والمستفاد من كلام المحقق البهائي قدس سره في حاشية «الزبدة» أن هذا هو حكاية دولابها وكف اليد عن تحريكها لإظهار اعتقادها بوجود الصانع المحرك للأفلاك ، المدبر للعالم .
وحكى سيد الحكماء السيد الداماد قدس سره في «الرواشح السماوية» ص ٢٠٢ ، طهران ، عن بعض العلماء أن عليكم بدين العجائز من الموضوعات . وعن كتاب «البدر المنير» : أنه لا أصل له بهذا اللفظ .

ولكن روى الديلمي مرفوعاً : إذا كان في آخر الزمان واختلفت الأهواء ، فعليكم بدين أهل البادية والنساء ! قفوا على ظواهر الشريعة وإياكم والتعمق إلى المعاني الدقيقة ! أي فإنه ليس هناك من يفهمها . انتهى .

آن دلی کوهست خالی از طلب
 دائماً بادا پر از رنج و تعب
 آن سری کو را هوای دوست نیست
 زو مجو مغزی که او جز پوست نیست
 جان که جویایت نباشد کوبه کو
 مرده بی جان بود جانش مگو
 جان ندارد هر که جویای تو نیست
 دل ندارد هر که شیدای تو نیست^١
 فالمراد من الحديث ، هو ليس الاقتصار على التقليد ، ويقول هنا :
 زنان چون ناقصات عقل و دینند چرا مردان ره ایشان گزینند؟^٢
 ففي الحديث الشريف للرسول الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : هُنَّ
 نَاقِصَاتُ الْعَقْلِ وَالِدِّينِ .^٣

١- يقول : «إِنَّ الْقَلْبَ الْفَارِغَ مِنَ الطَّلَبِ وَالبَحْثِ مَلِيءٌ دَائِمًا بِالْمَتَاعِبِ وَاللُّغُوبِ .
 وَلَا تَبْحَثُ عَنِ الْمَخِّ فِي الرَّأْسِ الَّذِي لَا يَشْغَلُهُ هَوَى الصَّدِيقِ وَالرَّفِيقِ ، فَلَيْسَ ذَلِكَ
 الرَّأْسُ سِوَى قَشْرًا وَحَسَبِ .
 إِنَّ الْنَفْسَ الَّتِي لَا تَقْطَعُ الْجِبَالَ وَالْوُدْيَانَ بَحْثًا عَنكَ ، لَيْسَتْ نَفْسًا بَلْ مَجْرَدَ جَسَدٍ
 بِلَا رُوحٍ .
 إِنَّ مَنْ لَا يَبْحَثُ عَنكَ وَلَا يَطْلُبُكَ لَا يَمْلِكُ رُوحًا عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا قَلْبَ لِمَنْ لَا يُتَيَّمُ
 بِكَ» .

٢- يقول : «إِنَّ النِّسَاءَ نَاقِصَاتُ الْعَقْلِ وَالدِّينِ ، فَلَيْمَ يَخْتَارُ الرِّجَالُ طَرِيقَهُنَّ وَنَهْجَهُنَّ ؟» .
 ٣- وجاء في «نهج البلاغة» في الرسالة ١٤ ، من باب الرسائل ، وطبعة مصر ، مطبعة
 عيس البابي الحلبي ، شرح الشيخ محمد عبده ، ج ٢ ، ص ١٥ :
 وَلَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَّيْنَ أُمَّرَاءَكُمْ ! فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتٌ

كما أن المقصود بـ **عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ** ، ليس أن تكونوا في الدين

﴿ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ . إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ .

وذكر في «فروع الكافي» ج ١ ، ص ٣٣٨ ، في كتاب الجهاد، الطبعة الحجرية، بلفظ **فَائِهِنَّ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ** ، في رواية مفصلة والتي ذكر السيد الرضي موجزاً لها في «نهج البلاغة»، عن حديث مالك بن أعين أنه قال: **حَرَّضَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ النَّاسَ بِضِعْفَيْنِ فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ - إِلَى آخِرِ وَصِيَّتِهِ وَتَحْرِيزِهِ عَلَى الْجِهَادِ .**

وجاء في «شرح نهج البلاغة» للخوئي، ج ١٨ ، ص ١٦٦ ، أنه جاء لفظ: **فَائِهِنَّ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ وَالْعُقُولِ** في كلتا الروايتين لـ «الكافي» ونصر بن مزاحم، إلا أن تلك اللفظة وردت في رواية الطبري بشكل: **فَائِهِنَّ ضِعَافُ الْقَوَى وَالْأَنْفُسِ** دون ذكر كلمة **وَالْعُقُولِ** .

وجاء في الخطبة (٧٨) من «نهج البلاغة»: ومن خطبة له عليه السلام بعد حرب الجمل في ذم النساء:

مَعَاشِرَ النَّاسِ ! إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الْإِيمَانِ ، نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ ، نَوَاقِصُ الْعُقُولِ ؛ فَأَمَّا نَقْصَانُ إِيْمَانِهِنَّ فَتَقْوُدُهُنَّ عَنِ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ ، وَأَمَّا نَقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثِهِنَّ عَلَى الْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرَّجَالِ ، وَأَمَّا نَقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ ؛ فَأَتَقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ، وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعَنَّ فِي الْمُنْكَرِ .

وأورد هذه الخطبة في «نهج البلاغة» ج ١ ، ص ١٢٩ ، طبعة مصر بتعليق الشيخ محمد عبده؛ وكذا في «سفينة البحار» ج ٢ ، ص ٥٨٧ ، مادة نَسَأُ ، في (كج نظ ٥٣) ج ٢٣ ، طبعة الكمباني ، الباب ٥٩ ، ص ٥٣ . وذكر ذلك أيضاً الآقا جمال الدين الخونساري في شرح «غرر الحكم ودرر الكلم» للآمدّي، ج ٦ ، ص ٢٨١١ و ٢٨١٢ برقم ٩٨٧٧ .

وقال الملا مسكين في «حدائق الحقائق» ص ٤٣٨ ، الطبعة الثالثة: «وقد اعتبر كيد النساء عظيماً لأن المرأة من مصائد الشيطان وحبائله: **النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ** . وناقصات العقول **نَاقِصَاتُ الْعُقُولِ وَالِدِّينِ** ، ومع هذا نجد كثيراً من الرجال مع كمال عقولهم وتمام نهاتهم يقعون أسرى في شرك النساء وكيدهن ومكرهن» .

تابعي العجائز ، بسبب أتهن ناقصات دين ، كما أخبر الرسول صَلَّى الله عليه وآله عنهنّ ، فلهذا يكون المراد منه ، الانقياد للأوامر ، وترك النواهي ، وعدم التأويل على حسب الأهواء النفسانيّة ، تماماً كما تفعل العجائز .

وكلّ ما لا يدركه عقلك ، دع حقيقة تأويله ، واعترف بقصورك ، فإنّ كمال النبوة أعلى من أن يبلغ أيّ فرد حقائق أحكامها الشامخة . شعر :

چشم تو ادراک غیب آموخته

چشمهای دیگران بر دوخته

آن یکی ماهی همی بیند عیان

و آن یکی تاریک می بیند جهان

سالها گر ظنّ دود با پای خویش

نگذرد ز اشکاف بینی های خویش^١

كما ذكر آنفأ ، فإنّ النساء ناقصات دين ، ومن غير المناسب ، تقليد الرجال لطريقتهنّ ، ولا أن يضربوا حولهم حجاب التقليد ، وهو الآن يقول :

اگر مردی برون آی و نظر کن

هر آنچ آید به پشت زان گذر کن^٢

أي إذا كنت رجلاً ، فاعلم أنّ التواري وراء جدار التقليد والطبع هو من صفات النساء وطباعهنّ ، وليس من طباعك ، فتهتياً للسفر إلى عالم

١- يقول : «أغشيت عين الرجال وأنت وحدك من بينهم باصراً وحَصيف .

فعينٌ ترى البدر كلّ حين ، وأخرى لا ترى العالم إلا ظلاماً وعُتمة .

ولو سعى الظنُّ سنين راکضاً على قدميه ، لم يُبصر أبعد من أنفه .

٢- يقول : «إن كنت رجلاً فاخرج وانظر ، وتجاوز كلّ ما يعترضك» .

المعنى والقرب من المولى جلّ وعلا ، وأخرج نفسك من حالة التقليد والطبع وهوى النفس التي تولّد السكون واليأس ، وتقدّم في طريق طلب منازل الدنيا والعقبى ، واطلب من الحقّ تعالى أن يشغلك ، وتخلّ عن كلّ شيء ، ولا تتوقّف عند مرتبة أو منزلة من المنازل ، حيث يقول متجرّدو النهج ، وعشاق الحقيقة : إنّ همّة السالك ، في طريق الطلب ، من العلوّ بحيث إذا عرضت عليه كلّ المقامات والمراتب ، نظر إليها بازدراء ، ووجهه جلّ اهتمامه إلى المطلوب الحقيقيّ . شعر :

زانکه گر جائی نظر خواهی فکند

در کنار خویش سر خواهی فکند

چیست زو بهتر ، بگو ای هیچ کس

تا بر او دلشاد باشی یک نفس؟

من نه شاهی خواهم و نه خسروی

آنچه می خواهم من از تو هم توئی

مرگ جان بادا دل درویش را

گر گزیند بر تو هرگز خویش را^١

١- يقول : «إِذَا التَّفَتُّ أَوْ نَظَرْتُ هُنَا وَهَنَّاكَ (وَأَنْتَ فِي طَرِيقِكَ نَحْوَ الْحَقِّ) ، فَإِنَّكَ سَتَظَلُّ مَكَانَكَ وَتَرَكْتَ فِي مَحَلِّكَ دُونَ حَرَكَ .

مَنْ ذَا أَفْضَلَ وَأَعْلَى مِنْهُ حَتَّى تَسِرَّ قَلْبَكَ بِهِ وَتَبْحَثَ عَنْهُ بِاسْتِمْرَارٍ؟ قُلْ ! بِالتَّأَكِيدِ لَا يُوْجَدُ أَحَدٌ (أَفْضَلَ وَأَعْلَى مِنْهُ) .

أنا لا أطلب أن أكون ملكاً أو سلطاناً، أبداً، إنّ ما أريده منك هو أنت نفسك .

إنّ الدرويش (والسالك إلى الله) يتمنى موت نفسه على أن يفضلها عليك أو يرحبها

في مقابلك» .

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ.^١
لأنّ الانشغال بالأسباب ، والاتفات لغير المطلوب ، يورث البعد
والحرمان ، يقول هنا :

مياسا يك زمان اندر مراحل مشو موقوف همراه رواحل^٢
فالشوق والعشق للسالك الطالب والصادق ، يجب أن يكون من
السمو بحيث لا يتوقف العبد عند أية منزلة من المنازل في مسيره الذي
يقطعه إلى الحقّ تعالى ، وأن لا يريح النفس عند أية منزلة من هذه
المنازل ، ولا يتوقف مع من توقف من القوافل ، إلا مع مربّيه ، وهو الشيخ
الكامل ، الذي لا يتيسر بدونه سلوك الطريق ، وأن يهيم ويحنّ للقاء
المحبوب ، فلا قرار له ولا راحة ، ولا في قافلة يرغب ولا رفيق ، ولا عن
وداع يبحث ولا دليل . شعر :

پابرهنه می روم در خار و سنگ

زانکه من حیرانم و بی خویش و دنگ

تو مبین این گامها را بر زمین

زانکه بر دل می رود عاشق یقین

یک دم هجران بر عاشق چو سال

وصلی سالی متصل ، پیشش خیال^٣

١- صدر الآية ٤٨ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- يقول : «لاتقفنّ في منزل دونه منازل ، ولا تكن موقوفاً في صفّ الرواحل» .

٣- يقول : «أسير فوق الحصى والأشواك ، أنا حيران بدونك تائه دون معين .

أنت المبين لخطونا فوق التراب ، كلّ من يعشق وجهك واثق غير ظنين .

كلّ لحظة هجر تعدل لدى العاشق سنيناً ، ووصال لعام عنده كالخيال» .

وكتالِب الحق الذي يمضي على خُطى النبيّ ، يقول :

خليل آسا برو حقّ را طلب كن

شبی را روز و روزی را به شب کن^١

فكن كإبراهيم الخليل عليه السلام ، الذي حرّر نفسه من إنا وجَدْنَا

ءآبَاءَنَا ،^٢ وفي سبيل طلب الحقّ وذكره صل الليل بالنهار ، والنهار بالليل .

أي لا تغفل ، ولا تترقد جفونك عن طلب الحقّ لحظة واحدة . شعر :

مرد باید کز طلب وز انتظار هر زمان صد جان کند بروی نثار

نی زمانی از طلب ساکن شود نی دمی آسودنش ممکن شود

گر فرو استد زمانی از طلب مرتدی باشد در این ره بی ادب^٣

فإنّ حجاب النور كحجاب الظلمة ، مانع من الوصول ، فيقول :

ستاره بامه و خورشید اکبر بود حسّ و خیال و عقل انور^٤

لأنّ الترغيب والتشويق ، جعل الطالب السالك صادقاً ، يقول ، يجب

أن نخطو خطوات أكبر من التقليد ، ونمضي إلى مصاحبة الأنبياء عليهم

السلام ، في سلوك الطريق إلى الله ، لينال كلّ حظّه - وحسب استعداده

الفطريّ - من مكاشفات الأنبياء ، وذلك بحسن المصاحبة .

وبفضل العناية الإلهية التي تحيط بالأنبياء عليهم السلام ، والأنفاس

١- يقول : «كن كالخليل وابتغ الحقّ ، وصل في بحثك الليل بالنهار».

٢- مقطع من الآية ٢٣ ، من السورة ٤٣ : الزخرف .

٣- يقول : «على المرء أن يضحّي نفسه مائة مرّة من أجل الوصول إلى طلبه ونيل

مراده .

وعليه أن لا يستكنّ لحظة واحدة عن الطلب ولا يستقرّ عن الهدف .

وإن توقّف لحظة عن ذلك صار أشبه ما يكون بالمرّتدّ وقليل الأدب».

٤- يقول : «كانت الشمس والقمر والنجم لا محال ، عقلاً منيراً وحسّاً وخیالاً».

القدسية التي يحوون ، فقد جعل ظاهرهم عين باطنهم ، ففي حين يبذل الأولياء أقصى سعيهم واجتهادهم ، ليروا فيض الولاية بعين البصيرة ، يرى الأنبياء هذا الفيض جلياً وبأتم أعينهم ، وبيان حالاتهم ومكاشفتهم هو فوق فهمنا وإدراكنا . وفي بيان مقامات ومكاشفات وتجليات السالكين والمكاشفين ، وهم أولياء الله ، في متابعتهم الأنبياء عليهم السلام ، التي تحصل عن طريق الرياضة والسلوك ، فإنه يورد مقدمة ، لتيسير فهم المعاني التي يشير إليها الشيخ في هذه الآيات حول طريقة كل نبي ، ويقول :

اعلم ، أن الولاية الخاصة هي كمال القرب إلى الحق تعالى ، لدرجة أن تمحي الثنائية بينهما ، ويزوب الولي في الحق تعالى بعد فناء الـ «أنا» فيه ، وهذا لا يتم بغير التصفية ، وذلك عن طريق ترويض النفس على المجاهدات ، والتجرد من العلائق والكدورات البشرية والعوائق الجسمانية ، والتوجه نحو الحق تعالى ، والتزام الخلوة ، والمواظبة على الذكر والطاعة والعزيمة والانقطاع والتبتل عن الخلق .

والأنبياء عليهم السلام بحكم قدسيتهم ونزاهتهم ، وفائق العناية الإلهية التي تحيط بهم ، فإنهم في مسألة الإرشاد ، لا يحتاجون أحداً غير الحق تعالى ، إن استثنينا توسط الملائكة في بعض الأحيان . وأما اتفاق أصحاب الطريقة ، فهو أن باقي أصناف الأولياء ، عدا المجذوبين منهم لا يمكنهم الوصول للهدف الحقيقي ، وهو مقام الولاية ، بدون إرشاد صاحب الكمال الذي يتولى إرشادهم . شعر :

پير ، ما لابد به راه آمد ترا

در همه كارى پناه آمد ترا^١

١- يقول : «أيها الشيخ ! لقد جاءك ما لا بد منه ولا مفرّ ، وهو ملائكتك في كل أعمالك» .

اي خنك آن مرده كز خود رسته شد

در وجود زنده‌ای پیوسته شد

هرکه شد در ظلّ صاحب دولتی

نَبودش در راه ، هرگز حاجتی^١

الإنسان هو عصاره جميع المراتب ، فإذا عمل بطريقة التصفية كما ينبغي ونور قلبه - الذي هو بالحقيقة البرزخ الجامع للوجوب والإمكان - بالذّكر والتوجه الكلّي للمبدأ ، ورفع الموانع عن الطريق إلى نور القدس ، فإنّه سيحصل على الصفاء التام ، وينعكس كلّ موجود فيه ، وتنكشف صور كلّ الأشياء ، من مادّيات ومجرّدات ، في قلبه ، وبهذا الصفاء والانسجام الذي ابتدع مع عالم المعاني ، تتجسّم المجرّدات له ، وهي التي ليس لها صور حسّية في العالم الجسمانيّ ، وتتشكّل بأشكال محسوسة ، على حسب النسبة الموجودة بينها وبين تلك الصورة ، فعلى سبيل المثال ، كان جبرئيل عليه السلام يظهر بصورة دحيّة ، وغير ذلك من الصور ، للرسول الأمين صلّى الله عليه وآله وسلّم وحتىّ البارئ جلّ وعلا ، أحياناً ، يظهر له في عالم المثال ، متلبساً بلباس المظاهر الحسّية ، وهو ما يطلق عليه اصطلاحاً ، التأنيس ، وهو عبارة عن تجلّي الحقّ تعالى على صورة المظاهر الحسّية ، لغرض تأنيس المرید المؤيّد ، بالتزكية والتصفية ، وهو بداية تجلّيات القلوب .

١- يقول : «فيا أيّها السعيد ! إنّ ذلك الميّت الذي تحرّر من (قيود) نفسه ، قد التحقّ

بالوجود الحيّ .

فمّن استظلّ بظلّ صاحب الحكومة والسلطان لم يَحْتَجْ إلى شيء خلال سيره في ذلك

الطريق» .

والآن اعلم ، أن التجلي ، وهو ظهور الحق تعالى في بصيرة قلب السالك الطاهر ، بشكل عام على أربعة أنواع وهي : الآثاري ، الأفعالي ، الصفاتي ، والذاتي .

التجلي الآثاري : وهو أن يرى الحق تعالى على صورة الجسمانيات ، الذي هو عالم الشهادة ، من البسائط العلوية والسفلية ، والمركبات ، على أية صورة كانت ، وحين الرؤية ، يتيقن بأنه الحق ، والتجلي الآثاري ، والتجلي الآثاري الصوري (أي المشاهدة على صورة إنسان) ، هما أتم وأعلى من باقي التجليات .

التجلي الأفعالي : هو أن يتجلى الحق تعالى على صفة من الصفات الفعلية ، وهي الصفات الربوبية . وتجليات الأفعال ، غالباً ما تتمثل بالألوان المتلونة ، أي أن الحق تعالى يرى على هيئة نورٍ أخضر ، أو أزرق ، أو أحمر ، أو أصفر ، أو أبيض .

التجلي الصفاتي : وهو تجلي الحق تعالى على هيئة الصفات السبع الذاتية وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وأحياناً ، في هذا النوع ، يكون التجلي على هيئة نور أسود ، أي يتمثل الحق تعالى بصورة نور أسود .

التجلي الذاتي : وذلك بأن يفنى السالك فناءً مطلقاً ، ولا يعد للعلم أو الشعور أو الإدراك وجود قطعاً . والتجليات المذكورة تتفاوت بحسب صفاء وأوقات المتجلى عليه .

فإذا رأى الحق تعالى مظهراً له ، فهو التجلي الكامل ، وأما إذا أصبح هو انعكاساً للحق تعالى ، أي يرى الحق في نفسه ، فهذا أتم وأكمل ، لأن التحقيق يثبت هذا . وفي جميع مراتب التجليات المذكورة للحق تعالى ، فإن رؤية الحق جلّ وعلا أو تجسد الحق فيه ، هو طريق التصفية الحقيقي .

وسماع موسى عليه السلام لنداء إني أنا الله رب العالمين^١، وكذلك الحديثان الشريفان رأيتُ ربِّي في أحسن صورة^٢، ومن رأني فقد رأني الحق^٣ شواهد قاطعة على جواز حدوث التجليات .

وحالة البقاء بالله تكون على حسب الكاملين الواصلين، وذلك بعد فناء السالك في التجلي الذاتي، يخلد ببقاء الحق وخلوده، حيث يرى نفسه مطلقاً، بلا تعين جسماني أو روحاني، وقد أحاط علمه بكل ذرة من الكائنات، واتصف بكل الصفات الإلهية، وإنه القائم المدبر لهذا العالم، ولا يرى شيئاً غير نفسه، وهذا هو المقصود من كمال التوحيد العياني .

آن كه سُبْحاني همی گفتم آن زمان

این معانی گشته بود او را عیان

هم ازین رو گفتم آن بحر صفا

نیست اندر جُبهام الا خدا

آن انا الحق گفتم این معنی نمود

گر به صورت پیش تو دعوی نمود^٤

١- ذیل الآیة ٣٠، من السورة ٢٨: القصص.

٢- وورد في هامش «الإنسان الكامل» لعبد الكريم الجليلي، ج ٢، ص ٦١، ط ١٣١٦، المطبعة الأزهرية المصرية، على «المضنون به على غير أهل» تصنيف الغزالي أنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .

٣- قد مر ذكر مصدر هذا الحديث في هذا الكتاب.

٤- يقول: «إن الذي قال كلمة «سُبْحاني» في ما قبل، إنما كانت هذه المعاني قد تجلّت

له في الحقيقة بالكامل.

وكذا قوله «ليس في جُبتِي إلا الله سبحانه».

وهو الذي أشار إلى هذا المعنى بقوله: أنا الحق، وإن بدا لك في الظاهر غير ذلك».

ليس في الدارين أن كو گفته است
 دُرّ این معنی چه نیکو سفته است
 چون نماند از توئی با تو اثر
 بی گمان یابی از این معنی خبر^١
 وما كتبه سلطانا العالم ، والواصلان الموقنان ، الشيخ أبو محمد
 روزبهان ، والشيخ شمس الدين محمد الديلمي قدس سرهما عن الوقائع
 التي عاشها حكايات عن هذه المراتب التي مرّ ذكرها .
 وكذلك في مراحل التصفية ، يعرج السالكون معراجاً روحانياً بالبدن
 المثالي أو بدونه ، حيث يرى السالك في كلّ سماء وعلى حسب الحالة ،
 أرواح الأنبياء والأولياء والملائكة ، ويحلّق في السماء ، إلى العرش وإلى ما

١- يقول : «وما أروع ما نظّم دُرّ هذا المعنى، ذاك الذي قال «ليس في الدارين...» .
 فإذا لم يبقَ للـ(أنا) فيك أي أثر أو بقية، فإنك لا جرّم ستحصل على هذا المعنى
 وستصل إليه» .

سبق أن ذكرنا في هذا الكتاب أن بايزيد البسطامي هو قائل عبارة **سُبْحاني ما أعظم شأني** . وهنا نكرّر أن : الشيخ نجم الدين الرازي قال في كتاب «العشق والعقل» ص ٨٩ : «وإذا خرج الجسم من بيضة الوجود، صرخ قائلاً: **سُبْحاني ما أعظم شأني** ؛ بينما لا تزال قدّمه داخل البيضة» .

وقال مصحّح الكتاب في تعليقه ص ١١٣ : «هذه العبارة قالها بايزيد البسطامي (ككشف المحجوب» ص ٣٢٧ ، طبعة جوكوفسكي ، ليننغراد، سنة ١٩٢٦م) .

وقد مزج العراقي في «اللمعات» بين عبارة بايزيد البسطامي وكلامه هو قائلاً: «فتارة يُلبس العاشق حُلّة البهاء والكمال ويُزيّن بأنواع زينة الحُسن والجمال، حتّى إذا نظر إلى نفسه رأى المعشوق بالألوان المختلفة؛ بل يرى في نفسه المعشوق بكماله وتماهه؛ حينها سيقول: **سُبْحاني ما أعظم شأني** ؛ مَنْ مثلي وهل في الدارين غيري؟» («أشعة اللمعات» للجامي ، ص ٥٤ و ٥٥ ، الطبعة الحجرية) .

فوق العرش ، وكيفية وكميّة مكشوفات الأولياء كما ينبغي ، هي فوق
البيان ، وبعيدة عن إدراك العقول وإحاطتها .

فثَمَّ وَرَاءَ الْعَقْلِ عِلْمٌ يَدِقُّ عَنْ مَدَارِكِ غَايَاتِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ^١
عقل اينجا ساكت آمد يا مضلّ

زانكه دل با اوست با خود نيست دل^٢

بعد تمهيد المقدمة نشرع في شرح البيت ، ونقول : «ستاره با مه
وخورشيد اكبر» أي لأنّ السالك المسافر ، انطلق نحو الله ، فيجب أن يرجح
ذلك على جميع مراتب التنزلات لكي يصل إلى المرحلة المطلقة ، ويصل
النقطة الأخيرة من الدائرة بالأولى . وبما أنّ رحلته إلى عالم المثال المتجسّد
بالملكوت والروبيّة ، فهناك يشاهد القوى الروحانية المتمثلة بصور المُثَلِّ
وعلى حسب صفاء السالك . وحيث قال عن إبراهيم الخليل عليه السلام :
«خليل آسا برو حقّ را طلب كن»^٣ تعبيراً عما جاء في الآية الكريمة :

وَكَذَلِكَ نُرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَيْكُونَ مِنَ

١- البيت ٦٧٥ من تائيّة ابن الفارض الكبرى. وأمّا في النسختين المطبوعتين لدى
الحقير، الأولى في ١٣٧٢ هـ ، دار العلم، والثانية في ١٣٨٢ ، دار صادر بيروت، فقد وردت
لفظة «النقل» بدل «العقل»: فثَمَّ وَرَاءَ النَّقْلِ . وهذا أنسب مضموناً، خلافاً للبيت الذي وردت
فيه لفظة «العقل»، ذلك أنّ الشيخ ابن الفارض يقول في البيت الذي يسبق هذا البيت:

وَلَا تُكْ مِمَّنْ طَيَّسْتَهُ دُرُوسُهُ
بِحَيْثُ اسْتَقَلَّتْ عَقْلُهُ وَاسْتَقَرَّتْ

أي ، بحيث صارت العلوم المنقولة هدفهم الأساس ففقدوا بذلك عقولهم وقضوا باقي
عمرهم بالترّهات والقبل والقال ولم يرجعوا إلى ألبابهم فيجدوا لأنفسهم مخرجاً .

٢- يقول : «لقد سكت العقل هنا، يا مُضِلّ ، وتوقّف ، لأنّ القلب معه هو (أي مع

المعشوق) وليس مع صاحب القلب».

٣- يقول : «اذهب واطلب الحقّ كما فعل الخليل».

الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا - إلى آخر الآية .^١

يقول الشيخ : إذا شوهدت شمس أكبر من النجم والقمر والشمس الكبيرة ، فاعلم أن هذه الكواكب هي الصورة المتمثلة للحس المشترك ، وهو القوّة الأولى من القوى الباطنة ، والقمر الذي هو قوّة الخيال ، وهي القوّة الثانية من القوى الباطنة ، واستفاضة النور من العقل هي بمثابة القمر نسبة إلى الشمس ، فالشمس هي الصورة المتمثلة بالعقل ، والنسبة بينهما واضحة . فالقوّة العاقلة هي سبب تنوّر ظلمة الجهل في الوجود الإنساني بنور العلم .

وللسالك عند مشاهدته هذه الصور المثالية حالتان : الأولى ، هي أنه أثناء المشاهدة ، يدرك أنها الشمس والقمر والنجم ، وهي تحتاج إلى تفسير ، أي أن رسمها السابق يتمثل في خياله ، فيدرك المعنى الذي يتمثل في هذه الصورة .

والحالة الثانية ، هي أنه حين المشاهدة يدرك بأن هذا النجم أو الشمس أو القمر هو الحقّ تعالى ، وهو في هذه الحالة يكون واقعاً تحت تأثير التجليات الآثارية .

ولما كانت الآيات الكريمة تشير إلى المعنى الأوّل فقد عبّر عنه بالبيت التالي :

بگردان زان همه ای راهرو روی همیشه لا أحبُّ الأفلين گوی^٢
ومعنى ذلك أنه يجب غضّ النظر عن كلّ ما نراه من مراتب الحجاب

١- الآيتان ٧٥ و٧٦ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٢- يقول : «اجتنب أيها السالك عن كلّ شيء ، فليكن «لا أحبُّ الأفلين» لك قولاً

تردده» .

النورانيّ وذلك في السير إلى الله ، كما غضضنا النظر عن الحجب المظلمة . ولمتابعة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، يجب أن لا نلتفت إلى صور الحواسّ والعقل ، وأن نتوجّه إلى الواحد المطلق ، ولا يجب علينا التقيد بأيّة مرتبة من مراتب التعيّنات ، لأنّ كلّ ما هو قيد التعيّن هو وجه من وجوه الكفر الذي يواجهه السالك في طريقه ، ويجب الإعراض عن كلّ شيء ، وذلك طبقاً للآية **لَا أُحِبُّ الْأَفْلِينَ** ، لأنّ صورة الظواهر للأسماء الإلهيّة تؤول للأفول والانقراض ، وإذا لم تخرج عن نطاق المحسوس والمعقول كما في حالة إبراهيم عليه السلام ، فلا يمكن الحصول على مشاهدة نور الأنوار ، والتي انمحت فيها كلّ الأنوار المحسوسة والمعقولة وذابت ، ولن تخرج عن شرك الأغيار وتتخلّص منه ما لم تصل إلى مرتبة الإطلاق والوحدة الحقيقيّة . ولن تحصل المعرفة التامّة والمطلوبة وستبقى محجوبة عن الحقّ . شعر :

بت پرستی چون بمانی در صور

بگذر از صورت برو معنی نگر

هرکه او در ره به چیزی ماند باز

شد بتش آن چیز ، گو با بت بساز^١

ولأنّ مشاهدة الذات المطلقة في مراتب تجليات الأسماء والصفات ،

هي أسهل ، فقد قال :

١- يقول : «إن تُؤمن بالصور دون المعاني فأنت وثنيّ؛ اترك الصور والتماثيل والتزم

المعنى .

ومن بات يتأمل شيئاً في طريقه ولم يبرحه فإنّ ذلك الشيء بالتأكيد سيؤول إلى صنم

له ومعبود يُقدّسه؛ فقلّ لشخص كهذا: ابقَ إذن مع صنمك واعتنق مذهبه» .

و يا چون موسى عمران در اين راه

برو تا بشنوی إني أنا الله^١

ومعنى ذلك أن عليك السير والسلوك في طريق الله كما فعل إبراهيم الخليل عليه السلام ، و عليك اجتياز المظاهر والتوجه إلى عالم الإطلاق ، أو كما قالت الحكمة : الطُّرُقُ إِلَى اللَّهِ بِعَدَدِ أَنْفَاسِ الْخَلَائِقِ ،^٢ وسر كما سار موسى بن عمران عليه السلام في طريق الحق حتى ترى وتُشاهد تجلّي الحق في الصور الحيّة إذ نُودِيَ مِنْ شَطِيءِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوَسَىٰ إِيَّيَ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .^٣

وبناءً على المقدمة التي ذكرت لبيان التجلّي ، تبين أن هذا التجلّي الذي تأثر به موسى عليه السلام هو من نوع التجلّيات الآثاريّة . شعر :

بشنود إني أنا الله چون كلیم از هر درخت

هر که او بر طور دل از بهر میقات آمدست

آیت حسن تو خواند جان ما از هر ورق

حال عارف برتر از کشف و کرامات آمدست^٤

ولأنّ مشاهدة الذات المطلقة محال ، على الرغم من وجود الوجود المجازي ، وتعيّن السالك ، فقد قال :

١- يقول : «فكن كموسى واسلك طريقه ، وامض قُدماً حتّى تسمع إني أنا الله» .

٢- وعلى آية حال فإنّ هذا ليس بحديث ، بل حكمة لبعض الحكماء .

٣- مقطع من الآية ٣٠ ، من السورة ٢٨ : القصص .

٤- يقول : «يسمع كلّ من اعتلى طور الفؤاد من أجل الميقات نداء : إني أنا الله ، كما

سمعها موسى كلیم الله .

إنّ أرواحنا تقرأ آية حُسنك وجمالک في كلّ ورق ، وإنّ حالّ العارف وحالته هي أكرم

من جميع الكرامات» .

ترا تا كوه هستی پیش باقی است

جواب لفظ أرني ، لَنْ تَرَانِي است^١

فلأنَّ الوجود الوهميَّ للسالك هو الحجاب الوحيد الموجود بين الحقِّ والسالك ، فهو تعالى يقول : مادام جبل وجودك باقياً وكنت ناظراً إلى نفسك ، فإنَّ الحقَّ تعالى محتجب بستار الأسماء والصفات ، ومع وجود هذه الحجب النورانية ، فلا يمكن رؤيته حقيقةً . وطبيعيَّ أنَّ الرائي والمرئي ملحوظان في الرؤية ، ولا وجود للغير أصلاً في الانكشاف الذاتي ، إذ وَلَا يَرَى اللَّهُ إِلَّا اللَّهَ .

ولأنَّ موسى عليه السلام رأى جلاله الحقِّ في ملابس الأسماء والصفات ، فلا جرم أنه دُعي بالكليم ، ولا ريب في وجود الغيرية في المكالمة وكان شوق موسى عليه السلام أكبر من أن يقنع بالتجليات الأسمائية ، فقال : رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ،^٢ أي أنا محتجب عنك بحجاب (الأنا) مادامت (الأنا) عندك باقية .

گفتم به هوای مهر رویت شد جان و دلم چو ذره شیدا
بردار ز رخ نقاب عزت بی پرده به ما جمال بنما^٣

١- يقول : «مادام جبل وجودك باقياً ، فسيكون جواب أرني : لن تراني».

٢- مقطع من الآية ١٤٣ ، من السورة ٧ : الأعراف : وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ وَقَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرِيكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِيكَ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ .

٣- يقول : «قلتُ : لقد أصبحت روحي وقلبي يعشقانك من أجل الجمال المُستقرَّ على محيائك .

فأرفع عن محيائك خمار العزة ، واطهر لنا دون حجاب أو خمار».

گفتند اگر تو مرد عشقی بشنو سخن درست از ما
 هستی تو پرده رخ ماست از پرده خود به کل برون آی
 از هستی خود چو نیست گشتی از جمله حجابها گذشتی^١
 وقد ورد في بعض النسخ ، «صداى لفظ أرني ، لن تراني است» وقد
 ذُكرت كلمة «صدا» (= الصوت) لتناسب كلمة «كوه» (= الجبل) ، فيكون
 المعنى ، هو لأنّ الصوت هو صدی نداء صاحب الصوت ، واقترن صوت
 كلمة «أرني» في الرؤية بوجود موسى عليه السلام ، فوقع الصدى دون
 الرؤية ، وهو «لن تراني» .

وَجَانِبُ جَنَابِ الْوَصْلِ هَيْهَاتَ لَمْ يَكُنْ
 وَهَذَا أَنْتَ حَيٌّ ، إِنْ تَكُنْ صَادِقًا مَتٍ
 هُوَ الْحُبُّ إِنْ لَمْ تَقْضِ لَمْ تَقْضِ مَأْرَبًا
 مِنْ الْحُبِّ فَاخْتَرِ ذَاكَ أَوْ خَلِّ خُلَّتِي^٢
 وذلك لأنّ حجابك من الحق هو وجودك هذا ، وإلا فبحكم ونحن
 أقرب إليه منكم^٣ ، فإنّ الحق أقرب إليك منك ، فقد قال الشاعر :
 حقيقت كهريا ، ذات تو كاه است
 اگر كوه توئی نبود چه راه است ؟^٤

١- يقول : «قالوا: إن كنت عاشقاً حقاً فاستمع إلى حديث الحق من أفواهنا.

إنّ وجودك هو خمار محيّا، فانسلخ تماماً من ذلك الحجاب.

فإذا انسلخت من وجودك فاعلم أنّك قد اجتزت كلّ الحُجُب».

٢- هذان هما البيتان ١٠١ و ١٠٢ من «نظم السلوك» لابن الفارض، ص ٩٣، طبعة دار

العلم، سنة ١٣٧٢؛ وطبعة صادر، سنة ١٣٨٢، ص ٥٦.

٣- صدر الآية ٨٥، من السورة ٥٦: الواقعة.

٤- يقول : «إنّ الكهرباء هي الحقيقة وما ذائك إلاّ تبناً، ولو لم يكن جبل ال(أنت)»

أي أنّ الحقيقة ، وهي عين المراد ، مثل المغناطيس ، وذاتك ووجودك هو المجذوب ، والجذب يكون من قبل الحقّ تعالى ، أمّا انجذابك إليه فهو أمر في غاية البساطة ، ولكن تعيّنك هو المانع والسدّ في طريق وصولك إلى المطلق ، وإذا لم يكن لك (الأنا) وجود ، فلا حواجز في الطريق إلى الله .

شعر :

قرب ، نى بالا و پستی رفتن است
 قرب حقّ از هستی خود رستن است
 خویش را بگذار و بی خود شو درآ
 اندرون بزم وصل جانفزا
 نیستی از خویش عین وصل اوست
 بگذر از هستی ، دلت گر وصل جوست^١
 ولأنّ اندراس و اندثار وجود السالك عياناً وشهوداً ، لا يتيسر إلاّ
 بالتجلّي الإلهيّ ، فهو يقول :
 تجلّى گر رسد بر كوه هستی
 شود چون خاك ره ، هستی ز پستی^٢

⇐ موجوداً، لما كان أمامك من طريق».

١- يقول : «إنّ قرب الحقّ هو في تحرّك من وجودك والقرب ليس في نزولك وصعودك.

ولن ترى الله بجسمك ما حييت، فاهجر إذن الجسم وهاجر فذاكم هو وجودك .
 إنّ انسلاخك من الذات هو عين وصالك به ، فاجتز الوجود إن كان قلبك يخفق للوصال».

٢- يقول : «لو تجلّى الله لجبل الوجود لصار من ضلّالته هباءً منثوراً».

أي إذا أشرقَت شمس التجلي بنورها على جبل وجود السالك ،
أضحت ظلمة وجوده بحقارة التراب وصارت المحو المطلق ، لأن بتجلي
ذات الحق فناء المظاهر والكثرات .

(شعر) :

هرکه شد جویای دیدار خدا
چون خدا آمد شود جوینده لا
گرچه آن وصلت بقا اندر بقاست
لیک اول آن بقا اندر فناست
سایهای گه بود جویای نور
نیست گردد چون کند نورش ظهور
هالک آمد پیش وجهش هست و نیست

هستی اندر نیستی خود طرفه ایست^١

ويشير معنى هذا البيت إلى تتمّة تلك الآية الكريمة التي تقول : قَالَ
رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ
مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى
صَبَعًا .

وهذا هو التجلي الذاتي الذي ذكرناه آنفاً في المقدمة .

١- يقول : «من أراد البحث عن الله سبحانه، سيكون لا شيء بمجرد مجيء الله تعالى

وظهوره .

فمع أنّ وصالك ذاك هو البقاء بعينه، إلا أنّ ذلك البقاء كان فناءً أول الأمر .

إنّ الظلال تبحث عن النور، وعند ظهور النور، فإنّها ستلاشى .

لقد هلك أمام وجهه الوجود والعدم، وإنه لمن الطريف أن يوجد الوجود داخل

العدم» .

وحقيقة الكلام : أنّ أُمْنِيَّةَ موسى عليه السلام كانت تكمن في مشاهدة الذات الأُحدِيَّةِ ، وذلك في عالم المعنى ، وأمّا الجبل الذي بدا لموسى عليه السلام وتجلّى الحقّ تعالى له ، فقد كان في الحقيقة وجود موسى عليه السلام الذي تمثّل في هيئة ذلك الجبل ، وأمّا رؤية موسى عليه السلام للجبل فكان من نتيجة ذلك ، أن خرّ صعقاً بعد أن دكّ الجبل ، لأنّ التجلّي الذاتي ، يقتضي فناء وانعدام المظاهر .

وعلى هذا ، يجب القول إنّه لم يتيسّر لموسى عليه السلام والذين معه رؤية ذات الحقّ ، فيكون حكم لن تَرَيْنِي مطلقاً ، وتيسّر مشاهدة الحقّ عند تنزّل الذات إلى مراتب الأسماء والصفات ، حيث تجلّى لموسى على هيئة شجرة في الوادي الأيمن ، وتكلّم معه من وراء ستار الأسماء والصفات :

وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ.^١

تبيّن لنا من هذا الكلام ، بأنّ الذين قالوا لا يمكن رؤية الله كانوا مصيبين من جهة ، وذلك باعتبار الذات .

وأما الذين قالوا بإمكان رؤيته تعالى فهم مصيبون كذلك ، وذلك باعتبار الأسماء والصفات .

من چو او را دیدہ و نادیدہام
در میان این و آن شوریدہام^٢
لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ.^٣
فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ

١- صدر الآية ١٤٣ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢- يقول : «لقد تُهتّب بين هذا الأمر وذاك لأنني أراه ولا أراه في الوقت نفسه» .

٣- صدر الآية ١٠٣ ، من السورة ٦ : الأنعام .

رَبِّهِ أَحَدًا. ١

وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. ٢

واعلم أن السلوك والرياضة والتصفية ، إنما تكون باستعداد الأفراد للانجذاب الإلهي ، وليس لأحد أن يصل إلى الله بعملٍ ما .
ولهذا فقد قال :

گدایی گردد از یک جذبہ شاهی

به یک لحظه دهد کوهی به کاهی^٣

أَيُّ أَنْ جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ^٤ فِيمَسِي الدليل

١- ذيل الآية ١١٠ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٢- الآيتان ٢٢ و ٢٣ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

٣- يقول : «بجذبته ملوك صار المسكين سلطانا فاستبدل الجبل العظيم تبنا»

٤- وذكر الشيخ نجم الدين الرازي هذه العبارة في «مرصاد العباد» مستشهداً بها في أربعة مواضع . ثلاثة منها في ص ٢١٢ و ٢٢٥ و ٥١١ دون أن ينسبها إلى أحد ، وفي الموضوع الرابع ص ٣٦٩ ، نسبها إلى النبي ، حيث قال : وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ .

وأورد الشيخ نفسه هذا الكلام في رسالة «العشق والعقل» ص ٦٤ دون أن ينسبه لأحد ، وقال المُعلِّق على هذا الكتاب في ص ١٠٩ :

«إن هذا الكلام هو من حديث أبي القاسم إبراهيم بن محمد النضرآبادي وهو من كبار الصوفيّة في القرن الرابع (والمتوفى سنة ٣٧٢ هـ) .

وقد أورد الجامي هذه العبارة مع اختلاف طفيف ، في ترجمة حال إبراهيم أدهم ، حيث قال : جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُرْبِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ . وذكر أبو سعيد أبو الخير هذه العبارة مع ذكره لـ «كما قال الشيخ» . («أسرار التوحيد» ص ٢٤٧ ، طبعة طهران) . وقال مولانا جلال الدين الأبيات التالية في «المثنوي» :

این چنین سیری است مستثنی ز جنس کان فزود از اجتهاد جنّ و انس ☞

سالكاً ، وفقيراً إلى الله ، ويصبح بتقيده ومحجوبيته ببركة هذه الجذبة ، سلطان العز ، وهو الوصول الحقيقي الذي يندرج ضمن الفناء في التجلي الذاتي ، فيستبدل القشة بالجبل في لحظة واحدة ، غير آبه لوزن الجبل . ويرتقي مرتبة المحبوب ، بعد أن كان محبباً ، دون منازعة الغير ، ويسعد برؤية المطلوب الحقيقي ، بعين فبي يُبصرُ .

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمُرَ سَاعَةٍ

تَرَى الدَّهْرَ عَبْدًا طَائِعًا وَلَكَ الحُكْمُ^١

شعر :

در این دریا فکن خود را مگر درزی به دست آری
کزین دریای بی پایان گهر بسیار برخیزد
و گر موجیت بر باید چه دولت مر ترا زان به
که عالم پیش حکم تو چه خدمتکار برخیزد^٢

⇨ این چنین جذبی است نی هر جذب عام که نهادش فضل أحمد و السلام يقول : «إن هذا سير مُستثنأ من الجنس ، وهو سير يفوق اجتهاد الجن والإنس . وهذا الجذب ليس جذباً عاماً ، إذ أساسه فضل أحمد والسلام» .
(نقلاً عن كتاب «فيه ما فيه» تصحيح فروزانفر) .

١- «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٠ إلى ١٤٣ ، طبعة بيروت ، ١٣٨٢ هـ ، القصيدة الميمية

والتي مطلعها:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الحَبِيبِ مُدَامَةً سَكْرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ

والبيت المذكور في المتن هو البيت التاسع والثلاثون من تلك القصيدة .

٢- يقول : «أقذف بنفسك في هذا البحر لعلك تحصل على دُرّة ، فهذا البحر الواسع

واللامحدود يحوي الكثير من الجواهر والدرر .

وإذا صادفتك موجة فأبى سلطان ودولة لك أعظم من ذلك ، لأن العالم كله سيكون

خادماً لك ومطيعاً لأمرك» .

ولأنَّ الحصول على مراتب الكمال في العالمين ، والوصول إلى أعلى مقامات اليقين ، لا يتم إلا بالسير على خطى خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام ، فقد قال :

برو اندر بی خواجه به أسرى تفرج کن همه آیات کبری^١
يقول : يذهب واتبع «الخواجة» وهو سيد المرسلين صلى الله عليه وآله - فهو السيد الحقيقي ، والآخرون عبده والمتمبر كون بذاته الشريفة - يقول : اذهب إلى الإسراء ، والإسراء هو السير في الليل .

وهي إشارة للآية الكريمة التي تتحدث عن المعراج :
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^٢
وقصة معراج المصطفى صلى الله عليه وآله مشهورة ، وعروجه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثابتة في هذه الآية ، ومن هناك عروجه إلى السماوات كما في الحديث لَمَّا عُرِّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ، ومنها إلى باقي الأفلاك وإلى الجنة والعرش وما فوق العرش .

فالمعنى هو ، أن تتخلص أنت أيضاً من كل القيود الصوريّة والمعنويّة حتى تنال شرف وبركة متابعة سيد الأنام صلى الله عليه وآله في عروجه إلى الأفلاك والعرش وما فوق العرش ، وترى بأَمِّ عينيك الظهور الإلهي والتجليات الجمالية والجلالية والفناء في الله والبقاء فيه ، وتحقق علم اليقين وعين اليقين ، لا بل حقّ اليقين .

١- يقول : «قم واتبع الخواجة (السيد) في إسرائه وانظر هناك إلى جميع الآيات

الكبرى».

٢- الآية ١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

ومن الأبيات السابقة واللاحقة التي ذكرها الشيخ ، يتوضح بأن مراتب ولاية الأنبياء عليهم السلام لا ينالها إلا الأولياء ، وذلك بحسن متابعة الأولياء للأنبياء .

اعلم ، أنّ للمعراج أسباباً : بعضها من جانب الحق تعالى ، وهي عنايته وجذوبته ؛ وأخرى من جانب الخلق ، وهي التوجه التام نحو الحق تعالى . وبما أنّ الإنسان مدنيّ الطبع ، ومركّب القوى ، له اختلاط بالبشر نهاراً ، وليس له أن ينقطع الانقطاع الذي يهيئ له العروج المطلوب ، إلا أن يعتزل الناس اعتزلاً كلياً .

وفي الحديث الشريف : «إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً» - وفي روايةٍ أُخرى : «مِائَةَ مَرَّةً»^١ مصداق لقولنا بأن

١- «منازل السائرين» ص ١٠٥ ، منشورات بيدار : وَلِهَذَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً. وجاء في التعليق على ذلك ما يلي :

«روى حسين بن سعيد في كتاب «الزهد» باب التوبة، ص ٧٣ عن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق أنه قال: ...وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَوَبُّ إِلَى اللَّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ. وأخرج الترمذي حديثاً عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله في كتاب «التفسير» ج ٥، ص ٢٨٣ الباب ٤٨، أنه قال: إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً. كما أخرج ابن ماجة في كتاب «الأدب» باب الإستغفار، ج ٢، ص ١٢٥٤، أنه قال: إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتَوَبُّ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً.

وأخرج البخاري كذلك في كتاب «الدعوات» ج ٨، ص ٨٣، أنه قال: وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتَوَبُّ إِلَيْهِ -خ] فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً. وروى ذلك أحمد أيضاً في «المسند» ج ٢، ص ٢٨٢، وأخرجه مسلم في كتاب «الذكر» باب الاستغفار، ج ٤، ص ٢٠٧٥ بلفظ: إِنَّهُ لِيُغَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةً .

ويقول صاحب «مرصاد العباد» ص ٢٥٧: كما أنّ الخواجة (ويقصد النبي عليه

الخلاص التام لابن آدم من الحجب البشريّة متعذّر . ولأنّ هذه الحجب
والموانع الصوريّة ، مرفوعة في الليل ، فتظهر هذه الحالات والمشاهدات
أكثر ما تظهر للكاملين في الليل ، كما جاء في الآية الكريمة :
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا . وفي قصة إبراهيم عليه السلام فلَمَّا
جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ إِشَارَةً لِهَذَا الْمَعْنَى .

شعر :

« الصلاة) كان لا يزال يستغفر ويتوب وهو في مقام الكمال والعزّ لِيَعْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ
ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، قائلاً : إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي ؛ وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً . وذكر
ذلك أيضاً في ص ٣٢٦ و ٦٢٤ يقول في تعليق له : هذا الحديث موجود في كتاب «كشف
المحجوب» للهجويري ، و«صحيح مسلم» و«صحيح البخاري» .

وذكر السمعانيّ الحديث أعلاه في «روح الأرواح» ص ٤١٢ بلفظ عبارة : إِنَّهُ لَيُعَانُ عَلَيَّ
قَلْبِي ، وقال نجيب مائل الهروي ، ص ٦٧٩ ، معلقاً على ذلك بقوله : «حديث نبويّ .
واستشهد ابن الأثير بهذا الحديث في «النهاية» ٤٠٣/٣ ذيل مادة (غين) ، حيث قال : الغين :
الغيم . أراد ما يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ الْبَشَرُ . لَأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ
تَعَالَى ، فَإِنْ عَرَّضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارَضَ بَشْرِيَّ يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الْأُمَّةِ وَالْمَلَّةِ وَمَصَالِحِهَا ، عَدَّ ذَلِكَ
ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا فَيَفْزَعُ إِلَى الْاسْتِغْفَارِ . وورد ذلك أيضاً في «مختار الصحاح» ذيل مادة (غين) ؛
وفي «الأصول العشرة» ص ٨٨ ؛ و«اللوائح» المنسوب إلى عين القضاة ، ص ١٢٦ . ونظّم
الشاعر مولانا المولويّ في «أحاديث مثوي» برقم ٤٢٥ البيت التالي :

همجو ييغمبر ز گفتن وز نثار توبه آرم روز من هفتاد بار
يقول : «سأتوب وأستغفر (ربّي) سبعين مرّة في اليوم وأسلك مسلك النبيّ صدى الله
عليه وآله قولاً ونثراً» .

وقال : يشير هذا البيت إلى الحديث : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ
سَبْعِينَ مَرَّةً ، وهو مذكور في «البخاريّ» و«مسند أحمد» و«الجامع الصغير» مع اختلاف
طفيف» .

مى رهند ارواح هر شب زين قفس
 فارغان ، نى حاكم و محكوم كس
 رفته در صحراى بى چون جانشان
 روحشان آسوده و ابدانشان
 فارغان از حرص و از آز و هوس
 مرغ وار از دام جسته در قفس^١
 إنّ المتعلقات الجسمانيّة ، والكدورات الطبيعيّة ، تمنع عروج السالك
 ووصوله . شعر :

برون آى از سراى أمّ هانى بگو مطلق حديث من رآني^٢
 أمّ هانى هي بنت أبي طالب ، وابنة عمّ الحبيب المصطفى عليه
 الصلاة والسلام ، واسمها فاختة وأمّ هانى كنيّتها ، وهانى بالهمزة بعد النون ،
 وقد عُرج به صلوات الله عليه وآله ليلة المعراج من بيتها الملاصق للمسجد
 الحرام ، والمشهور أنّ المعراج كان من بيت عائشة ، ولكن المفسرين
 يروون معراجين لسيد المرسلين عليه السلام ، الأوّل جسمانيّ ، والآخر
 روحانيّ ، ففعل المعراج الجسمانيّ كان من بيت عائشة ، والروحانيّ ، من
 فناء بيت أمّ هانى .

١- يقول : «تسرح الأرواح حرّة كلّ ليلة وتنطلق من هذا القفص، فلا حاكم فيها
 ولا محكوم.

تذهب الأنفس وتسيح في الصحراء دون اعتراض، فأرواحها هادئة ومرتاحة وكذا
 أبدانها.

فهي خالية من (غريزة) الجشع والطمع والأهواء، ومثلها في ذلك كمثل الطيور الهاربة
 من القفص والشرك».

٢- يقول : «تعال اخرج من قصر أمّ هانى ، واسرد حديث من رآني».

إنَّ عروج أولياء الله ، مرتبط بالروحانيَّة والبدن المثاليّ ، فهو متناسب مع المعراج الروحانيّ من فناء بيت أمّ هانئ ، وهذا المسرى بالنسبة للسالكين والأولياء هو بيت الطبيعة . فاخرج من مسرى الطبع والهوى ، وتحرّر من قيود الشهوة والميول ، وحلّق فوق المتعلّقات الجسمانيّة والروحانيّة ، وذب في مشاهدة الجمال المطلق ، واستورث الكمال المعنويّ للنبيّ وتحقّق ببقاء الحقّ المطلق ، وأمّا قوله : مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ فمعناه أنّ من رأى فقد رأى الله ، وهذه إشارة إلى معنى «البقاء في الله» والتي كانت قد ذكرت في المقدمة التي تمّ فيها بيان التجليات والسير والتحليق . شعر :

آنان كه گوی عشق ز میدان ربوده‌اند
 بنگر که وقت کار چه جولان نموده‌اند
 هر لحظه دیده‌اند عیان حسن روی دوست
 آئینه دل از قبّل آن زدوده‌اند
 آن دم که گفته‌اند أنا الحقّ ز بیخودی
 زیشان مدان که آن نفّس ایشان نبوده‌اند^١
 ولأنّ السالك لطريق الحقّ ، لا يمكنه الوصول والعبور إلى عالم الإطلاق ، ولا يتيسّر له ذلك ، مادام مقيداً بالتعین الجسمانيّ والروحانيّ ،

١- يقول : «انظر إلى أولئك الذين حازوا على العشق وفازوا به ، كيف كان فعلهم وعملهم ساعة الجَدّ .

فهم في كلّ لحظة يرون جمال وجه الحبيب عياناً ، وسلبوا مرآة القلب والفؤاد منه من قبّل .

إنّ قولهم حينها: أنا الحقّ ، لم يكن عبثاً أو اعتباطاً ، فهم في تلك الحالة لم يعوا ما يقولون» .

فهو يقول :

گذاری کن ز کاف گنج کونین نشین بر قاف قرب قاب قوسین^١
 أي اجتز عالم الصورة والمعنى ، والغيب والشهادة ، والمراد بهما
 الكونين ، طبقاً لـ فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ^٢ ، ولا تتوقف عند آية مرتبة من مراتب
 العالمين ، واستقرّ في مقام قاب قوسين ، وهو مقام الوجدانية والألوهية ،
 ومحيط قاب قوسين ، هو محيط الوجود والإمكان ، وهو المقام المحمديّ ،
 وانظر إلى الموجودات في العالمين مظهري الذات والصفات الإلهية ، كأنّها
 محكومة بحكمك وتحت أمرك ، وارقب توجه الجميع نحوك . شعر :

آدمی چون نور گیرد از خدا

هست مسجود ملایک زاجتبا

نیست مسجود کسی کو چون ملک

رسته باشد جانش از طغیان و شک^٣

فإذا تحقّق للسالك الحصول على مقام الوجدانية ، صارت ذاته
 وصفاته الجزئية ضمن الذات والصفات الكلية للحق ، وأضحت إرادة

١- يقول : «فارق العالمين (عالمي الصورة والمعنى) ، واستو فوق الأفق أو قاب

قوسين».

٢- الآيتان ١١ و ١٢ ، من السورة ٢٠ : طه : فَلَمَّا أَتَبَّهَا نُودِيَ يَمُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ

فَأَخْلَعَ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى .

٣- يقول :

«إن تكن تقبّس النور من ربّ العلى

فأنت مسجود الملائك وأنت المجتبي

لا مَلِكَ ولا سلطانَ يُنظره أو يُدانیه

تعالّت ذاته وتنزهت عن الشكّ وما طغى»

السالك وعلمه هي عينها علم الحقّ تعالى وإرادته ، ولهذا ، فقد قال :

دهد حقّ مر ترا هر چه كه خواهي

نمايندت همه اشيا كما هي^١

أي أنه إذا توصل السالك إلى مقام التحقق والاتصاف بالصفات الإلهية ، فسيحصل على مطلوبه ومقصوده مهما كان ، وسيشاهد آثار جميع الأسماء والصفات الإلهية في نفسه ، وسيكون بالإمكان والوجوب تحقق مجلى الكلّ ، ومجمع البحرين ، وسيطلع عليه الجميع ، وسيكون وارثاً للقاتل اللهم أرنا الأشياء كما هي^٢ ، وسيراها على حقيقتها كما هي ،

١- يقول : «سيعطك الحقّ سؤالك ومهما شئت ، وترى الأشياء في الدنيا كما هي» .

٢- من جملة الأدعية التي تذكر في القنوت في الصلوات الواجبة والنوافل ، وأولها : اللهم أرزقني حُبَّكَ وَحُبَّ مَا تُحِبُّهُ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي إِلَى حُبِّكَ وَاجْعَلْ حُبِّكَ أَحَبَّ الْأَشْيَاءِ إِلَيَّ . جاء كامل هذا الدعاء في «بحر المعارف» ص ٣٠٩ ، حيث نُسب جزء منه إلى الرسول ونُسب الجزء الآخر إلى أمير المؤمنين عليهما السلام . وورد قسم من الدعاء كذلك في المجموعة المطبوعة الصغيرة للحاجّ ملاً محمّد جعفر كبودرآهنگي . وكان آية عظماء الحقّ المرحوم الحاجّ ميرزا السيّد علي آقا القاضي تغمّده الله برضوانه يوصي تلاميذه بقراءة هذا الدعاء في قنوت صلواتهم .

وحكى الشيخ نجم الدين الرازيّ في «مرصاد العباد» عين هذه الفقرة عن رسول الله ، في ص ٣٠٩ . وجاء في تعليقاته في ص ٦٣١ قوله : «إنّه حديث ورد ذكره في تعليقات «فيه ما فيه» ص ٢١٤» .

واستند كذلك الرازيّ في رسالة «العشق والعقل» ص ٧٤ على هذا الحديث ، وقال المعلق على ذلك في ص ١٠٣ و ١٠٤ : «مأخوذ عن حديث : اللهم أرنا الأشياء كما هي المنسوب إلى الرسول الكريم . لم نعثر عليه في كتب الحديث و«المعجم المُفَهَّرَس» . وقد نَظَمَ مولانا جلال الدين في «المنثوي» شعراً بهذا المعنى .

ای میسر کرده بر مادر جهان سخره و بیکار مارا وارهان ⇐

وسيصبح عارفاً حقيقياً حاصلًا على علة الخلق . شعر :

طعمه بنموده به ما وآن بوده شست آن چنان بنما به ما آنرا که هست
يقول : «يا مَنْ سَهَّلَ لنا (كُلَّ شيء) في هذا العالم، شاغلنا وعاطلنا.
يا مَنْ وهَبَ لنا الطعام والمأكَل من باطن مواجدهما ومواطنهما، أظهِرْ لنا الأشياء كما هي».

* * *

ای خدای راز دان خوش سخن عیب کار بد ز ما پنهان مکن
يقول : «يا عالم الأسرار ويا جميل الحديث ! لا تُخفِ عَنَّا عيوب الأعمال السيئة أبدًا».

* * *

راست بینی گر بُدی آسان و زبّ مصطفی کی خواستی آنرا ز ربّ
يقول : «إِنْ كُنْتَ مِطْوَعاً وسهل الانقياد فَإِنَّكَ ستري (الأشياء) بصورة صحيحة (وعلى حقيقتها)، فقد كان هذا طلب المصطفى من ربّه».

* * *

گفت بنما جزو جزو از فوق و پست آنچنانکه پیش تو آن چیز هست
يقول : «قال : أظهِرْ لنا الأشياء) واحدة واحدة (وبالترتيب) من ما موجود فوق وتحت، أظهرها (لنا) كما تبدو لك أنت».

* * *

وأشار الشيخ العطار إلى هذا الحديث أيضاً.
اگر اشیا همین بودی که پیداست کلام مصطفی کی آمدی راست
که با حقّ سرور دین گفت : الهی به من بنمای اشیا را کما هی
يقول : «ولو أن الأشياء كانت كما تبدو لنا، ما كان لكلام المصطفى صحّة أو حقيقة.
حيث قال (مخاطباً) الحقّ وسيدّ الدّين: إلهي ! أرني الأشياء كما هي».
(نقلًا عن كتاب «فيه مافيه»).

وصرح الشيخ عزيز الدين النسفي في كتاب «الإنسان الكامل» في ثلاثة مواضع (ص ١٦١ و ٣٥٥ و ٤٤٧) أنّ هذه العبارة هي للنبيّ .

يار چون با يار خوش بنشسته شد
 صد هزاران لوح سرّ دانسته شد
 لوح محفوظ است پيشانی يار
 راز کونينش نمايد آشکار
 گر به عقل ادراک اين ممکن بدي
 قهر نفس از بهر چه واجب شدي ؟
 با چنان رحمی که دارد شاه ، هس
 بی ضرورت چون بگويد نفس کُش ؟^١

* * *

وأما محصل كلام هذا العارف الرباني ونتيجته فهو : يمكن معرفة الله بصفاته ، إلا أنه لا يمكن معرفة ذاته . وهنا يتبادر لنا سؤال ، وهو : لِمَ لا يمكن التعرف على ذات الله ؟ لا بدّ أنّ جواب هذا السؤال هو : لَمَّا كان الله تعالى لا متناهٍ ، لذا ، فقد كانت الإحاطة اللازمة للمعرفة والتعرف من

١- يقول : «لَمَّا أَنَسَ الحبيب إلى حبيبه ، صار عالماً وواعياً لمئات الآلاف من ألواح الأسرار .

إنّ جبين الحبيب هو اللوح المحفوظ ، وعليه بدا سرّ الكونين واضحاً .
 ولو كان بإمكانك إدراك هذا الممكن بالعقل ، فلماذا إذن أصبح من الواجب قهر النفس وكبح جموحها ؟
 وهل يأمر السلطان بقتل النفس دون ضرورة أو داعٍ مع كلّ ما يملك من الرأفة والرّحمة ؟» .

«مفاتيح الإعجاز في شرح گلشن راز» طبعة باسمه ای الحجريّة ، سنة (١٣٠١) : ص ٩٢
 إلى ص ١١٤ ؛ والطبعة الحروفية مع مقدّمة كيوان السميعی ، منشورات المحمودي :
 ص ١٢٧ إلى ١٦١ .

المقيّد المحدود المتناهي إلى الذات اللامتناهية محالة . ثمّة سؤال آخر : لمّا كانت الإحاطة بالذات اللامتناهية محالة ، والإحاطة بالصفات غير المتناهية محالة كذلك ، وجب أن تكون معرفة الله بالصفات محالة أيضاً .

فإذا كانت الإجابة على السؤال كما يلي : أنّ معرفة الله تحصل بالصفات والآثار المتناهية التي له ، لا الصفات الكليّة العامّة اللازمة للذات غير المتناهية ، فسوف يكون هناك سؤال آخر هو : أنّ الأمر سيّان من جهة الذات كذلك ، فهم يسيرون وراء الوجود الجزئيّ والذات الجزئية المترشّحة عن ذاته هو ، لا وراء الذات الكليّة والوجود المجرّد البسيط اللامتناهي له . إذن فما وجه الاستحالة في ذلك ؟

فإذا كان الجواب : نعم ، فمحال كذلك معرفة الله بصفاته غير المتناهية ، كما هي الحال في استحالة معرفة ذاته ، إلّا أنّه يمكن معرفة الله بالصفات ، وذلك بواسطة الفناء في الصفات ، ولا معنى للحدّ والقيود والتناهي في حالة الفناء . إنّ السالك والسائر في طريق الله لا أثر ولا وجود له في صفاته غير المتناهية ، فهو يفنى فيها . يكون الجواب إذن : أنّ الأمر هو كذلك في الذات ، فإنّ معرفة ذات الله تتحقّق بالفناء في تلك الذات . لذا فليس هناك خيار غير السلوك في الذات ، حتّى تتمّ له معرفة الله ، فذلكم هو الله الذي يعرف الله . كذلك الحال في الصفات ، ذلك أنّه لن يبقى للسالك عنوان ولا اسم في مقام الفناء المحض في الصفات الكليّة للحقّ تعالى ، حتّى يتمّ له التعرّف الكامل على صفاته ، وهنا لا أحد يمكنه معرفة صفات الله إلّا الله وحده . ولكن لا إشكال في العلم والمعرفة في ما يتعلّق بالصفات الجزئية والذات الجزئية أيضاً . فإذا قيل : إنّ الله لا يمتلك ذاتاً جزئية ، وإنّ الموجودات تعبر عن طلوع وظهور وجوده . قلنا : إنّ الله لا يملك صفات جزئية ، بل إنّ صفات الموجودات تعبر عن طلوع صفاته وظهورها .

وعموماً فإن كان المقصود بقولنا بإمكان معرفة الله تعالى بواسطة الصفات وليس الذات الصفات الكلّية ، فهو أيضاً غير ممكن ، وأمّا إذا كان المراد هو الصفات الجزئية ، فلا فرق بين الذات والصفات ، فكما أنّ الفناء والاستحالة في صفاته جلّ وعلا ممكنان ، فإنّهما في ذاته ممكنان أيضاً .

يقول الشيخ بهاء الدين العامليّ قدّس سرّه : «وَقَالَ لِلْمَلِكِ لَمَّا أَرَادَ قَتْلَهُ: إِنَّ سُقْرَاطَ فِي حُبِّ ، وَالْمَلِكُ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَلَى كَسْرِ الْحَبِّ. فَالْحُبُّ يُكْسِرُ وَيَرْجِعُ الْمَاءَ إِلَى الْبَحْرِ!»^١

وروى أيضاً عن كتاب «التلويحات» ، أنّ أفلاطون الربّانيّ قال : «في أحيان كثيرة ، وحين التريّض كنت أختلي بنفسي ، وأتأمل في أحوال الموجودات المجردة الماديّة ، وكنت أستلقي وكأني قد تعرّيت من لباس الطبيعة ، أتفكّر في كلّ ذرّة من ذرّاتي ، وقد خرجت من كلّ شيء ، ولا أرى غير ذاتي .

وكان يغمرنني في تلك الحال إحساس نورانيّ عجيب وأخذ ، وأحلّق في عالم من المحاسن الغريبة التي تأسر القلب ، وأمسي مبهوراً وحائراً ، وأوقن بأنّي جزء عظيم وشريف في العالم العلويّ الروحانيّ ، وأتمتّع بحياة نشطة وفعّالة ، وأشرع بعد ذلك بالسموّ الفكريّ ، وأحلّق نحو العوالم الإلهيّة سابقاً في الجلال الربّانيّ ، وبهذه الطريقة ، كنت أرتقي ، وأستقرّ في ذلك العالم النورانيّ وأتعلّق به وأرتبط . وأجد نفسي شاهداً هذا الموقف الشريف ، وهذا الموقف من الجلال والبهاء والنورانيّة ، بحيث يعجز أيّ لسان عن وصفه ، وأيّ ذهن عن تصوّر رسمه .

١- «كشكول البهائيّ» الطبعة الحجرية : ص ٣٦١؛ وطبعة مصر ، دار إحياء الكتب

العربيّة: ج ٢ ، ص ٢٦٥ .

ولأنّ هذا العالم يسحرني ببهائه ونوره ، وأغرق في بحر روحانيته ، ولا أقوى على الصبر والمقاومة ، فعندها أفتح باب الفكر والتأمّل ، وأغوص في أعماقه ، فيحجب هذا الفكر ذلك النور عني وهو ما يدخل الحيرة في نفسي ، فكيف خرجت من ذلك العالم ، مفعماً بالنور الذي رأيت ، وكلّ هذا يحصل وبدني ونفسي على هيئتهما لم يتغيّرا .

في تلك اللحظات النورانية ، كنت أستذكر قول مطريوس الذي كان يحثني على الطلب والبحث عن جوهر النفس الشريفة ، والارتقاء والسمو إلى ذلك العالم العقلي^١ . وقد شرح الشيخ مصلح الدين سعدي أيضاً كلّ هذه الحالات والمقامات في باب التوحيد ، وأشار إلى أنّ في الفناء والعدم في الذات الأحديّة ، تيسّر معرفة الله سبحانه وتعالى ، ولا طريق غير ذلك^٢ ، حيث يقول :

١- «الكشكول» للشيخ البهائي ، ص ٢٧١ ، الطبعة الحجرية : وطبعة مصر: ج ٢ ، ص ٥٥ و ٥٦ ؛ ونقل أفلوطين ما يشبه هذه الحادثة في كتاب «أنولوجيا» ص ٣٢ منسوباً إليه . وقال جورج جرداق في مقدّمة كتابه «عليّ وحقوق البشر» وهو الجزء الأوّل من كتاب «صوت العدالة الإنسانيّة» في ص ١٨ و ١٩ ما مفهوماً: «إنّ تأريخنا من وجهة النظر تلك والتي تُشكّل فصلاً من التأريخ بأكمله يُدرك إلى حدّ ما مثل هذه المظالم . فعلى سبيل المثال ، كان ديونوس [ديونيسوس] حاكم سيراكوس والدكتاتور الخسيس والذني قد أمر ببيع أفلاطون في سوق النخاسة كأبي عبد آخر . حتّى أتاح له القدر أحد أصدقائه فاشتراه وحرّره ثانية . فلمّا تسلّم ديونوس الصغير الحكم بعد أبيه عمد هو الآخر إلى إيذاء أفلاطون والإساءة إليه ، لكن في كلّ مرّة كان الحكيم يتخلّص من مكائده وينجو منها . ففكّر أخيراً في قتله ، وعاد القدر ليقذه من هذه التهلكة أيضاً وذلك بمساعدة أحد تلاميذه» .

٢- «كليات سعدي» الطبعة الحجرية ، بقلم علي أكبر التفرشي ، شعبان المعظم سنة ١٢٦٠ هـ ، صفحاته غير مرقّمة ، مقتطفات من أوّل قصيدة للشيخ في كتاب «بوستان» (=البستان)؛ وفي طبعة فروغي: ص ٣ و ٤ من «بوستان» .

جهان متّفق بر الهیّتش فرو مانده از گُنه ماهیّتش
 بشر ماورای جلالش نیافت بَصْر متتهای جمالش نیافت
 نه بر اوج ذاتش پَرِد مرغ وهم نه در ذیل وصفش رسد دست فهم
 در این ورطه کشتی فرو شد هزار که پیدا نشد تخته‌ای بر کنار
 چه شبها نشستم در این سیرِ گُم که دهشت گرفت آستینم که قُم
 محیط است علم مَلِک بر بسیط قیاس تو بر وی نگردد محیط
 نه ادراک در کُنه ذاتش رسید نه فکرت به غور صفاتش رسید
 که خاصان درین ره فرس رانده‌اند بلا أَحْصِی^١ از تک فرو مانده‌اند^٢

١- إشارة إلى الحديث الشريف: لَا أَحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَي نَفْسِكَ .
 وقد أسهبنا في البحث حول هذا الحديث في هذه السلسلة «معرفة الله» ج ٢ ، بداية البحث
 ١٦ و ١٨ ، بسند عن «مرصاد العباد» لنجم الدين الرازي ، و«رُوح الأرواح في شرح أسماء
 الملك الفتح» للسمعاني ، وقد أوردنا في التعليقة مصادر كثيرة لهذه الرواية .
 ٢- يقول : «لقد اتّفق العالم كلّه على ألوهيّته ، لكنّه عجز عن فهم كنهه .
 لم يتمكّن للبشر سبر أغوار ما وراء جلاله ، ولم تستطع الأبصار الإحاطة بمنتهى
 جماله .

فلا طائر الوهم قادر على التحليق في فضاء أوج ذاته ، ولا بإمكان الفهم الوصول (حتّى)
 إلى هامش وصفه .

لقد رست السُّنن في خضمّ هذه المسألة وغرقت ألف مرّة ، ولم تَظْهر من حطامها حتّى
 خشبة واحدة .

وما أطول الليالي التي جلستُ فيها أحاور نفسي في هذا الأمر ، فدُهِشتُ لما علمتُ
 وكانت نفسي تأمرني بالكفّ والقيام .

إنّ علم المَلِک مُحيط بكلّ بسيط ، ولا يمكن لقياسك أنت الإحاطة به .

فلم يصل الإدراك إلى كنه ذاته ، ولا الفكرة توصلت إلى الخوض في صفاته .

وكم من فارسٍ ركب جواده وخاض غمار ذلك ، لكنّ جيادهم جميعاً كَبَت وعجزت .

نه هر جاى مركب توان تاختن كه جاها سپر بايد انداختن
 و گر سالكى محرم راز گشت بسبندند بر وى در بازگشت
 كسى را درين بزم ساغر دهند كه داروى بيهوشيش در دهند
 كسى ره سوى گنج قارون نبرد و گر برد، ره باز بيرون نبرد
 بمردم در اين موج دريائى خون كزو كس نبردست كشتى برون
 اگر طالبى كاين زمين طيى كنى نخست اسب باز آمدن پى كنى^١
 ويسرد الشيخ بهاء الدين العاملي قدس سره في قصائده الجميلة،
 حالاته ومكاشفاته الخاصة به، ومن جملتها قصيدة يشرح فيها تشرّفه
 بزيارة الحق سبحانه وتعالى، حيث بدأها بالأبيات التالية:

أَيُّهَا اللَّاهِي عَنِ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ أَيُّهَا السَّاهِي عَنِ النَّهْجِ الْقَوِيمِ

١- يقول: «فليس كلّ أحد بإمكانه الخوض في ذلك الميدان، إذ إنّ هناك ميادين تقهر
 الفارس وتُرغمه على رمي جوشنه قبل الدخول إليها.
 فإذا أضحى سالكٌ ما عيبة الأسرار، أُغلق عليه باب العودة والرجوع (إلى ما كان عليه
 في السابق).
 ليس في هذا المحفل من أحد يسقي هذا العطشان كأساً، فيُزيل عنه العِقار الذي
 تسبّب في إغمائه؟
 إنّ أحداً لم يهتدِ إلى كنوز قارون، ولو أنّ أحداً ما فعل ذلك إذن ما اهتدى طريق العودة
 والرجوع.
 لقد مئتُ في عُباب أمواج بحر الدم هذا، وما استطاع أحد إخراج سفيته من ذلك اليمّ
 (سالمة).

إذا كنتَ تروم أن تطوي هذه الأرض، فهَيِّئِ قبل ذلك، جواداً للعودة». ديوان «كليات سعدي» الطبعة الحجرية، بخط علي أكبر التفرشي، شعبان المعظم سنة
 ١٢٦٠ هـ، ولا توجد أرقام صفحات في هذه الطبعة، منتخبات من القصيدة الأولى للشيخ من
 كتاب «بوستان»؛ وطبعة فروغي: ص ٣ و ٤، من «بوستان» كذلك.

اسْتَمِعْ مَاذَا يَقُولُ الْعَنْدَلِيبُ حَيْثُ يَرَوِي مِنْ أَحَادِيثِ الْحَبِيبِ
 مرحبا ای بلبل دستان حی کامده از جانب بستان حی^١
 مَا يُرِيدُ الْحَيُّ أَخْبِرْنِي بِمَا قَالَهُ فِي حَقِّنَا أَهْلُ الْحِمَى
 هَلْ رَضُوا عَنَّا وَقَالُوا لَلْوَفَا أَمْ عَلَى الْهَجْرِ اسْتَمَرُّوا وَالْجَفَا
 مرحبا ای پیک فرخ فال ما مرحبا ای مایه اقبال ما^٢

١- يقول: «مرحبا أيها البلبل المغرّد بقصّة الحيّ، الذي جاءنا من بستان الحيّ».

٢- يقول: «مرحبا ياطرر سعدنا، مرحبا يا سبب بهجتنا وسعدتنا».

وأما بقيّة الأبيات فهي:

مرحبا ای طوطی شکر شکن قُلْ فَقَدْ أَذْهَبَتْ عَنْ قَلْبِي الْحَزْنَ
 مرحبا ای عندلیب خوش نوا فارقم کردی ز قید ماسوا
 ای نواهای تو ناز مؤصده زد به هر بندم هزار آتشکده
 مرحبا ای هدهد شهر سبا مرحبا ای پیک جانان مرحبا
 بازگو از نجد و از یاران نجد تادر و دیوار را آری به وجد
 بازگو از زمزم و خیف و منی وارهان دل از غم و جان از عنا
 بازگو از مسکن و مأوی ما بازگو از یار بی پروای ما
 آنکه از ما بی سبب افشاند دست عهد را ببرد و پیمان را شکست
 از زبان آن نگار تند خو از پی تسکین دل حرفی بگو

يقول: «مرحبا أيها الببغاء المعسول الكلام، قُلْ فقد أذهبت عن قلبي الحزن».

مرحبا أيها العندليب العذب الغناء، لقد حررتني من القيود جميعاً.

يا من صوته وغناؤه ناز مؤصدة، يا من أشعل في كل قيد من قيودي ناراً حامية.

مرحبا يا هدهد مدينة سبأ، مرحبا يا سفير النفوس، مرحبا.

حدّثني عن نجد وأصحابي في نجد، حتّى يهيمّ الباب والجدران من حديثك.

حدّثني عن زمزم والخيف ومنى، حتّى تُزيل الغم عن القلوب والعناء عن الأنفس.

حدّثنا عن مساكننا ومقامنا، وحدّثنا عن حبيبتنا الذي لم يُبال بنا.

ذلك الحبيب الذي هجرنا وابتعد عنا دونما سبب أو علة، ذلك الذي نقض العهد

ويستمرّ على هذا المنوال حتّى يصل إلى قوله :

ياد ايّامي كه با ما داشتی
 گاه خشم از ناز و گاهی آشتی
 ای خوش آن دوران که گاهی از کرم
 در ره مهر و وفا میزد قدم
 شب که بودم با هزاران گونه درد
 سر به زانوی غمش بنهاده فرد
 جان به لب از حسرت گفتار او
 دل پر از نومیدی دیدار او
 فتنه ایّام و آشوب زمان
 خانه سوز صد چو من بی خانمان
 از درم ناگه در آمد بی حجاب
 لب گزان از رخ برافکنده نقاب^۱

◀ والميثاق.

تكلّم، قُلْ شيئاً عن لسان ذلك المحبوب الغضوب، حتّى تُسكن هذا الفؤاد». .
 ١- يقول: «اذكُرُ الأيّام التي كنّا فيها معاً، فتارةً كنتَ تضغّب بدلال وأخرى تُصالحنا.
 ما أحلى ذلك العهد الذي كان الحبيب يفيض فيه علينا ويُغرقتنا من كَرَمه وحبّه ووفائه.
 وكم سَهَرْتُ الليالي مع الآمي وأوجاعي، واضعاً رأسي على ركبتَي حزيناً كئيباً.
 وكانت رُوحِي تروم الخروج من جسدي مُتمنّيةً سماع حديثه وكلامه، وتملاً القلب
 حسرات ويأس لرؤيته وملاقاته.
 لقد أشعلت فتنة ذلك الزمان النار في مئات المنازل وأحرقتها ومنها منزلي فظلمتُ
 مُشرّداً دون دار للسكنى.
 وطلع عَلَيَّ يوماً من وراء الباب دون حجاب، عاصاً شفته لعدم وضع النقاب».

كأكل مُشكين به دوش انداخته
وز نگاهی کار عالم ساخته

گفت : ای شیدا دل محزون من
وی بلاکش ، عاشق مفتون من

كَيْفَ حَالِ الْقَلْبِ فِي نَارِ الْفِرَاقِ ؟
كفتمش : وَاللَّهِ حَالِي لَا يُطَاقُ

یک زمان بنشست بر بالین من
رفت و با خود برد عقل و دین من

كفتمش : کی بینمت ای خوش خرام؟
گفت : نِصْفَ اللَّيْلِ لَكِنْ فِي الْمَنَامِ^١

في الأبيات السابقة ، يشرح الشيخ أعلى الله مقامه ، لقاءه بالحق
تعالى في اليقظة ، وحالة المكاشفة الروحية التي تتابته ، وعن هذا اللقاء

١- يقول : «وقد أرسل صفائره السوداء على منكبيه، وقد أبلت نظراته العالمَ بالبلاء
الحسن.

فقال : يا عاشقي ! أيها المحزون الفؤاد ! ويا مَنْ تجرع البلاء (لأجلي)، أيها العاشق
المفتون!

كيف حال القلب في نار الفراق؟ قلتُ : والله حالي لا يطاقُ !

فجلسَ معي هُنيهةً ثم رحل ، وأخذ معه عقلي وديني !

فقلتُ (له) : متى أراك يا مغناج؟ قال : نِصْفَ اللَّيْلِ لَكِنْ فِي الْمَنَامِ!.

كتاب «نان وحلوا» (= الخبز والحلوى) ، ص ٢ و ٣ ، والذي طُبِعَ مع كتاب «نان وخرما»
(= الخبز والتمر) و«نان و پنیر» (= الخبز والجبن) و«شیر و شکر» (= اللبن والسكر) للشيخ
البهائي في مجموعة واحدة من قبل بنگاه كتابفروشي نوبهار (وكالة نوبهار لبيع الكتب)،
إصفهان.

يقول : ودخل عَلَيَّ بِمَحِيَّاهُ بِلا حِجَابٍ أَوْ غِطَاءٍ ، مُسَدِّلاً شَعْرَهُ عَلَيَّ كَتَفِيهِ ، وَحَيْثُ إِنَّ ذَكَرَ اصْطِلَاحَ كَلِمَةِ الْمَحِيَّاءِ عِنْدَ أَهْلِ الْإِلَهَوِيَّاتِ ، هُوَ تَعْبِيرٌ عَنِ تَجَلِّيِ نُورِ الْوَحْدَةِ وَجَمَالِ الْحَقِّ ، وَاصْطِلَاحُ إِسْدَالِ الشَّعْرِ ، كِنَايَةٌ عَنِ تَجَلِّيِ الْكُثْرَاتِ وَالْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ الْهَوِيَّةِ . فَإِنَّ ظُهُورَ الْحَقِّ تَعَالَى بِمَحِيَّاهُ الْمَجْرَدِ عَنِ الْحِجَابِ ، وَشَعْرَهُ الْمَسْدَلِ ، هُوَ تَشْبِيهُهُ عَنِ حَالَةِ الْوَحْدَةِ فِي الْكُثْرَةِ . وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ تَعَالَى بِوَحْدَانِيَّتِهِ حِينَ يُشَاهَدُ بِالْكَثْرَةِ الْوَاشِقَةِ عَنِ وَجُودِهِ مَعاً وَسُوِيَّةً .

وَبتَعْبِيرٍ آخَرَ ، فَإِنَّ رُؤْيَا وَحْدَةِ الْحَقِّ ، بِكُلِّ مَا فِي الْكَلِمَةِ مِنْ مَعْنَى ، مُمْكِنَةٌ ، فِي تَجَلِّيِ الْحَقِّ تَعَالَى فِي اسْمِ وَحْدَانِيَّتِهِ ، وَتَعْبِيرٌ وَحْدَةِ الْوُجُودِ عَلَيَّ أَلْسِنَةَ أَهْلِ الْعِرْفَانِ ، هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى .

تَشَرَّفَ الْعَبْدُ الْحَقِيرُ يَوْمًا بِزِيَارَةِ أُسْتَاذِنَا الْأَكْرَمِ الْحَاجِّ السَّيِّدِ هَاشِمِ الْحَدَّادِ رُوحِي فِدَاهُ ، وَقُلْتُ لَهُ : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُتَلَبِّسًا بِلِبَاسِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ ، أَنِّي لَهُمُ التَّكَلُّمُ مَعَهُ أَوْ طَلَبُ الْحَاجَاتِ مِنْهُ ، فِي حِينِ أَنَّ الَّذِي يَرُونَ ، بِالْحَقِيقَةِ ، لَيْسَ ذَاتَهُ أَوْ وَجُودَهُ ؟ وَكَذَلِكَ الَّذِينَ يَذُوبُونَ وَيَفْنُونَ فِي ذَاتِهِ الْمَقْدَسَةِ ، حَيْثُ لَا يَبْقَى لَهُمْ أَيُّ وَجُودٍ ، حَتَّى يَكُونَ هُنَاكَ سَائِلٌ أَوْ مَسْئُولٌ أَوْ سُؤَالٌ .

فَأَجَابَ : « نَعَمْ ، هُوَ كَذَلِكَ ، وَلَكِنْ يَرُوى : أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ غَلَامٌ يَعِشُقُ مَلِكَةً ، وَسَلَبَتْ عَقْلَهُ حَرَكَاتِ وَسَكَنَاتِ هَذَا الْمَلِكِ ، فَبَلَغَ عَشْقَهُ الْحَدَّ الَّذِي كَانَ بِمَجْرَدِ أَنْ يَقَعَ بِبَصَرِهِ عَلَيَّ الْمَلِكِ ، يَسْقُطُ عَلَيَّ الْأَرْضَ وَيَغْمَى عَلَيْهِ ، حَتَّى يَنْصَرِفَ الْمَلِكُ ، وَيَبْتَعِدَ عَنْهُ .

وَكَانَ النَّاسُ عَلَيَّ عِلْمَ بِحُظُوتهِ لَدَى الْمَلِكِ ، فَكَانَ كُلُّ يَكْتُبِ حَوَائِجَهُ فِي رِسَالَةٍ ، وَيَضَعُهَا فِي ظَرْفٍ خَاصٍّ ، وَيَسَلِّمُهَا إِلَى الْعَبْدِ ، لِيَعْرِضَهَا عَلَيَّ الْمَلِكِ ، فَيَأْخُذُ الْعَبْدُ الرِّسَالَاتِ ، وَيَضَعُهَا فِي إِئَاءِ خَاصٍّ ، لِكَيْ يَسَلِّمَهَا إِلَى

الملك متى حان موعد اللقاء .

وعندما يأخذ الإناء الحاوي على الرسائل ، وفي لحظة مشاهدة الملك ، يُعشى عليه ، فكان الملك يجلس بقربه ، ويأمر الغلمان بفتح الرسائل التي في الإناء وقراءتها ، وبعدها يأمر بقضائها ويختم عليها بختمه . ومن ثمّ توضع الرسائل في الظروف ، وتُرجع إلى الإناء ، ويوضع الغطاء كما كان .

وعندها يغادر الملك ، ثمّ يستعيد الغلام وعيه ، فيرى الإناء كما هو ، فيعتقد بأنّه لم يمتس من قبل الملك ، وأنّ حوائج الناس لم يبتّ فيها ، فيحمل الإناء راجعاً إلى أصحاب الحوائج قائلاً لهم : أعتذر إليكم من عدم تمكّني من إيصال حوائجكم إلى الملك . فيستعيد الناس ، بخيبة أمل ، رسائلهم ، ثمّ فجأة ، يدبّ فيهم الفرح والسرور ، عندما يرون رسائلهم مختومة بختم الملك ، وأنّ حوائجهم قد قُضيت .

نعم ، وفي هذا المعنى ، يقول العالم العارف الجليل ابن الفارض المصري :

وَفِي سَكْرَةٍ مِنْهَا وَلَوْ عُمَرُ سَاعَةً
تَرَى الدَّهْرَ عَبْدًا طَائِعًا وَلَكَ الحُكْمُ^١

الْبَحْثَانِ التَّاسِعُ وَالْعَاشِرُ

إِمْكَانِيَّةُ رُؤْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَلِقَائِهِ مِنْ قِبَلِ الْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ

وَنَفْسِ الْوَالِدَةِ الْبَارِكَةِ

فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ، فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :
قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ
يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا.
(الآية ١١٠، من السورة ١٨: الكهف).

قال حضرة أستاذنا الأكرم آية الحق والعرفان وسند العلم والإيقان :
آية الله العلامة الطباطبائيّ تغمده الله بأعلى رضوانه ، ورفع درجته بما
لا يدرك به عقل بشر ولا ملك ولا جنّ ولا أحد سوى ذاته الأقدس ، في
تفسيره لهذه الآية الكريمة :

«الآية خاتمة السورة وتلخص غرض البيان فيها وقد جمعت أصول
الدين الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والمعاد فالتوحيد ما في قوله : أَنَّمَا
إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ والنبوة ما في قوله : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ،
وقوله : فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا - إلى آخره . والمعاد ما في قوله : فَمَنْ كَانَ
يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ .

قوله تعالى : قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ

وَاحِدٌ . القصر الأوّل قصره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي الْبَشَرِيَّةِ الْمِمَّاثِلَةِ لِبَشَرِيَّةِ النَّاسِ لَا يَزِيدُ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ وَلَا يَدْعِيهِ لِنَفْسِهِ قَبَالَ مَا كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ إِذَا ادَّعَى النَّبُوَّةَ فَقَدْ ادَّعَى كَيْنُونَةَ إِلَهِيَّةٍ وَقُدْرَةَ غَيْبِيَّةٍ ، وَلِذَا كَانُوا يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ ، لَكِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَفَى ذَلِكَ كُلَّهُ بِأَمْرِ اللهِ عَنْ نَفْسِهِ وَلَمْ يَثْبِتْ لِنَفْسِهِ إِلَّا أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ .

والقصر الثاني قصر الإله الذي هو إلههم في إله واحد وهو التوحيد

الناطق بأنّ إله الكلّ إله واحد .

وقوله : فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ إِلَى آخِرِهِ ، مُشْتَمِلٌ عَلَى إِجْمَالِ الدَّعْوَةِ الدِّيْنِيَّةِ وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ لَوْجِهَ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَقَدْ فَرَّعَهُ عَلَى رَجَاءِ لِقَاءِ الرَّبِّ تَعَالَى وَهُوَ الرَّجُوعُ إِلَيْهِ إِذْ لَوْلَا الْحِسَابُ وَالْجَزَاءُ لَمْ يَكُنْ لِلأَخْذِ بِالْدِينِ وَالتَّلَبُّسِ بِالْإِعْتِقَادِ وَالْعَمَلِ مُوجِبٍ يَدْعُو إِلَيْهِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ .

وقد رتبّ على الاعتقاد بالمعاد العمل الصالح وعدم الإشراك بعبادة الربّ ، لأنّ الاعتقاد بالوحدانية مع الاشتراك في العمل متناقضان لا يجتمعان فالإله تعالى لو كان واحداً فهو واحد في جميع صفاته ومنها المعبودية لا شريك له فيها .

وقد رتبّ الأخذ بالدين على رجاء المعاد دون القطع به ، لأنّ احتمالاه كافٍ في وجوب التحذّر منه لوجوب دفع الضرر المحتمل ، وربّما قيل : إنّ المراد باللقاء لقاء الكرامة وهو مرجو لا مقطوع به .

وقد فرّع رجاء لقاء الله على قوله : أَنَّ إِلَهَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ ، لِأَنَّ

رجوع العباد إلى الله سبحانه من تمام معنى الألوهية ، فله تعالى كل كمال مطلوب وكل وصف جميل ومنها فعل الحق والحكم بالعدل وهما يقتضيان رجوع عباده إليه والقضاء بينهم ، قال تعالى :

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ .

في «الدر المنثور» أخرج ابن مندة وأبو نعيم في الصحابة وابن عساكر من طريق السدي الصغير عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : كان جندب بن زهير إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له فزاد في ذلك لمقالة الناس فلامه الله فنزل في ذلك : فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا .

وورد نحو منه في عدة روايات أخر من غير ذكر الاسم وينبغي أن يحمل على انطباق الآية على المورد ، فمن المستبعد أن يُنزل خاتمة سورة من السور لسبب خاص بنفسها .

وفيه عن أبي حاتم ، عن سعيد بن جبیر في الآية قال النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم : إِنَّ رَبِّكُمْ يَقُولُ : أَنَا خَيْرُ شَرِيكِ ؛ فَمَنْ أَشْرَكَ مَعِي فِي عَمَلِهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِي تَرَكَتُ الْعَمَلَ كُلَّهُ لَهُ ، وَلَمْ أَقْبَلْ إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا . ثُمَّ قرأ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلّم : «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» .

وفي «تفسير العياشي» عن علي بن سالم ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال الله تبارك وتعالى : أَنَا خَيْرُ شَرِيكِ ؛ مَنْ أَشْرَكَ بِي فِي عَمَلِهِ

لَمْ أَقْبَلُهُ، إِلَّا مَا كَانَ لِي خَالِصًا!

قال العياشي: وفي رواية أخرى عنه عليه السلام قال: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ:

أَنَا خَيْرُ شَرِيكَ؛ مَنْ عَمِلَ لِي وَلِغَيْرِي فَهُوَ لِمَنْ عَمِلَ لَهُ دُونِي.

وفي «الدر المنثور» أخرج أحمد وابن أبي الدنيا وابن مردويه والحاكم وصححه، والبيهقي عن شداد بن أوس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

مَنْ صَلَّى يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ؛ ثُمَّ قَرَأَ: «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ» - الآية.

وفي «تفسير العياشي» عن زرارة وحمران، عن أبي جعفر وأبي

عبد الله عليهما السلام قالوا:

لَوْ أَنَّ عَبْدًا عَمِلَ عَمَلًا يَطْلُبُ بِهِ رَحْمَةَ اللَّهِ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، ثُمَّ أَدْخَلَ فِيهِ رِضًا أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ مُشْرِكًا.

والروايات في هذا الباب من طرق الشيعة وأهل السنة فوق حد الإحصاء، والمراد بالشرك فيها الشرك الخفي غير المنافي لأصل الإيمان، بل لكماله، قال تعالى: وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ. ١ فالآية تشملها بباطنها لا بتنزيلها.

وفي «الدر المنثور» أخرج الطبراني وابن مردويه عن أبي حكيم قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

لَوْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَى أُمَّتِي إِلَّا خَاتِمَةُ سُورَةِ الْكَهْفِ لَكَفَّتْهُمْ.

أقول: تقدم وجهه في البيان السابق. تَمَّ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ. ٢

١- الآية ١٠٦، من السورة ١٢: يوسف.

٢- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٣، ص ٤٠٥ إلى ٤٠٧.

ومحصّل الكلام ، أنّ هذه الآية الكريمة والروايات الواردة في تفسيرها تُفهمنا أنّ لقاء الله وزيارته تكون ممكنة فقط ، للذين آمنوا بالله ولم يُشركوا به أحداً بأيّ وجه من الوجوه ، سواء أكان ذلك ظاهراً أم باطناً ، ولا في مقام الوجود والذات ، ولا في مقام الاسم والصفة ، ولا في مقام الفعل والعمل بل أن يُؤثروا الله وحده ، ويعتبرونه المؤثر الوحيد ، إذ : لا مؤثّر في الوجود إلا الله^١ ، لا في منهاج الشرك الظاهر ، ولا الباطن .

ومعنى الشرك ، إعطاء صفة التدخل لعمل الغير في عمل الله . فمثلاً ، اعتبار الذهاب إلى الطبيب واستعمال الدواء والتعافي ، يعتبر شركاً ، إذا لوحظ ذلك من منظار التأثير الاستقلالي ، وإن كان ذلك بمعونة الله . وإذا لوحظ ذلك من منظار أنّ الطبيب محكوم بأمر وإرادة الله ، وأنّ الدواء أيضاً محكوم بتأثير وأمر الله ، وأنّ الحصول على الشفاء ، هو بأمر الله ومشئته ، فإنّ ذلك هو ما يسمّى بالتوحيد ، إذ لا توجد فيه شائبة شرك أبداً .

وعلى المؤمن أن ينفي جميع المؤثرات الاستقلالية التي كان يعتبرها من قبل فاعلة ، ويطردها عن نفسه وداخله في سبيل الوصول إلى الله ، حتى يتسنى له زيارة الله كما ينبغي له ، وإلا فإنّ ذلك ليس الله حتى وإن رآه من وراء حجاب الخيال والوهم .

والآن ، فهل كانت تلك العجوز تعلم حقاً ، أنّ الله موجود أم لا ؟ نعم ، كانت تعلم ومن خلال مغزلهما ، بل كانت على يقين من ذلك ، ولكن من وراء ألف حجاب . إنّ دين العجائز ذلك ، ينفع العجائز أنفسهنّ ، لا السالكين ، فربّ شخص جالس وراء بوابة المدينة العالي وسورها ، وهو

١- لا تُشير هذه العبارة إلى رواية ما ، ولكنها كلام لبعض الحكماء مشتق من الآيات والروايات والأدلة البرهانية العقلية المتقنة .

يعلم أنّ ما يصدر من المدينة من أصوات وضوضاء ، دليل على وجود سكنة فيها ، إلا أنّ ذلك يختلف كثيراً عمّن تسوّر ذلك الجدار ونظر إلى المدينة بمنظار قووي ، وأفضل من هذا وذاك ، من فتح بؤابة المدينة ، وسار في شوارعها وأزقتها وأسواقها ومساجدها ، ثم دخل المساجد والمدارس ، وتعرّف على أفرادها ، واستعلم من العلماء والمدرّسين والطلاب عن مناهجهم الدراسيّة ، وتعرّف على معابدها ومدارسها والمستوى العلميّ لعلماء العرفان فيها ، ومساحة مصلاهم ، وهل يتبع سكنتها النصائح الإسلاميّة في الطّب ، أم أنّهم بحاجة إلى مستشفى ومستوصف وطبيب ودواء ؟

فما الفرق إذاً بين الشخص الواقف وراء الجدار ، وذلك الذي دخل المدينة وتعرّف على أهلها واستأنس إلى أصحابها ؟ الحق ، إنّ الفرق بينهما ، كالبعد بين المشرق والمغرب ، وإن كان هذان الشخصان أخوين جلسا في مكان واحد ، وكانا يعيشان في زمان واحد ، وينحدران من أصل واحد ، ونسب وسبب مشتركين .

فلنخرج الآن من دين العجائز ومن التعرّف على البعير بالبعرة وبها كذلك على الحيوان الحيّ ، وعلينا الاستزادة من المعلومات ، وذلك أنّ هذا النوع من المعارف ، خاصّ بالضعفاء ، وبالمعرفة الإجماليّة دون التفصيليّة . فعلينا الحصول على المعرفة التفصيليّة ، وأن نتأسّى بأمر المؤمنين عليه

السلام ، وعلينا البحث في «نهج البلاغة» و«التوحيد» للصدوق ، علينا أن ننهج منهج أمّهات التفاسير للقرآن الكريم ، والبحث عن حلّ جدّي ، وأن نرجع إلى «الصحيحة العلويّة» و«الصحيحة السجادية» ، ولنستعين بهما في طريق معرفة الله . علينا أن نفهم جيّداً معنى :

«يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجَانَسَةِ مَخْلُوقَاتِهِ ، وَجَلَّ عَنْ

مُلَاءَمَةٌ كَيْفِيَّاتِهِ . يَا مَنْ قُرَّبَ مِنْ خَطَرَاتِ الظُّنُونِ ، وَبَعُدَ عَنِ لَحَظَاتِ

الْعِيُونِ ، وَعَلِمَ بِمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ»

لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ ! مَنْ ذَا يَعْرِفُ قَدْرَكَ

فَلَا يَخَافُكَ ؟! وَمَنْ ذَا يَعْلَمُ مَا أَنْتَ فَلَا يَهَابُكَ ؟!

فَيَا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْعِزِّ وَالْبِقَاءِ ، وَقَهَرَ الْعِبَادَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ !

١- فقرات مأخوذة من الدعاء العظيم الشأن المعروف بدعاء الصباح . ذكره المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» طبعة الكمباني: ج ١٩ ، ص ١٣٥ و ١٣٦ ، وطبعة الإسلامية: ج ٩٤ ، ص ٢٤٢ إلى ٢٤٦ . وقال : هذا الدعاء هو ممَّا انتخبه السيّد ابن باقي والذي رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام . وقال في آخره :

«بيان :

هذا الدعاء من الأدعية المشهورة ، ولم أجده في الكتب المعتبرة إلا في «مصباح السيّد ابن الباقي» رحمه الله ، ووجدتُ منه نسخة قرأه المولى الفاضل مولانا درويش محمّد الإصبهاني جدّ والدي من قِبَلِ أُمِّهِ عَلَى الْعَلَامَةِ مَرْوَجِ الْمَذْهَبِ نَوْرِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ الْعَالِيِّ الْكَرْكِيِّ قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ فَأَجَازَهُ» .

ثمّ أورد المجلسي صورة إجازة المحقّق الكركي المؤرّخة سنة تسع وثلاثين وتسعمائة ، وقال : «ووجدتُ في بعض الكتب سنداً له هكذا: قال الشريف يحيى بن قاسم العلويّ : ظفرتُ بسفيينة طويلة مكتوب فيها بخط سيدي وجدّي أمير المؤمنين وقائد الغرّ المحجّلين ليث بن أبي غالب عليّ بن أبي طالب عليه أفضل التحيات ما هذه صورته :

«بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا دعاء علّمني رسول الله صلّى الله عليه وآله وكان يدعو به في كلّ صباح وهو: اللَّهُمَّ يَا مَنْ دَلَعَ لِسَانَ الصَّبَاحِ - إلى آخره ، وكتب في آخره : كتبه عليّ بن أبي طالب في آخر نهار الخميس حادي عشر شهر ذي الحجّة سنة خمس وعشرين من الهجرة .

وقال الشريف : نقلته من خطّه المبارك ، وكان مكتوباً بالقلم الكوفيّ على الرقّ في

السابع والعشرين من ذي القعدة سنة أربع وثلاثين وسبعمائة» .

وذكر المجلسي هنا بياناً مفصّلاً في شرح هذا الدعاء وتفسيره ، من طبعة الكمباني ،

ومعنى **بِكَ عَرَفْتِكَ** ، وَأَنْتَ دَلَلْتَنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ ، وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ !

وهذه فقرات من دعاء سيّد الساجدين الإمام عليّ بن الحسين عليهما

السلام وأفضل الصلوات ، التي تبدأ بـ :

إِلَهِي ! لَا تُؤَدِّبْنِي بِعُقُوبَتِكَ ، وَلَا تَمَكِّرْ بِي فِي حِيلَتِكَ ! مِنْ أَيْنَ لِي
الْخَيْرُ يَا رَبِّ وَلَا يُوجَدُ إِلَّا مِنْ عِنْدِكَ ، وَمِنْ أَيْنَ لِي النِّجَاةُ وَلَا تُسْتَطَاعُ إِلَّا
بِكَ إِلَّا الَّذِي أَحْسَنَ اسْتَعْنَى عَنْ عَوْنِكَ وَرَحْمَتِكَ ؛ وَلَا الَّذِي أَسَاءَ وَاجْتَرَأَ
عَلَيْكَ وَلَمْ يُرْضِكَ خَرَجَ عَنْ قُدْرَتِكَ ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ !

وقد كرّر الإمام عليه السلام كلمة «يا ربّ» حتى انقطع نفسه ، ثم قال :

بِكَ عَرَفْتِكَ ... إلى آخر الدعاء الشريف والعالى المضامين ، الذي يدلّ على

ص ١٣٦ إلى ١٤١ ، ومن طبعة الإِسْلامِيَّة ، ص ٢٤٧ إلى ٢٦٣ . وقال في آخره : «واعلم أنّا قد أوردنا هذا الدعاء الشريف مع شرحه في كتاب الصلاة في أبواب أدعية الصباح والمساء ، وإنما كررناه للفاصلة الكثيرة ، ولشدّة مناسبتة بهذا المقام أيضاً» .

نعم ، وقد ذكر الشيخ عبد الله السماهيجي في «الصحيفة العلوية» وقد طبعها كاتب النسخة المطبوعة في (باسمهاى) باسم فخر الأشراف سنة ١٣٢٠هـ ، وكتب الصفحات من ١٨١ إلى ٢١٨ والخاصة بدعاء الصباح بالخط الكوفي وخط النسخ .

وقال المحدّث العظيم العلامة الحاجّ الشيخ آقا بزرگ الطهراني قدّس سرّه في «الذريعة» ج ١٥ ، ص ٢٢ : «الصحيفة العلوية والتحفة المرتضوية» : من جمع المولى الأجلّ الشيخ عبد الله بن صالح بن جمعة بن عليّ بن أحمد بن ناصر بن محمّد بن عبد الله البحرانيّ السماهيجي مولداً الماحوزي تحصيلاً ، المتوفى ليلة الأربعاء ٩ جمادى الآخرة ١١٣٥ ، جمعها من كتب الأصحاب مراسلاً من دون ذكر سند ، ومجموع أدعيّتها ١٥٦ دعاء .

وقال أيضاً في ص ٢٣ من ذلك الكتاب ما مفاده : «الصحيفة العلوية الثانية جمعها

شيخنا النوريّ الحاجّ ميرزا حسين (المتوفى سنة ١٣٢٠ هـ) ، وتشتمل على ١٠٣ دعاء من أدعية أمير المؤمنين عليه السلام نظّمها كتّمّة واستدراك للصحيفة الأولى» .

أَنَّ الإمام ينادي من أقصى نقاط التوحيد في حرم معبوده المحبوب
ومحراه، ويناجي في حرم الذات أن لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ
مُرْسَلٌ^١.

فإذا أمعنا النظر في العبارات «يَا مَنْ دَلَّ عَلَى ذَاتِهِ بِذَاتِهِ»، و«بِكَ
عَرَفْتُكَ وَأَنْتَ دَلَّتْنِي عَلَيْكَ وَدَعَوْتَنِي إِلَيْكَ، وَ لَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَدْرِ مَا أَنْتَ»
فسنخلص أولاً إلى أن طريق لقاء ذات الله وزيارتها مفتوح؛ وثانياً،
لا يمكن أن يكون معرف تلك الذات المقدسة، إلا الذات المقدسة نفسها؛
وثالثاً، أن جميع الموجودات الآفاقية والأنفسية والملكية والملكوتية،
لا يمكنها أن تدل على ذات الله، فعليه هو أن يعرف نفسه ويدل عليها.
إلهي! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ بِمَا هُوَ فِي وُجُودِهِ مُفْتَقِرٌ إِلَيْكَ؟! أَيْكُونُ
لِغَيْرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ؟!
مَتَى غَبَّتْ حَتَّى تَحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ؟! وَمَتَى بَعُدَتْ حَتَّى
تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ؟!
إلهي! عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً، وَخَسِرَتْ صَفْقَةٌ عَبْدٍ
لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ نَصِيباً!

١- روى العلامة المجلسي رضوان الله عليه هذا الدعاء في «بحار الأنوار» طبعة
الكمباني: ج ٢٠، ص ٢٤٥ إلى ٢٥٠، والإسلامية: ج ٩٨، ص ٨٢ إلى ٩٣، عن كتاب
«الإقبال» (ص ٦٧ إلى ٧٥- التعليقة) برواية السيد ابن طاووس وسنده إلى محمد بن
هارون بن موسى التلعكبري بسنده عن حسن بن محبوب، عن أبي حمزة الثمالي أنه قال:
كان علي بن الحسين صلوات الله عليهما يصلّي عامّة ليلته في شهر رمضان، فإذا كان
السَّحَرُ دعا بهذا الدعاء.

وروى كذلك الشيخ الطوسي في «مصباح المتهجد» ص ٤٠١ إلى ٤١٣، الطبعة
الحجرية، بنصه كما يُقَالُ عن كتاب «الإقبال»، عن أبي حمزة الثمالي.

وما أروع القصيدة الغزلية التالية للفروغي البسطامي والتي ضمت في
جَنَبَاتِهَا هذه الحقيقة ، حيث قال فيها :

كسى رفته‌ای ز دل كه تمنّا كنم ترا
كسى بوده‌ای نهفته كه پیدا كنم ترا
غائب نگشته‌ای كه شوم طالب حضور
پنهان نگشته‌ای كه هویدا كنم ترا
با صد هزار جلوه برون آمدی كه من
با صد هزار دیده تماشا كنم ترا
چشمم به صد مجاهده آئینه ساز شد
تا با یکی مشاهده شیدا كنم ترا
بالای خود در آینه چشم من بین
تا باخبر ز عالم بالا كنم ترا
مستانه كاش بر حرم و دیر بگذری
تا قبله‌گاه مؤمن و ترسا كنم ترا
خواهم شبی نقاب ز رویت برافكنم
خورشید كعبه ، ماه كليسا كنم ترا^۱

۱- يقول : «متى غبت عن القلب حتى أتمنأك ، أو كنت خفياً فأبحث عنك .

لم تغب عني حتى أطلب حضورك ، ولم تختف حتى أكشف عنك النقاب .
لقد خرجت (علّي) بمائة ألف مظهر ، فتطلعت إليّ بمائة ألف باصرة .

أصبحت عيناى بجهد مائة مرة - تصنع المرايا ، حتى أجعلك تعشق بنظرة واحدة .

أنظر إلى قامتك في مرآة عيني حتى أخبرك عن العالم العلوي وأطلعك على أنبائه .

ليتك تمر نشواناً بدلال على الحرم والدير ، حتى أجعل منك قبلة للمؤمن والراهب .

أتمنى أن أزيح عنك اللثام ليطلع فأصيع منك شمساً للكعبة وقمرًا للكنيسة .

گر افتد آن دو زلف چلیپا به چنگ من
 چندین هزار سلسله در پا کنم ترا
 طوبی و سدره گر به قیامت به من دهند
 یکجا فدای قامت رعنا کنم ترا
 زیبا شود به کارگه عشق کار من
 هرگه نظر به صورت زیبا کنم ترا
 رسوای عالمی شدم از شور عاشقی
 ترسم خدا نخواسته رسوا کنم ترا
 با خیل غمزه گر به وثاقم گذر کنی

میر سپاه ، شاهِ صف آرا کنم ترا^١
 نعم ، إن هذين الدعاءين الأخيرين «إلهي ! كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ» ،
 و«إلهي ! عَمِيَتْ عَيْنٌ» ، هما الفقرتان ١٩ و ٢٠ من المجموعة الخامسة
 والثلاثين من مناجاة الشيخ تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن
 عطاء الله الإسكندرِي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ.^٢

١- يقول : «لو وقعت بقبضتي ذؤابتا شعرك اللتان على شكل صليب، لجعلتُ منهما

آلاف السلاسل لقدمي .

ولو أعطيتُ يوم القيامة السدرة وطوبى ، لقدّمتهما كليهما قرباناً لقامتك الساحرة في

آن واحد.

يزداد عملي في مصنع العشق جمالاً ورفّةً ، كلما ألقيتُ نظرةً على وجهك الوضّاح .

لقد ذاعَ سرّي وفُضحْتُ في العالمين من فرط حُبّي (لَكَ) ، وأخافُ ، لا سمحَ الله ، أن

(أَجِرَ فـ) أفصحَ سرِّكَ .

لو مررتَ على وثاقي ورميتني بنظرة واحدة ، لجعلتُ منك أميراً للجيش .

٢- جاء في «كشف الظنون» ج ١ ، ص ٦٧٥ : «الحِكم العطائية» للشيخ تاج الدين ⇨

وَأَمَّا الْبَقِيَّةُ ، فَهِيَ كَمَا يَلِي :

١- إلهي ! أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ ، فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي !؟

⇨ أبي الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي، المتوفى بالقاهرة سنة تسع وسبعمائة (٧٠٩)، أولها: من علامة الاعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند وجود الزلل - إلى آخره. وهي حكيم منثور على لسان أهل الطريقة.

ولما صنفها عرضها على شيخه أبي العباس المرسي فتأملها وقال له: لقد أتيت يا بني في هذه الكراسة بمقاصد الأحياء وزيادة، ولذلك تعشقتها أرباب الذوق لما رقت لهم من معانيها وراق، وبسطوا القول فيها وشرحوها كثيراً. فمن المؤلفات عليها شرح شهاب الدين أحمد بن محمد البرلسي [البرنسي] المعروف بـ(زرّوق) وهو شرح ممزوج أوله: الحمد لله الذي شرف عباده - إلى آخره. وذكر في بعض شروحه أن الحكم مرتب بعضها على بعض فكل كلمة منها توطئة لما بعدها وشرح لما قبلها.

وأته درس الحكم خمسة عشر درساً وكتب كل مرة شرحاً من ظهر القلب كله بعبارة أخرى، وقيل إن للشيخ زرّوق الأثثة شروح على الحكم، لكن الأصح ما كتبه نفسه. وهنا يشير صاحب «كشف الظنون» ضمن بحث تفصيلي إلى عدد الشروح التي كتبت على كتاب «الحكم العطائية».

نعم، وأما أشهر ما هو معروف من الشروح على ذلك الكتاب هو شرح الشيخ أحمد زرّوق المطبوع من قبل مكتبة النجاح في طرابلس الغرب بتحقيق اثنين من العلماء. وقد جاء في مقدمة هذين العالمين ما مفاده: كان (الشيخ تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم، المعروف بابن عطاء الله الإسكندراني الشاذلي المالكي) تلميذ المرسي أبي العباس المعروف، وقد كتب الشيخ زرّوق ثلاثين شرحاً على هذا الكتاب، وهذا هو الشرح السابع عشر منها. وقال في «شذرات الذهب»: وكتب أكثر من ثلاثين شرحاً على «الحكم العطائية». وُلد الشيخ أحمد زرّوق في يوم الخميس الثامن عشر من شهر ذي الحجة الحرام سنة ثمانمائة وستة وأربعين (للهجرة) وكانت وفاته في سنة ثمانمائة وتسعة وتسعين.

(وهذا الغنى هو عين الحاجة والعوز لأنه منك أنت! فكيف إذن لا أكون فقيراً إليك ومُحتاجاً لك في عين فقري وحاجتي اللتين كانتا حالة عدمي؛ وكان أصل وجودي وأساسه ومنشأه هما فقدان والعدم؛ والفناء وكتم العدم كانتا المادة الأولى لحدوثي وتحققى في المرحلة الماهوية!؟).

٢- إلهي! أنا الجاهل في علمي، فكيف لا أكون جهولاً في جهلي!؟

(وهذا العلم هو عين الجهل لأنه منك، فكيف إذن لا أكون ثابتاً على الجهل في نفس الوقت الذي تغمرني فيه جهالتي وجهلي واللذان كانتا لي حالة العدم الأصلي وفقدان الماهوي والعدم الذاتي!؟).

٣- إلهي! إن اختلاف تدبيرك وسرعة حلول مقاديرك، معاً عبادة

العارفين بك عن السكون إلى عطاء والياس منك في بلاء!

(وذلك لأن سرعة حلول البلاء في عقب النعم والآلاء، وسرعة حلول النعم والآلاء في عقب البلاء شديدة جداً ومستمرة بالتناوب والتعاقب كالدولاب والعجلة اللتان تدوران باستمرار، وهي لا تهب أحداً سكوناً أو هدوءاً في مقابل النعم والآلاء أو اضطراباً أو قلقاً في مقابل النعم والبلاء، إلا الجاهلين بمقام عزة الربوبية والخواوية جعبيهم من أسرار حزمه وحرمة؛ وهي لا تطرأ على العارفين بك وبجلالك الأقدس وجمالك المقدس، والمؤمنين بإرادتك القاهرة ومشييتك الظاهرة!).

٤- إلهي! مني ما يليق بلومي؛ ومنك ما يليق بكرمك!

(لأني لا شيء، وفقير وحادث وعاجز وجاهل؛ كل تلك العلامات السوداء والبقع الداكنة الناشئة ماهيتي البائسة هي مما يناسبني تماماً ويليق بي؛ وأما أنت، فأنت الوجود المطلق والغني بالذات والقديم بالأصالة والقادر والعالم؛ ولا تدل هذه الصفات إلا ازدياد مرتبة الشرف والفضيلة والكرامة والمجد والعظمة).

٥- إلهي! وَصَفْتَ نَفْسَكَ بِاللُّطْفِ وَالرَّأْفَةِ بِي قَبْلَ وُجُودِ ضَعْفِي؛

أَفْتَمَعْنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي؟!

(وذلك لأن الصفيتين اللتين ذكرتهما أنت في القرآن الكريم: اللطف والرأفة، ليستا مختصتين بالضعف أو غيره في عبادك).

٦- إلهي! إِنْ ظَهَرْتَ الْمَحَاسِنُ مِنِّي، فَبِفَضْلِكَ وَلَكَ الْمِنَّةُ عَلَيَّ؛ وَإِنْ

ظَهَرْتَ الْمَسَاوِيءُ مِنِّي، فَبِعِدْلِكَ وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ!

(وذلك لأن حسناتي وفضائلي إنما هي جميعاً موهوبة لي لا عن استحقاق ذاتي، بل بفضل منك ورحمة، بعيداً عن المادة الأولية. وأما سيئاتي ومساوئي فلم تكن من عندك، لأن النقص والعيب لا يعتريانك (أبداً)، ولا يصدر عنك ظلم أو جور؛ وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ! لِأَنَّكَ الْمَلِكُ وَالْمَالِكُ؛ تَأْتِي بِمَا تَشَاءُ فِي حُوزَةِ مَلِكِكَ وَسُلْطَانِكَ؛ وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ! فلو بدرت متي المساوئ أو ظهر شيء منها فهي متي، واستناداً إلى قانون العقوبات الخاص بالعبودية فإن تعزيرك وتأديبك لي ومعاقبتي لا يكون إلا من جهة عدلك؛ ولو ظهرت متي محاسن أو فضائل فهي لم تكن لتظهر لولا فضلك عليّ ومشيتك في زيادة خيري والمَنّ عليّ برحمتك وفضلك. وعلى هذا، ففضلك قائم وفضلك سابق!).

٧- إلهي! كَيْفَ تَكِلْنِي وَقَدْ تَوَكَّلْتُ بِي؟! (بايصال المنافع إليّ وودفع

المضارّ عني والتحرّك في مراحل الاستعداد في كلّ حال) وَكَيْفَ أَضَامُ وَأَنْتَ النَّصِيرُ لِي؟! أَمْ كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ الْحَفِيُّ بِي؟!

هَذَا أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِفَقْرِي إِلَيْكَ! وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ؟! (لأن كلّ ما هو موجود من مثلك وملكوت يزرع تحت

أمرك؛ لا فوق أمرك ولا مساوياً له) أَمْ كَيْفَ أَشْكُوا إِلَيْكَ حَالِي وَهَيَّي لِي لَا تَخْفِي عَلَيَّ؟! أَمْ كَيْفَ أُتْرَجِمُ لَكَ بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ إِلَيْكَ؟! أَمْ

كَيْفَ تَخِيبُ آمَالِي وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ؟! أَمْ كَيْفَ لَا تَحْسُنُ أَحْوَالِي

وَبِكَ قَامَتْ وَإِلَيْكَ!؟

٨- إلهي! مَا لَطَفَكَ بِي مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي! وَمَا أَرْحَمَكَ بِي مَعَ قَبِيحِ

فِعْلِي!

(إنَّ لَطْفَكَ بَدَأَ مِنْ لِحْظَةِ جَهْلِي بِقِيَمَتِكَ وَقَدَّرَكَ ، فَأَرْشَدْتَنِي ، وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْجَهْلِ وَالْفِتَنِ حَرَّرْتَنِي ! وَإِنَّ رَحِمَتَكَ بَدَأَتْ سَاعَةَ اجْتِرَاحِي لِلْسَيِّئَاتِ وَالْمَعَاصِي ، فَكُنْتُ حَلِيمًا وَكَرِيمًا «مَعِي» فِي حِينٍ لَا يَبْدُرُ مِنِّي إِلَّا التَّقْصِيرُ فِي أَدَاءِ وَاجِبَاتِي !)

٩- إلهي! مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي ، وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ !

(إنَّ تَقَرُّبَكَ إِلَيَّ نَاجِمٌ عَنْ أَصْلِ وَجُودِكَ وَذَاتِكَ الْمَقْدَسَةِ وَقَدَّرْتِكَ وَعِلْمَكَ وَمَشِيَّتَكَ وَإِرَادَتَكَ وَسَيِّطَرَتِكَ وَهَيْمَتَكَ ، الَّتِي لَا تُوصَفُ ؛ وَمَا ابْتِعَادِي مِنْكَ وَبُعْدِي عَنْكَ إِلَّا نَتِيجَةُ ظُلْمَةِ مَاهِيَةِ الْإِمْكَانِ وَالْبُؤْسِ الشَّاسِعِ بَيْنَ عِبُودِيَّتِي وَرَبُوبِيَّتِكَ !)

١٠- إلهي! مَا أَرْأَفَكَ بِي فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ!؟

(إنَّ مَظَاهِرَ عَالَمِ الْكُونِ جَمِيعًا هِيَ دَلَائِلُ وَشَوَاهِدٌ عَلَى رَأْفَتِكَ ؛ وَيَتَوَجَّبُ عَلَيَّ أَنْ أَرَاكَ وَأَشَاهِدَكَ فِي جَمِيعِ تِلْكَ الْمَظَاهِرِ ! فَمَا السَّبَبُ إِذْنِ وَرَاءَ احْتِجَابِ قَلْبِي (وَبصِيرَتِي) عَنْ شَرَفِ التَّقَرُّبِ إِلَيْكَ ، وَالْكَرَامَةِ وَالْفُضِيلَةِ فِي رُؤْيَتِكَ وَمَشَاهِدَتِكَ!؟)

١١- إلهي! قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الْآثَارِ وَتَنَقُّلِ الْأَطْوَارِ أَنْ مُرَادَكَ

مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ!

نعم؛ لِأَنَّ جَمِيعَ مَوْجُودَاتِ الْعَالَمِ سِوَى اللَّهِ ، مَرْتَبُطَةٌ بِظُهُورِهِ ، فَهُوَ ظَاهِرٌ فِيهَا بِالذَّاتِ أَوَّلًا ، وَبِالْعَرَضِ وَظُهُورِ الْإِتِّبَةِ وَالْمَاهِيَةِ عِنْدَهَا ثَانِيًا .

در هر چه بنگرم تو پدیدار بوده‌ای
ای نانموده رخ تو چه بسیار بوده‌ای^۱

* * *

یار بی‌پرده از در و دیوار
در تجلی است یا اولی الأبصار
شمع جوئی و آفتاب بلند
روز بس روشن و تو در شب‌تار
گر ز ظلمات خود رهی ، بینی
همه عالم مشارق الأنوار
کور و ش قائد و عصا طلبی
بهر این راه روشن و هموار
چشم بگشا به گلستان و بین
جلوه آب صاف در گل و خار^۲

۱- يقول: «ما نظرتُ إلى شيءٍ إلا وصورتك فيه ، يا ساتراً وجهك ، كم كنتَ تبدو

كثيراً»

۲- يقول: «إنَّ الحبيبَ مُتَجَلِّ من وراء الباب والجدار، (فافهموا) يا أولي الأبصار. أتَبَحُّثُ عن الشمعة وهذي الشمس مشرقة (في كبد السماء)؟، وهو ذا النهار مُضِيءٌ

وَأَنْتَ تَرُوحُ في ليل مُدَلِّهَمٌ.

إذا أَنْتَ تَخَلَّصْتَ من ظُلماتِ نَفْسِكَ، سَتَرِي العالَمَ كُلَّهُ مشارقَ للأَنْوارِ.

أَتَطَلَّبُ من أَعْمَى أن يَقُودَكَ وتَطَلَّبُ عَصَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهَا في هذا الطَّرِيقِ الواضِحِ

وَالْمُهَيَّبِ؟

افتح عينيك وانظر إلى البستان، وإلى الماء الرقاق وهو يتخلل الطين والأشواك،

زآب بی رنگ صد هزاران رنگ
 لاله و گل نگر در آن گلزار
 پا به راه طلب نه از ره عشق
 بهر این راه توشه‌ای بردار
 شود آسان ز عشق کاری چند
 که بود نزد عقل بس دشوار
 یار گو بالغدوّ و الأصال
 یار جو بالعشّي و الإبکار
 صد رهت لن ترانی ار گوید
 باز می‌دار دیده بر دیدار
 تا به جائی رسی که می‌نرسد
 پای اوهام و پایه افکار^۱

۱- يقول:

«انظر إلى الآلاف المؤلّفة من الألوان الزاهية للزهور والورود في (هذه) الروضة (العنّاء)

فكلّها من صنع ذلك الماء العديم اللون.

ابداً في طلب المدينة عن طريق العشق، واحمِلْ معك زاداً ومؤونة للسير في هذا

الطريق.

وربّت أعمال كثيرة تسهل بالعشق، ويصعب على العقل فهمها أو إدراكها.

الهج باسم الحبيب بالغدوّ والأصال، وبحث عنه بالعشّي والإبكار.

ولو قال لك (الحبيب) لن تراني، مائة مرّة، (فلا تيأس) واستمرّ بمسيرك نحوه

(ولا تُضَيِّع هدفك) وارتقت اللقاء (والوصول).

حتّى تصل إلى مكان حيث لا وجود للأوهام أو الأفكار.

بار يابى به محفلى كأنجا
 جبرئيل امين ندارد بار
 ايمن ره ، آن زادِ راه ، آن منزل
 مرد راهى اگربيا و بيار
 ورنه‌اى مرد راه چون دگران
 يار مى‌گوى و پشت سر مى‌خار
 هاتف ارباب معرفت كه گهى
 مست خوانندشان و گه هشيار
 از مى و بزم و ساقى و مطرب
 وز مُغ و دير و شاهد و زُنار
 قصد ايشان نهفته اسرارى است
 كه به ايما كنند گاه اظهار^۱

۱- يقول: «فستحصل في محفل هناك على زادٍ لم يُقدَّر لجبرئيل الحصول عليه. فهو ذا الطريق ، وهو ذا زاد الطريق ، وذلك هو المنزل (والمقام)، فلو كنت رجلاً تُريد خوض الغمار تعال إذن وهات ما عندك. وإذا لم تكن رجلاً كما هو مع الرجال (الذين عجزوا عن ذلك)، فردد إذن عبارة «يا حبيب يا حبيب!» و«حُكْ خلف أذنك (بِطَرًا)». يا «هاتف!» إن أرباب المعرفة وأساطينها الذين تحسبهم أحياناً سُكاري وأحياناً أُخرى تظنهم صحاة. إنَّما ذلك بفعل الخمر وسُقَاتها والمجون والمطربين والرهبان والدير والشاهد والوَنار. إن في ثنايا عملهم هذا تكتم أسراراً، يُظهِرونها أحياناً من خلال الإيماءات (والإشارات)».

پی بری گربه رازشان دانی

که همین است سرّ آن اسرار

که یکی هست و هیچ نیست جز او

وَخُدَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

١٢- إلهي! كَلِّمًا أَخْرَسَنِي لَوْمِي، أَنْطَقَنِي كَرْمِكَ! وَكَلِّمًا أَيَّاسْتَنِي

أَوْصَافِي، أَطْبَعْتَنِي مِنْكَ!

١٣- إلهي! مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِيًّا، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ مَسَاوِيًّا

مَسَاوِيًّا؟! وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِيًّا، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيًّا دَعَاوِيًّا؟!!

(لأنّ العيوب والنقصان والزلل وغير ذلك تتخلل محاسنه، ولهذا فإنّ

معاد تلك المساوي إنّما يكون إلى القبح؛ فكيف إذا ما تطرّقنا إلى قبائحه

ومساوئه التي يكون فيها القبح أصلاً لها ومادّة تتكوّن منها؟! وإذا ما تأملت

حقائق كلامه وسلوكه لرأيت أنّ محاسنه قد امتزجت مع ادّعاءاته الكاذبة

والباطلة؛ فكيف إذا تطرّقنا إلى ادّعاءاته التي هي باطلة وكاذبة من

الأساس!؟).

١٤- إلهي! حُكْمُكَ النَّافِذُ، وَمَشِيَّتُكَ الْقَاهِرَةُ، لَمْ يَتْرُكَا لِي مَقَالٍ

مَقَالًا، وَلَا لِي حَالٍ حَالًا!

(لأنّ كلّ صاحب حديث وكلام مهما كان حديثه جميلاً وكلامه

ممتعاً، وكلّ صاحب حال مهما كان في يسر ورخاء، قد يتحوّل كلّ ما لديه

فجأةً إلى عدم وخراب وذلك على أساس الحكم النافذ للحقّ تعالى ومشيئته

١- يقول: «ستعلم إن أنت كشفت سرّهم، أنّ هذا هو سرّ الأسرار.

وحدود واحد ولا شيء غيره، وَخُدَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ».

ديوان «السيد أحمد هاتف الإصفهاني» البند الأخير من ترجيع بنده.

الغالبية).

١٥- إلهي! كم من طاعة بنتتها، وحالة شيدتها، هدم اعتمادي عليها

عدلك! بل أقالني منها فضلك!

وذلك لأن صفة العدل (التي تمتلكها) لم تترك لي طاعة أو حالة

يمكنني الاتكاء والاعتماد عليها، لكن اتصافك بالفضل هو أمني وكل ما

بقي لي؛ وها هي ذي يدي فارغة إلا من النظر إلى فضلك الزائد ورحمتك

الواسعة، إذ لم يبق لي شيء غيرهما).

١٦- إلهي! إنك تعلم: وإن لم تدم الطاعة مني فإعلا جزماً، فقد

دامت محبة وعزماً!

١٧- إلهي! كيف أعزم وأنت الفاهر؟! وكيف لا أعزم وأنت الأمر؟! (لأنني عرفتُ الله بنقض العزائم. وأن ما يعترني الحالات من تبديل

وتبدل إنما هما من الأمور العجيبة والمدهشة ومن الأسرار الغامضة الرائعة

التي لا يمكن لأحد غير الذات المقدسة للحق تعالى الوصول إليها والعلم

بها).

١٨- إلهي! ترددي إليك في الآثار، يوجب بُعد المزار؛ فاجمعي

عليك بخدمة توصلني إليك!

١٩- إلهي! كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك - إلى

آخره.

٢٠- إلهي! عميت عين لا تراك عليها قريباً قريباً - إلى آخره.

(وقد مر تفسير هاتين الفقرتين).

٢١- إلهي! أمرت بالرجوع إلى الآثار، فأرجعي إليها بكسوة الأنوار

وهداية الاستنصار، حتى أرجع إليك منها كما دخلت إليك منها مصون

السّر عن النظر إليها، ومرفوع الهمة عن الاعتماد عليها؛ إنك على كل

شهره (١٠)

٢٢- إلهي! هَذَا ذُلِّي ظَاهِرٌ بَيْنَ يَدَيْكَ! وَهَذَا حَالِي لَا يَخْفَى عَلَيْكَ! مِنْكَ أَطْلُبُ الْوُصُولَ إِلَيْكَ! وَبِكَ أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ! فَاهْدِنِي بِنُورِكَ إِلَيْكَ! وَأَقِمْنِي بِصَدَقِ الْعُبُودِيَّةِ بَيْنَ يَدَيْكَ!

(لأنه ثبت لدي وأصبح مشهوداً أن لا مؤثّر غير (على الإطلاق)، وأن جميع الأسباب محكومة بحكمك وتابعة لاختيارك وانتخابك ومشيتك. ولذا، فأنت وحدك يمكنك أن تفتح لي طريق الوصول إلى حرم عزتك (وحریم قدسك) ! وهذه الآثار هي ظهوراتك، وأنت الظاهر من خلالها، فأطلب منك يا مَنْ تُمثّل تلك الظهورات أن توصلني إلى الظهورات التي هي وجودك المقدّس ! وخلصني من دعاوي بقدّم الصدق النافية للدعاوى الباطلة، وأقميني في عالم التحقق والواقعية بكلّ معنى الكلمة).

٢٣- إلهي! عَلَّمَنِي مِنْ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَصُنِّي بِسِرِّ اسْمِكَ الْمَصُونِ!

(فقد خصصت بذلك العلم المخزون أولياءك الموثوق بهم من قبلك المتوكّلين عليك. وحفظت بذلك الاسم الخاصّ كلّ محبّ صادق وحبیب مخلص وصنّته من كيد الأعداء كالشيطان والنفس الأمّارة بالسوء، وأكتنفته بقدرتك وعزّتك ! أسألك (إلهي) أن تُلحِقني بهم).

٢٤- إلهي! حَقَّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ الْقُرْبِ، وَاسْلُكْ بِي مَسَالِكَ أَهْلِ الْجَذْبِ!

(إنّ الذين وقفوا على بساط الاضطرار لمواجهة الافتقار، يتوسّلون بك على الدوام وهم بك متمسّكون وبحبلك معتصمون، لأنّهم وجدوا طريقهم إلى معرفتك !).

٢٥- إلهي! أَغْنِنِي بِتَدْبِيرِكَ عَنْ تَدْبِيرِي! وَبِاخْتِيَارِكَ عَنْ اخْتِيَارِي!

وَأَوْقِنِي عَلَى مَرَائِزِ اضْطِرَارِي !

(حتى لا أشكو حالي ! ولا أكشف سري بكلامي ! وأجعل منك شاهداً عليّ (في كل الأحوال) ورقيباً (على أعمالي وأورادي) ، وصاحب الإرادة والاختيار . وأن أكون يقظاً في مواقع الضعف والحاجة حتى لا أجزؤ ، لا سمح الله ، على نسبة الصفات الربوبية ، التي هي من حَقِّكَ أنت ، إلى نفسي وأنا عبدك المحتاج من رأسي إلى أخصم قدمي !).

٢٦- إلهي ! أَخْرِجْنِي مِنْ ذُلِّ نَفْسِي ! وَطَهِّرْنِي مِنْ شَكِّي وَشُرْكِي قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي ! بِكَ أَسْتَنْصِرُ فَاَنْصُرْنِي ، وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ فَلَا تَكِلْنِي ، وَلِجَنَابِكَ أَنْتَسِبُ فَلَا تُبْعِدْنِي عَنْكَ ، وَبِبَابِكَ أَقِفْ فَلَا تَطْرُدْنِي ، وَإِيَّاكَ أَسْأَلُ فَلَا تُخَيِّبْنِي !

٢٧- إلهي ! تَقَدَّسَ رِضَاكَ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ ، فَكَيْفَ تَكُونُ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي ! أَنْتَ الْغَنِيُّ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ النَّفْعُ مِنْكَ ، فَكَيْفَ لَا تَكُونُ غَنِيًّا عَنِّي !؟

٢٨- إلهي ! إِنَّ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ غَلَبْنِي ! وَإِنَّ الْهَوَى بِوَثَاقِ الشَّهْوَةِ أَسْرَنِي ! فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرَ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي فِي نَفْسِي وَتَنْصُرَ بِي ! وَأَعْنِنِي بِجُودِكَ حَتَّى أَسْتَغْنِيَ بِكَ عَنْ طَلْبِي !
أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقَتْ الْأَنْوَارُ فِي قُلُوبِ أَوْلِيَائِكَ ! وَأَنْتَ الَّذِي أَزَلْتَ الْأَغْيَارَ مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ !

أَنْتَ الْمُؤْنِسُ لَهُمْ حَيْثُ أَوْحَشَتْهُمُ الْعَوَالِمُ ؛ وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ حَيْثُ اسْتَبَانَتْ لَهُمُ الْمَعَالِمُ !

مَاذَا وَجَدَ مَنْ فَقَدَكَ ؟! وَمَا الَّذِي فَقَدَ مَنْ وَجَدَكَ ؟!

لَقَدْ خَابَ مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا ! وَلَقَدْ خَسِرَ مَنْ بَغَى عَنْكَ مُتَحَوِّلاً !

٢٩- إلهي ! كَيْفَ يُرْجَى سِوَاكَ وَأَنْتَ الَّذِي مَا قَطَعْتَ الْإِحْسَانَ !؟

وَكَيْفَ يُطَلَّبُ مِنْ غَيْرِكَ وَأَنْتَ مَا بَدَّلْتَ عَادَةَ الْاِمْتِنَانِ؟!
 يَا مَنْ أَذَاقَ أَحْبَابَهُ حَلَاوَةَ مُوَأْنَسْتِهِ ، فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مُتَمَلِّقِينَ !
 وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلَابِسَ هَيْبَتِهِ ، فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ مُسْتَعِزِّينَ !
 أَنْتَ الذَّاكِرُ مِنْ قَبْلِ ذِكْرِ الذَّاكِرِينَ ! وَأَنْتَ الْبَادِيُّ بِالْإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ
 تَوَجُّهِ الْعَابِدِينَ ! وَأَنْتَ الْجَوَادُ بِالْعَطَايَا مِنْ قَبْلِ طَلَبِ الطَّالِبِينَ ! وَأَنْتَ
 الْوَهَّابُ ثُمَّ أَنْتَ لِمَا وَهَبْنَا مِنَ الْمُسْتَقْرِضِينَ !
 ٣٠- إِلَهِي ! اظْلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ ! وَاجْذُبْنِي بِمِثَّتِكَ
 حَتَّى أُقْبَلَ عَلَيْكَ !

٣١- إِلَهِي ! إِنْ رَجَائِي لَا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَإِنْ عَصِيئَتِكَ ؛ كَمَا أَنَّ خَوْفِي
 لَا يُزَايِلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ !
 ٣٢- إِلَهِي ! قَدْ دَفَعْتَنِي الْعَوَالِمُ إِلَيْكَ ؛ وَأَوْقَفَنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ
 عَلَيْكَ !

٣٣- [إِلَهِي !] كَيْفَ أَخِيبُ وَأَنْتَ أَمَلِي؟! أَمْ كَيْفَ أَهَانُ وَعَلَيْكَ
 مُتَّكِلِي؟!

٣٤- إِلَهِي ! كَيْفَ أَسْتَعِزُّ وَفِي الدَّلَّةِ أَرْكَزْتَنِي؟! أَمْ كَيْفَ لَا أَسْتَعِزُّ
 وَإِلَيْكَ نَسَبْتَنِي؟!

٣٥- إِلَهِي ! كَيْفَ لَا أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي فِي الْفَقْرِ أَقَمْتَنِي؟! أَمْ كَيْفَ
 أَفْتَقِرُ وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَعْنَيْتَنِي؟!

أَنْتَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُكَ ! تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ فَمَا جَهَلَكُ شَيْءٌ !
 وَتَعَرَّفْتَ إِلَيَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ فَرَأَيْتَكَ ظَاهِرًا فِي كُلِّ شَيْءٍ ! فَأَنْتَ الظَّاهِرُ لِكُلِّ
 شَيْءٍ !

يَا مَنْ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ عَلَى عَرْشِهِ فَصَارَ الْعَرْشُ غَيْبًا فِي
 رَحْمَانِيَّتِكَ [رَحْمَانِيَّتِهِ] ؛ كَمَا صَارَتِ الْعَوَالِمُ غَيْبًا فِي عَرْشِهِ !

مَحَّتْ الأَثَارَ بِالأَثَارِ! وَمَحَوَّتِ الأَغْيَارَ بِمُحِيطَاتِ أَفلاكِ الأَنْوَارِ!
 يَا مَنْ احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الأَبْصَارُ!
 يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ الأَسْرَارُ!
 كَيْفَ تَخْفَى وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؟! أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ
 الحَاضِرُ؟!^١

نعم ، إنَّ هذا الدعاء لا يمكن أن نجده في كتب أدعية الشيعة إلا في النسخ المطبوعة لكتاب «الإقبال» للسيد ابن طاووس رضوان الله عليه ، وفي كتاب آخر ، هو «مفاتيح الجنان» للمحدث المعاصر المرحوم الحاج الشيخ عباس القمي رحمة الله عليه ، حيث نسباه إلى سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه أفضل الصلوات في تتمة دعاء يوم عرفة وذيله .

«ومحصل الكلام أنه وطبقاً لرواية الكفعمي في حاشية كتاب «البلد الأمين» فإن السيد حسيب (نسيب رضي الدين علي بن طاووس قدس الله روحه) قال في كتاب «مصباح الزائر» ما قوله :

روى بشر وبشير (ابنا غالب الأسدي) أن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام خرج من خيمته عصر يوم عرفة في عرفات في خضوع وخشوع وسار بهدوء حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وأولاده

١- «الحكم العطائية ، والمناجات الإلهية» والذي يجيء بعده كذلك «الحكم العطائية الصغرى» طبعة المكتبة العربية بدمشق، أحمد عبّيد، الطبعة الثانية (١ رجب سنة ١٣٩٤ هـ) ص ٨٠ إلى ٩٠؛ ولكننا انتقينا نصّ العبارات تلك من «شرح حكم ابن عطاء الله» تأليف الشيخ أحمد زروق (والذي طُبع بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن شريف في مكتبة النجاح- طرابلس الغرب، الأستاذ محمد نور الدين بربون) من ص ٤٤٨ إلى ٤٧٣ . وكما يظهر من مقدّمة هذين المحقّقين على الكتاب، أنّ الشيخ زروق (أحمد بن أحمد بن محمد) كان من فاس (المغرب).

وغلمانه عند الجانب الأيسر لجبل عرفات [جبل الرحمة] مولين وجوههم
 شرط البيت الحرام . ثم رفع يديه أمام وجهه كالمسكين الذي يطلب الطعام
 وبدأ بقراءة هذا الدعاء : **الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ** - إلى آخر
 الدعاء والذي آخره **يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ** ، وليس في آخره العبارات **إِلَهِي !**
أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ - إلى آخره . (كان هذا ما ورد في حاشية «البلد الأمين»
 [والتوضيح الأخير هو لنا] .

ثم روى السيد ابن طاووس رواية بشر وبشير اللذين كانا من قبيلة
 «بني أسد» في كتاب «مصباح الزائر» في الكلام عن يوم عرفة بنفس الشكل
 الذي أوردناه نحن في حاشية «البلد الأمين» ، ثم روى هذه الرواية حسب
 مضمون «البلد الأمين»^١ .

كان ذلك هو كلام المجلسي رحمه الله في «بحار الأنوار» . ثم ذكر عدّة
 أدعية أُخرى عن السيد ابن طاووس في يوم عرفة ثم قال : وقال السيد :
 ومن الدعوات المشرفة في يوم عرفة ، دعاء مولانا الحسين بن عليّ
 صلوات الله عليه وهو :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِقَضَائِهِ دَافِعٌ وَلَا لِعَطَائِهِ مَانِعٌ .

وهنا ينقل ابن طاووس هذا الدعاء المفصل عنه (الإمام الحسين عليه
 السلام) مع هذه الإضافة :

إِلَهِي ! أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي - حَتَّى
 يختم الدعاء بالعبارة :

١- «بحار الأنوار» ج ٢٠ ، ص ٢٨٢ ، باب أعمال خصوص يوم عرفة وليلتها وأدعيتها
 زائداً على ما مرّ في طي الباب السابق ، طبعة الكمباني ؛ وفي الطبعة الإسلامية : ج ٩٨ ،
 ص ٢١٤ .

أَمْ كَيْفَ تَغِيبُ وَأَنْتَ الرَّقِيبُ الْحَاضِرُ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ - انتهى كلامه .

ثم يقول المجلسي رحمة الله عليه : قد أورد الكفعمي رحمة الله عليه أيضاً هذا الدعاء في «البلد الأمين» وابن طاووس في «مصباح الزائر» كما سبق ذكرهما ، ولكن ليس في آخره فيهما بقدر ورقة تقريباً وهو من قوله : إلهي ! أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ إِلَى آخِرِ هَذَا الدُّعَاءِ .

وكذا لم توجد هذه الورقة في بعض النسخ العتيقة من «الإقبال» أيضاً ، وعبارات هذه الورقة لا تلائم سياق أدعية السادة المعصومين أيضاً ، وإنما هي على وفق مذاق الصوفية . ولذلك قد مال بعض الأفاضل إلى كون هذه الورقة من مزيادات بعض مشايخ الصوفية ومن إلحاقاته وإدخالاته .

وبالجملة ، هذه الزيادة إما وقعت من بعضهم أولاً في بعض الكتب ، وأخذ ابن طاووس عنه في «الإقبال» غفلةً عن حقيقة الحال ؛ أو وقعت ثانياً من بعضهم في نفس كتاب «الإقبال» ؛ ولعلّ الثاني أظهر على ما أوأنا إليه من عدم وجدانها في بعض النسخ العتيقة وفي «مصباح الزائر» ، والله أعلم بحقيقة الأحوال .^١

وأما المرحوم المحدّث القميّ ، فقد ذكر بعد نقل هذا الدعاء إلى (يَا رَبِّ يَا رَبِّ يَا رَبِّ) ، أنّ الإمام كان يكثر من قول يَا رَبِّ ، وأما الذين كانوا يستمعون إلى الدعاء ، من الذين اجتمعوا من حوله ، كانوا يكتفون بقول آمين .

ثم علت أصوات بكائهم مع الإمام عليه السلام حتّى غروب الشمس ،

١- «بحار الأنوار» ج ٢٠ ، ص ٢٨٧ ، الطبعة القديمة (الكمباني)؛ وفي طبعة المكتبة

الإسلامية: ج ٩٨ ، ص ٢٢٧ و ٢٢٨ .

ثم حزموا أمتعتهم باتجاه المشعر الحرام .

يقول المؤلف (المحدث القمّي) إنّ الكفعميّ نقل دعاء عرفة للإمام الحسين عليه السلام في كتاب «البلد الأمين» إلى هذه الفقرة^١ ، وأورد العلامة المجلسيّ في «زاد المعاد»^٢ هذا الدعاء الشريف كما في رواية الكفعميّ ، إلا أنّ السيّد ابن طاووس في كتابه «الإقبال» قد زاد على الدعاء المذكور بعد يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبُّ قائلاً: إِلَهِي ! أَنَا الْفَقِيرُ فِي غِنَايَ .

وقد نقل جميع تلك الفقرات بالتفصيل وزاد عليها في آخرها عبارة
 إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.^٣

نعم ، فإنّ هذه المناجاة والحكم المنقولة عن ابن عطاء الله هي في الحقيقة من تأليفه هو ، وإسنادها إلى سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام غير صحيح .

كيفية يتسنى للمرحوم السيّد ابن طاووس ، وهو المتوفّي في ٥ ذي القعدة سنة ٦٦٤ هـ^٤ أن يتصوّر أنّ هذه الفقرات من ابن عطاء الله ، وهو

١- «البلد الأمين» للشيخ إبراهيم الكفعميّ ، ص ٢٥١ إلى ٢٥٨ ، منشورات مكتبة الصدوق- طهران.

٢- «زاد المعاد» للعلامة الملام محمد باقر المجلسيّ الثاني رحمه الله ، ص ٩١ إلى ٩٦ ، طبعة قديمة جداً بقلم أحمد التبريزيّ ؛ وطبعة المرحوم الحاجّ الشيخ فضل الله النوري رحمه الله ، بقلم مصطفى النجم آبادي : ص ٢٠٩ إلى ٢٢٢ .

٣- «الإقبال» ص ٣٣٩ إلى ٣٥٠ ، الطبعة الحجرية ؛ «مفاتيح الجنان» ص ٢٧١ ، طبعة الإسلاميّة ، سنة ١٣٧٩ هـ.

٤- «طبقات أعلام الشيعة» الأنوار الساطعة في المائة السابعة (القرن السابع) تأليف سماحة العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني ، ج ٧ ، ص ١١٧ ، دار الكتب العربيّة-بيروت ، عند ذكر أخبار عليّ بن موسى بن طاووس .

المتوفى في جمادى الآخرة سنة ١٧٠٩، وينسبها إلى الإمام عليه السلام؟ فالفاصل الزمني بين وفاة هذين الشخصين هو ٤٤ سنة وسبعة أشهر، وبذلك يكون السيد خلال هذه المدة، والتي تقرب من نصف قرن، قد توفي قبل تأليف هذه الأدعية، وعلى هذا، يمكن الجزم، بأن إلحاق هذه الفقرات بدعاء الإمام في يوم عرفة في كتاب (الإقبال)، قد تحقق بعد رحيل السيد. وعليه، فإن الاحتمال الثاني للعلامة المجلسي رحمه الله سيكون يقيناً، وأما الاحتمال الأول الذي يقول فيه: ربّما يكون قد ورد في كتب البعض، ثم قام ابن طاووس بنقل ذلك بدون دراية، فهو غير صحيح.

كلّا، وحاشا أن يكون السيد وهو الذي يمتلك تلك العظمة والمنزلة، قد اقتبس هذا الكلام من كتاب عارف، وألحقه في آخر دعاء الإمام، ثمّ نسبه إلى الإمام.

والدليل على ذلك، عدم ذكر السيد له في كتاب «مصباح الزاهر»، وعدم ورود ذلك في المخطوطات القديمة من كتاب «الإقبال»، أي أن هذه النسخ كانت موجودة في حياة السيد، ونُسبت إليه بعد وفاته، إلا أن المجلسي، ولعدم علمه بكتاب «الحكم العطائية»، ولا بمؤلفه، أو زمان تأليفه، قد أخطأ في إسناده هذا. وأما خطأ المحدث القمي، وهو الخبير في فنّ البحث والتأليف، فهو أنّه، وبعد أن رأى كلام العلامة المجلسي رحمه الله القائل: لم نعثر على هذه الفقرات من الدعاء في النسخ القديمة من كتاب «الإقبال»، قال في «مفاتيح الجنان»: ولكن ذكر السيد ابن طاووس في «الإقبال» بعد كلمة يا رَبِّ يا رَبِّ يا رَبِّ هذه الزيادة؟

١- «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة كاتب الجليبي: ج ١،

ص ٦٧٥، العمود الأيمن؛ ومقدمة «شرح الحكم العطائية» ص ١٣.

ذلك أنّ هذه العبارة ، تؤكّد إسناد هذا الدعاء إلى السيّد ابن طاووس ، وكان عليه أن يقول : وقد شوهدت هذه الإضافة في بعض نسخ كتاب «الإقبال» .

وحصيلة الكلام ، أنّ هذا الدعاء جيّد المضامين ، ولطيف المعاني ، وقراءته في كلّ وقت وحين مفيدة ونافعة . إلاّ أنّه لا يجوز إسناده إلى سيّد الشهداء عليه السلام . **وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْلَىٰ وَأَخْرَأَ ، وَظَاهِرًا وَبَاطِنًا .**

نعم ، فإنّ العرفاء الأفاضل يعبّرون عن التجلّي الذاتي المقرون بالجمال ، بالطلعة البهية للمعشوق والمحبوب ، أو إماطة الستار عن المحيّا ، أو بإظهار الوجه .

وفي ذلك يقول الخواجة شمس الدين محمّد حافظ الشيرازي أعلى الله رتبته :

ساقى بياكه يار ز رخ پرده بر گرفت
 كار چراغ خلوتيان باز در گرفت
 آن شمع سر گرفته دگر چهره بر فروخت
 وين پير سالخورده جوانى ز سر گرفت
 آن عشوه داد عشق كه مفتى ز ره برفت
 وآن لطف كرد دوست كه دشمن حذر گرفت^١

١- يقول : «هلمّ يا ساق وأسقنا فقد أزال الحبيب الحجاب وبان ، وأضاء قرط جماله وحُسنه سراج خلوة العشاق .

وإزداد شمع محيّا الحبيب المشتعل ضياءً ونوراً وأضحى هذا الشيخ العجوز شاباً يافعاً من جديد .

وقد غمز العشق غمزة وأغرى إغراءً بحيث وقع قاضي الشرع كذلك في شبابه واحتار في المحبوب ، وأغدق الحبيب علينا من حبّه حتّى هجرنا الأعداء وفارقونا .

بار غمی که خاطر ما خسته کرده بود
 عیسی دمی خدا بفرستاد و بر گرفت
 زنهار از آن عبارت شیرین دلفریب
 گوئی که پسته تو سخن در شکر گرفت
 هر سرو قد که بر مه و خور، حسن می فروخت
 چون تو درآمدی پی کار دگر گرفت
 زین قصه هفت گنبد افلاک پر صداست
 کوتاه نظر ببین که سخن مختصر گرفت
حافظ تو این سخن ز که آموختی که یار
 تعویذ کرد شعر تُرا و به بر گرفت^۱
 ويجب القول، إنه كلما تقرب العبد إلى الله عز وجل، زالت الحجب

۱- يقول: «إِنَّ الله سبحانه أرسل أنفارا مُستعدّين للتضحية بأنفسهم كعيسى ابن مريم عليهما السلام، لكي يُزيل عنّا إصر الهجر والفراق الذي أثقل كاهلنا ولوّع قلوبنا، ويُخلصنا من الغمّ.
 فاحذر العبارات الرنّانة والكلام المعسول الخادع، كأنّ ثغره فُستقّة ضاحكة معجونة بالسكّر.

إنّ كلّ مَنْ اعتاد على الدلال والاعتزاز بقامته وقوامه في مقابل القمر والشمس، جلس جانباً وكسدت بضاعته وامتهن مهنة أُخرى بعد أن خرجت أنت علينا وبدا جمالك وحُسنك .
 لقد دوى صوت العشق وملاً صده أركان السماوات السبع، فانظر إلى السفیه القليل العقل الذي اعتبر هذه القصّة حكاية عابرة لا أهميّة لها.
 يا **حافظ** ! مَنْ ذا الذي علّمك هذا النمط من الحديث السماويّ والشّعْر الرّاقِي، اللذان حرزا محبوبك وحفظا معشوقك فطفق يحملهما معه كالتميمة؟».

«ديوان حافظ» ص ۱۱۹، الغزليّة رقم ۸۶، طبعة منشورات صفی عيشاه، سنة ۱۳۷۶ شمسيّة (۱۹۹۷م).

النفساتية . إنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ ، يَعْنِي حَالَةَ كَشْفِ الْحِجَابِ ، أَي الْقِيَامِ بِعَمَلٍ يَنْتَهِي بِرَفْعِ الْحِجَابِ .

علينا أداء كلِّ العبادات بنيتة التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ ، وَإِلَّا ، فَإِنَّ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ تَكُونُ بَاطِلَةً ، وَلَا قِيَمَةَ لَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ عَظِيمَةً .

إنَّ التَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ ، لَيْسَ الْمَقْصُودُ بِهِ تَقَرُّبًا مَكَانِيًّا أَوْ زَمَانِيًّا أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ ، لِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا مَكَانَ مَحْدَدَ لَهُ حَتَّى يَتَقَرَّبَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ . وَلَا هُوَ وَاقِعٌ فِي زَمَانٍ مَعْيَنٍ حَتَّى يَقْتَرِبَ الْإِنْسَانُ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ ، إِنَّ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ وَسَائِرَ الْعَوَارِضِ وَالْجَوَاهِرِ ، مَخْلُوقَاتِ اللَّهِ ، وَفِي قَبْضَةِ يَمِينِهِ وَالسَّمَوَاتِ مَطْوِيَّتُ بِيَمِينِهِ^١ .

إِلَّا أَنَّ هُنَاكَ حِجَابًا كَثِيرَةً بَيْنَ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَرَبِّهَا ، تَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ ، وَعَلَى هَذَا ، فَإِنَّ أَيَّ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ الْإِنْسَانُ ، سِوَاءَ أَكَانَ طَاعَةً ، أَمْ تَرَكَ مَعْصِيَةً ، يُوَدِّي إِلَى إِزَالَةِ حِجَابٍ مِنْ تِلْكَ الْحِجَابِ ، شَرِيطَةً أَنْ يَكُونَ هَذَا الْعَمَلُ بِقَصْدِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ ، أَي أَنَّ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَقْتَرِبُ مَرْحَلَةً نَحْوَ اللَّهِ ، فَيَتَوَضَّحُ لَهَا صِفَاؤُهَا وَنِقَاؤُهَا وَتَطْرَحُ عَنْ دَاخِلِهَا الْقَسْوَةَ وَالظُّلْمَةَ ، حَتَّى تَزُولَ الْحِجَابُ عَنِ الْعَبْدِ رَوِيدًا رَوِيدًا ، وَلَا يَبْقَى أَيُّ بَعْدٍ نَفْسَانِيٍّ أَوْ فَاصِلٍ مَكَانِيٍّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ .

وَحِينَهَا ، سِيرَى الْعَبْدُ بَعِينَ اللَّهِ ، وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ ، وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، فَتَكُونُ عَيْنَاهُ عَيْنِي اللَّهِ ، وَأُذُنَاهُ أُذُنِي اللَّهِ ، وَلِسَانُهُ لِسَانِ اللَّهِ .

وبعبارة أوضح ، حَتَّى هَذِهِ اللَّحْظَةَ ، كَانَتْ كُلُّ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ

١- مقطع من الآية ٦٧ ، من السورة ٣٩ : الزمر ، وتَمَامُ الْآيَةِ : وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ .

تنسب إلينا على سبيل الاستقلال ، وأما الآن ، فصفة الاستقلال هذه قد انتفت ، وطُرحَت في أتون النار ، وتطائر رمادها في مهبّ رياح الفناء ، حيث لا يحمل العبد في وجوده وصفاته وأفعاله ، غير الآيتية والمرآتية ، ولهذا فالله تعالى يتلأأ في مرآة هذا العبد ، ويُظهر وجوده من نافذته ، وينظر بعينه ، ويسمع بأذنه ، وينطق بلسانه ، ويمشي على رجليه ، وعن أفكاره يعبر ، وبقله يدرك ، فإذا ، فالله موجود ، ولا غيره ، وهو يرى ويسمع ويتكلم ويمشي ويفكر ويدرك ، وكفى .

ومن هنا يقول العارف القدير الشيخ محمود الشبستري أعلى الله

مقامه :

چو نیکو بنگری در اصل این کار

هم او بیننده هم دیده است و دیدار

حدیث قدسی این معنی بیان کرد

فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ عِيَانُ كَرْدٍ^١

يقول الشارح المحترم لكتاب « گلشن » : وهو الشيخ محمد اللاهيجي

في شرحه لهذين البيتين :

لأنّ كلّ ما موجود إنّما هو موجود بحقيقة كلّ وجود الحقّ ، ولا شيء

غير ، فهذا معنى قوله : نصّ :

چو نیکو بنگری در اصل این کار

هم او بیننده هم دیده است و دیدار

١- يقول : « فلو نظرت جيداً في الأمر هذا لرأيت أنّه الباصر والبصير والإبصار .

بان في الحديث القدسيّ وظهر أنّ المؤمن بي يسمع وبي يبصر» .

« گلشن راز » ص ١٤ ، بخطّ النسّعليق لعماد الأردبيليّ ، سنة ١٣٣٣ شمسيّ ، المصادف

(سنة ١٩٥٤م) .

فلأن أصل الوجود هو الحق تعالى ، ولا موجود غيره ، فتفكر وتأمل ملياً ، فستعرف بأن لا وجود لغير الحق ، فالناظر هو ، والمنظور هو الإنسان ، والنظرة هي للوجه الذي ينعكس في المرآة ، فكلمهم الحق تعالى ، وجميع الصور ، إنما هي مظاهر للحق ، وقد تجلّى بكل صورة ومظهر ، وتجلّيه الأقدس على هيئة صور الأعيان الثابتة ، والتي هي الصور المعقولة للأسماء الإلهية المخزونة في العلم . حيث ظهر بصفة القابلية ، والتجلي المقدّس هو المراد به هو التجلي الشهودي ، والذي يظهر جلياً على صورة تلك الأعيان ، وبحسب استعداداتها .

عشق هر دم ظهور دیگر داشت زان کند نقش مختلف پیدا
هر دم از کون سر برون آرد روی دیگر نماید از هر جا^١
وهذا «مقام أحديّة الجمع» و«المقام المحمّدي» صلى الله عليه وآله
وسلم الذي تجلّت حقيقة الوحديّة في مظهر الفرديّة وما رميت إذ رميت
وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى^٢ . إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ،^٣ لأنّ استحكام
المكشوفات وتمامتها بشهادة البراهين العقلية ، يقول :

١- يقول : «لقد كان للعشق في كل أن ظهور آخر ، ويؤدي من ذلك صورة مختلفة عن الأخرى .

وكلّما ظهر في ناحية من نواحي الكون ، ظهر بوجه آخر من مكان آخر» .

٢- مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٨ : الأنفال ، وتمام الآية : فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

٣- صدر الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح ، وتمام الآية : إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .

حديث قدسي اين معنى بيان كرد فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ عِيَانُ كَرْد
والحديث القدسي هو أن ذلك المعنى نزل على النبي بدون واسطة^١،
ومعنى عبارة الحديث القدسي التي جاءت في البيت السابق هي:
لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ
سَمْعَهُ وَبَصْرَهُ وَلِسَانَهُ وَيَدَهُ وَرِجْلَهُ . فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَنْطِقُ وَبِي
يَبْطِشُ وَبِي يَسْعَى .

وفي رواية : وَبِي يَمْشِي .

اعلم أن محبة الله الصمد من قبل العبد ، عند العارفين ، هي تجلُّ
لنفحات الألفاظ الربانية من مهبّ البوادي في غمرة تلاطم أمواج بحر
الإرادة ، والتي هي برزخ الغيب والشهادة ، الهابة من أسس وجود الأكوان
ومفاتيح غيب الأعيان ، والتي تخصّ المظاهر الظاهرة ، والمجالي الزاكية ،
والتي هي مكن الآثار القدسيّة ، وحملة الأسرار الأنسيّة ، حيث تطهر مرايا
بواطن المستقبلين للفيض الجماليّ من كدورات الآثار المجاليّة الجسمانيّة ،
وظلمة الشهوات النفسانيّة ، وعن طريق رفع حجاب العوائق والعلائق ،
ودفع عذاب القواطع والموانع ، تقترب من بساط القرب . وتُذيق متعطّشي
زلال الوصال ، لذّة شراب روح الأنس .

ومحبة طالب الحق ، هي انجذاب سرّ السالك المشتاق ، نحو تحصيل
هذه المعاني التي هي منشأ سعادة الطالبين ، ومنع كمال الراغبين ، وميل
باطن الطالب لدرك نتائج هذه الحقائق ، حيث جمال الطالبين منها محروم
وبسبب فقدان هذه الثروة والسلطان ، فهم تحت نير الذلّ والعار . شعر :

١- وللحديث القدسيّ ميزة أخرى هي أنه لا يجب اعتباره معجزة للنبيّ ، ولذا فإنّ
القرآن الكريم لا يُعتبر من الأحاديث القدسيّة.

این سعادت هر که را در بر گرفت
 خاک پایش را فلک بر سر گرفت
 هر که او از خود به کلی و نرست
 نایدش درّی از این دریا به دست
 خود محبت فارغ از ما و من است
 هر که او را دوست ، خود را دشمن است^١
 وما ذُكِرَ فِي شَرْحِ الْمُحِبَّةِ ، هُوَ بَعِينُهُ عِبَارَةٌ قَطْبِ الْمُحَقِّقِينَ ، الْأَمِيرِ
 سَيِّدِ عَلِيِّ الْهَمْدَانِيِّ قَدَسَ سِرَّهُ وَعَلَى سَبِيلِ التَّبَرُّكِ وَالتَّيَمُّنِ نُقْلٌ بِحِذَائِهِ
 بِدُونِ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ .
 فهذا الحديث القدسيّ ، أنّ الله تعالى ، بالحقيقة ، هو الناظر
 والمنظور ، حيث «بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ» يوضح هذا المعنى ، فالإنسان ، في
 الواقع ، هو تلك القوى والأعضاء والجوارح التي نسبها الله إليه ، فإذا كلّها
 هو . شطر بيت : * نامی است زمن بر من و باقی همه اوست *^٢
 وهو ما يُعرف بِمَقَامِ الْفَنَاءِ بَعْدَ الْبَقَاءِ وَإِشَارَةً لِمَرْتَبَةٍ : أَطْعِنِي
 أَجْعَلْكَ مِثْلِي وَلَيْسَ كَمِثْلِي .^٣
 نعم ، فلهذا الحديث أهميّة قصوى من حيث المعنى والدلالة ،

١- يقول :

«فمن حصل على هذه السعادة كان تراب قدمه للفلک وسادة
 فمن لم يجتز النفس جميعاً كلّها لم ينل شيئاً منها ولا من درّها
 هي تخلو من (أنا) و(نحن) فمن أحبّها عادى نفسه على علن»

٢- يقول : «هو اسم منّي عليّ ، والباقي كلّهُ هو» .

٣- أورد السيّد حيدر الأمليّ هذا الحديث في «جامع الأسرار» ص ٢٠٤ : «شرح گلشن

راز» بتصحيح وتنقيح كيوان سميعي ، ص ١١٣ إلى ١١٥ .

وأيضاً ، من حيث سنده وطريقة روايته . يقول المرحوم آية الله و حجته ، العالم العظيم الشأن الحاج ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي قدس سره في كتابه القدير «لقاء الله» : «هذا الحديث القدسي ، متفق عليه من قبل جميع ملل الإسلام» .^١

أما عن طريق الشيعة ، فقد روى الشيخ الثقة الجليل الأقدم أبو جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، والذي يتقدم الشيخ الكليني بالمنزلة ، ومن جملة مشايخه في الإجازات ، في كتابه «المحاسن» عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي ، عن عبد الرحمن بن حماد ، عن حنان بن سدير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، أنه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : قَالَ اللَّهُ :

مَا تَحَبَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ لَيَتَحَبَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أَحَبَّهُ . فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا .

إِذَا دَعَانِي أَحْبَبْتُهُ ، وَإِذَا سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ .

وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي مَوْتِ مُؤْمِنٍ يَكْرَهُ الْمَوْتَ
وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ .^٢

١- «لقاء الله» ص ٢٤ .

٢- «المحاسن»، ج ١ ، ص ٢٩١ ، برقم ٤٤٣ ، كتاب مصابيح الظلم ؛ وقد رد القاضي نورالله الشوشترى في كتاب «مصائب النواصب» على المعاند الذي ادعى أن كتب الشيعة مقتصره على الكتب الأربعة المشهورة «الكافي» ؛ «الغقيه» ؛ «التهذيب» و«الاستبصار» ، قائلاً ما مفهومه : «وأما ثالثاً فلائحصر كتب الإمامية في أربعة غير صحيح ، لأن كتبهم تبلغ الستة وخامسها «المحاسن» من تأليف أحمد بن محمد بن خالد البرقي ، وسادسها «قرب»

«الإسناد» من تأليف محمّد بن عبد الله جعفر الحميري».

وذكر الملام محمد تقي المجلسي طيب الله مضجعه في شرحه بالفارسية على كتاب «من لا يحضره الفقيه» (الطبعة الحجرية، ج ١، ص ٦١) في شرح قول الصدوق رحمه الله فيما يتعلّق بكتاب «المحاسن» لأحمد بن أبي عبد الله البرقي ما قوله: «وهذا الكتاب موجود وفي متناول أيدينا، وهو كما نقل عنه المشايخ كبير وثقة ومُعْتَمَدٌ عليه. وما موجود لدينا اليوم ربّما كان ثلث الكتاب المذكور. وقد صنّف المؤلف ثلاث وتسعين مُصنّفًا آخر غير هذا الكتاب في فنون العلوم. وقد ورد ذكر أسماء هذه الكتب وسائر كتب العلماء الأخرى في فهرس أصحاب الرجال».

وقال العلامة المجلسي قدس الله تربته في مقدّمة كتاب «بحار الأنوار» في الفصل الثاني في كلامه في أنّ الكتب التي استند إليها في تأليف كتابه «بحار الأنوار» وروى عنها، هل هي كتب معتبرة أم لا، ما معناه: «ويعتبر كتاب «المحاسن» للبرقي من الأصول المعتبرة وقد نقل عنه الكليني وجميع من تأخّر عنه».

وقال العلامة السيّد مهدي بحر العلوم رحمه الله في رجاله (الطبعة الحروفية، ج ١، ص ٣٣١): «بنو خالد البرقيّ: أبوه: خالد بن عبد الرحمن بن محمّد بن عليّ، كوفيّ من موالي أبي الحسن الأشعريّ. وقيل: مولى جرير بن عبد الله. قتل يوسف بن عمر -والي العراق- جدّه محمّد بن عليّ بعد قتل يزيد -رضي الله عنه- فهرب خالد -وهو صغير- مع أبيه عبد الرحمن إلى برق رود قرية في سواد (قم) على وادٍ هناك يُعرَفُ بذلك -فُنُسبوا إليها». حتّى يصل العلامة إلى قوله: «وذكر البرقيّ في (رجال) أباه محمّدًا في أصحاب الكاظم، والرضا والجواد عليهم السلام. وذكر نفسه في أصحاب الجواد والهادي عليهما السلام وكان في زمان العسكري عليه السلام، وذكر أصحابه، ولم يعدّ نفسه فيهم وكأنّه لم يلقه أو لم يتفق له الرواية».

وأورد الشيخ الجليل النجاشي رحمه الله في رجاله (الطبعة الحجرية، ص ٥٦) عن أحمد بن الحسين في تأريخه: «أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن بن محمّد بن عليّ البرقيّ ... توفّي أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ في سنة أربع وسبعين ومائتين. وقال عليّ بن

ونقل المجلسي رضوان الله عليه نفس هذا الحديث عن «المحاسن» في «بحار الأنوار» سنداً ورواية^١.

ورواه الكليني بمضمون مشابه ، ولكن بسندين مختلفين :
الأول : عن محمد بن يحيى ، عن أحمد بن محمد بن عيسى ، وأبو علي الأشعري عن محمد بن عبد الجبار : وجميعاً عن ابن فضال ، عن علي بن عقبة عن حماد بن بشير ، قال : سمعت أبا عبد الله (الصادق) عليه السلام يقول :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله عز وجل :
مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ أَرْصَدَ لِمُحَارَبَتِي . وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِشَيْءٍ أَحَبَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ . وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْتَطِشُ بِهَا .

إِنْ دَعَانِي أَحْبَبْتُهُ ، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ . وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي عَنْ مَوْتِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ .^٢

الثاني : عدّة من أصحابنا ، عن أحمد بن محمد بن خالد ، عن إسماعيل بن مهران ، عن أبي سعيد القمّاط ، عن أبان بن تغلب ، عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام أنّه قال :

١- محمد ماجيلويه: توفي سنة ثمانين ومائتين.

١- «بحار الأنوار» ج ١٥ ، ص ٢٩ ، باب حبّ الله تعالى ، طبعة الكمباني القديمة؛ وطبعة الإسلامية: ج ٧٠ ، ص ٢٢ ، حديث رقم ٢١.

٢- «أصول الكافي» ج ٢ ، ص ٣٥٢ ، حديث رقم ٧ ، من كتاب الإيمان والكفر ، باب من أذى المسلمين واحتقرهم.

لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: يَا رَبِّ مَا حَالُ الْمُؤْمِنِ
عِنْدَكَ!؟

قال: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ! وَأَنَا أُسْرِعُ
شَيْءٍ إِلَى نُصْرَةِ أَوْلِيَائِي. وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدُّدِي عَنْ وَفَاةِ
الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْغِنَى وَلَوْ صَرَفْتُهُ إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ لَهَلَكَ. وَإِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ مَنْ لَا يُصْلِحُهُ إِلَّا الْفَقْرُ، وَلَوْ صَرَفْتُهُ
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَهَلَكَ.

وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ.
وَأَنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّافِلَةِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أُحِبَبْتُهُ كُنْتُ إِذَا سَمِعَهُ الَّذِي
يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَنْطِقُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ
بِهَا.

إِنْ دَعَانِي أُجِبْتُهُ؛ وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ. ١

وقد ذكر العلامة المجلسي رضوان الله عليه، شرحاً مبسوطاً وجميلاً
عند توضيحه وشرحه لهذه الرواية في كتاب «مرآة العقول» نورد هنا
مقتطفات من ذلك الشرح ما يناسب هذا البحث:
هذا الحديث صحيح السند.

١- «أصول الكافي» ج ٢، ص ٣٥٢، حديث رقم ٨.

وروى هذا الحديث كذلك بدون سند ثقة الإسلام الشيخ أبو الفضل علي الطبرسي المتوفى أوائل القرن السابع الهجري، في كتاب «مشكاة الأنوار في غرر الأخبار» الطبعة الثانية، المطبعة (الحيدريّة) - النجف الأشرف، في ص ١٤٦ و ١٤٧، عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وقد ذكر الحقيير المسكين هذا الحديث أيضاً في كتاب «التوحيد العلمي والعيني» ص ٢٩٩، مع ذكر أسناد عدة له في التعليقة.

قال الشيخ البهائي برد الله مضجعه : هذا الحديث صحيح السند ، وهو من الأحاديث المشهورة بين الخاصة والعامة . وقد رووه في صحاحهم بأدنى تغيير هكذا^١ .

وقد أطنب المرحوم الشيخ البهائي أعلى الله درجته ، في مقام شرح وتفسير هذا الحديث ، بعد ذكر هذه الرواية هنا ، مُوردًا مقتطفات من كلام الحكماء والصوفية . ثم قام بنقل كلام للمحقق الشريف في حاشية تفسير «الكشاف» وذلك في آخر البحث ، إلى أن قال : **وَإِنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ :**

النوافل جميع الأفعال غير الواجبة ، وأما تخصيصها بالصلوات المندوبة فعرف طارٍ . ومعنى محبة الله سبحانه للعبد هو كشف الحجاب عن قلبه وتمكينه من أن يطاء على بساط قربه ، فإن ما يُوصف به سبحانه إنما يؤخذ باعتبار الغايات لا باعتبار المبادي . وعلامة حبه سبحانه للعبد ، توفيقه للتجافي عن دار الغرور ، والترقي إلى عالم النور ، والأنس بالله ، والوحشة عما سواه ، وضرورة جميع الهموم همًا واحدًا .

وقال بعض العارفين : **إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَقَامَكَ ، فَانظُرْ فِيَمَا أَقَامَكَ .**

وقد قال معلقاً على هذه الفقرة : «**فإذا أحببته كنت إذا سمعته الذي**

١- قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ . وَمَا يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ . وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا . إِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطَيْتُهُ ، وَإِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعِيذَنَّهُ . وَمَا تَرَدَّدْتُ فِي شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ كَتَرَدَّدِي فِي قَبْضِ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَآكْرَهُ مَسَاءَتَهُ ، وَلَا يَدُّ لَهُ مِنْهُ .

يسمع به»

تمسك بعض الصوفية والاتحادية والحلولية والملاحدة بظواهر تلك العبارات وأعرضوا عن بواطن هذه الاستعارات ، فضلوا وأضلوا ، مع أن عقل جميع أولي الألباب يحكم باستحالة اتخاذ شيء مع أشياء كثيرة متباينة الحقائق ومختلفة الآثار ، وأيضاً ما ذكره من الكفر الصريح لا اختصاص بالمحبين والعارفين ، بل يحكمون باتّحاده تعالى بجميع أصناف الموجودات ، حتى الكلاب والخنازير والقاذورات ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا .

وهنا ، يختم العلامة المجلسي كلام الشيخ قدس سره ، ثم يشرع هو بشرح وتفصيل هذا الحديث قائلاً :

فهذه الأخبار نافية لمذاهبهم الفاسدة الخبيثة لا مثبتة لها ، ولها عند أهل الإيمان وأصحاب البيان وأرباب اللسان معان واضحة ظاهرة تقبلها الأذهان ومبنية على مجازات واستعارات شائعة في الحديث والقرآن ، ومشملة على نكات بليغة استحسناها أرباب المعاني ، ولا تنافي عقائد أهل الإيمان ، وهي كثيرة نوميئ هنا إلى بعضها .

الأوّل : ما ذكره الشيخ البهائي قدس سره وإن داهن في أوّل كلامه حيث قال : لأصحاب القلوب في هذا المقام كلمات سنّية وإشارات سرّية وتلويحات ذوقية تعطر مشامّ الأرواح وتحيي رميم الأشباح ، لا يهتدى إلى معناها ولا يطلع على مغزاها إلا من أتعب بدنه في الرياضات وعنى نفسه بالمجاهدات حتى ذاق مشربهم وعرف مطلبهم ، وأما من لم يفهم تلك الرموز ولم يهتد إلى هاتيك الكنوز لعكوفه على الحظوظ الدنيّة وانهماكه في اللذات البدنيّة فهو عند سماع تلك الكلمات على خطر عظيم من التردّي في غياهب الإلحاد والوقوع في مهاوي الحلول والاتحاد ، تَعَالَى اللَّهُ عَن ذَلِكَ

عُلُوًّا كَبِيرًا.

وقال الشيخ البهائي رحمه الله عندها :

فنقول : هذا مبالغة في القرب وبيان لاستيلاء سلطان المحبة على ظاهر العبد وباطنه وسره وعلايته ، فالمراد والله اعلم : أنني إذا أحببت عبدي جذبته إلى محلّ الأنس وصرفته إلى عالم القدس وصيرت فكره مستغرقاً في أسرار الملكوت وحواسه مقصورة على اجتلاء أنوار الجبروت ، فيثبت حينئذٍ في مقام القرب قدمه ويمتزج بالمحبة لحمه ودمه ، إلى أن يغيب عن نفسه ويذهل عن حسه فيتلاشى الأغيار في نظره حتى أكون له بمنزلة سمعه وبصره كما قال من قال :

جُنُونِي فِيكَ لَا يَخْفَى وَنَارِي مِنْكَ لَا تَخْبُو
فَأَنْتَ السَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ وَالْأَرْكَانُ وَالْقَلْبُ

وقال رحمه الله : يَبْطُشُ بِهَا ، بالكسر والضم أي يأخذ بها ، وأصل البطش الأخذ بالعنف والسطوة - انتهى كلام الشيخ رحمه الله .

هنا يورد العلامة المجلسي رحمه الله مضافاً إلى هذا الوجه ، خمسة أوجه أخرى غيرها ، ويستحسن الوجه الخامس بالخصوص ، ويقول في الوجه السادس : ما هو أرفع وأوقع وأحلى وأدق وألطف وأخفى ممّا مضى ، وهو أنّ العارف لما تخلّى من شهواته وإرادته وتجلّى محبة الحقّ على عقله وروحه ومسامعه ومشاعره وفوض جميع أموره إليه وسلّم ورضى بكلّ ما قضى ربّه عليه يصير الربّ سبحانه متصرفاً في عقله وقلبه وقواه ، ويدير أموره على ما يحبّه ويرضاه ، فيريد الأشياء بمشيئة مولاه كما قال سبحانه مخاطباً لهم : وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ^١ .

١- صدر الآية ٣٠ ، من السورة ٧٦ : الإنسان . وتام الآية : وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ

كما ورد في تأويل هذه الآية في غوامض الأخبار عن معادن الحكيم والأسرار والأئمة الأخيار .

وروي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ ؛ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ .

وكذلك ، يتصرف ربه الأعلى منه في ساير الجوارح والقوى ، كما قال سبحانه مخاطباً لنبية المصطفى : وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى^١ .
وقال تعالى : إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ^٢ .

فلذلك صارت طاعتهم طاعة الله ومعصيتهم معصية الله ، فاتضح بذلك معنى قوله تعالى : «كُنْتُ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ» وَأَنَّهُ بِهِ يَسْمَعُ وَيُبْصِرُ . فكذا ، ساير المشاعر تدرك بنوره وتنويره ، وسائر الجوارح تتحرك بتيسره وتديبره ، كما قال تعالى : فَسَنِيْسِرُهُ وَلِلْيَسْرَى^٣ .

وقريب منه ما ذكره الحكماء في اتصال النفس بالعقول المفارقة ، والأنوار المجردة على زعمهم ، حيث قالوا : قد تصير النفس لشدة اتصالها

﴿ يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا .

١- مقطع من الآية ١٧ ، من السورة ٨ : الأنفال . وتمام الآية : فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

٢- صدر الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح . وتمام الآية : إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا .

٣- الآيات ٥ إلى ٧ ، من السورة ٩٢ : الليل . وتمام الآية : فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيْسِرُهُ وَلِلْيَسْرَى .

بالعقل الفعال بحيث يصير العقل بمنزلة الروح للنفس ، والنفس بمنزلة البدن للعقل ، فيلاحظ المعقولات في لوح العقل ، ويدبّر العقل نفسه كتدبير النفس للبدن ، ولذا يظهر منه الغرائب التي يعجز عنها ساير الناس كإحياء الموتى وشق القمر وأمثالهما .

قال صاحب «الشجرة الإلهية»^١ : كما أنّ في النفس في حال التعلّق بالبدن تتوهّم أنّها هي البدن ، أو أنّها فيه وإن لم تكن هو ولا فيه ، فكذلك النفس الكاملة إذا فارقت البدن وقطعت تعلقها من شدة قوتها ونوريتها وعلاقتها العشقية مع نور الأنوار والأنوار العقلية ، تتوهّم أنّها هي فتصير الأنوار مظاهراً لنفوس المفارقة كما كانت الأبدان أيضاً ، فهذا هو معنى الاتحاد لا بمعنى صيرورة الشيتين شيئاً واحداً فإنه باطل - انتهى .

حتى يصل المجلسي إلى قوله :

قال المحقق الطوسي قدس الله سره القدوسي : العارف إذا انقطع عن نفسه واتصل بالحق رأى كلّ قدرة مستغرقة في قدرته المتعلقة بجميع المقدورات ، وكلّ علم مستغرقاً في علمه الذي لا يعزب عنه شيء من الموجودات ، وكلّ إرادة مستغرقة في إرادته التي لا يتأتى عنها شيء من الممكنات ، بل كلّ وجود وكلّ كمال وجود فهو صادر عنه فائض من لدنه .
فصار الحق حينئذٍ بصره الذي يبصر به ، وسمعه الذي يسمع به ، وقدرته التي بها يفعل ، وعلمه الذي به يعلم ، وجوده الذي به وجود ، فصار

١- وجاء في «الذريعة» ج ١٣ ، ص ٢٨ ، برقم ٨٩ أنّ : «شجرة الهية» هو كتاب بالفارسية في أصول الدين للحكيم المتكلم السيد رفيع الدين محمد بن حيدر الحسنّي الطباطبائي المعروف بـ(ميرزا رفيعاً) ، وهو من شيوخ المجلسي . توفي في سنة ١٠٨٢ أو ١٠٩٩ هـ . وكان المشار إليه قد أُلّف ذلك الكتاب للشاه صفّي الصفوي سنة ١٠٤٧ هـ .

العارف حينئذٍ متخلِّقاً بأخلاق الله في الحقيقة .

وقال بعض المحققين في شرح هذا الخبر أيضاً : معنى محبة الله كشفه الحجاب عن قلبه وتمكينه إياه من قربه ، ومعنى المحبة من العبد ميل نفسه إلى الشيء لكمال إدراكه فيه بحيث يحملها على ما يقربها إليه ، فإذا علم العبد أن الكمال الحقيقي ليس إلا لله ، وأن كل ما يراه كمالاً من نفسه أو من غيره فهو من الله وباللله وإلى الله لم يكن حبه إلا لله وفي الله . وذلك يقتضي إرادة طاعته والرغبة فيما يقربه إليه واتباعه من كل وسيلة له إلى معرفته ومحبته ، قال الله تعالى لرسوله :

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ .^١

فإن متابعة الرسول في عبادته وسيرته وأخلاقه وأحواله ونوافله ، يحصل القرب إلى الله ، وبالقرب يحصل محبة الله إياه .

وقال بعض العارفين بزعمه : إذا تجلّى الله سبحانه بذاته لأحد يرى كل الذوات والصفات والأفعال متلاشية في أشعة ذاته وصفاته وأفعاله ، ويجد نفسه مع جميع المخلوقات كأنها مديرة لها وهي أعضائها ولا يلتم بواحد منها شيء إلا ويراه ملتماً به ، ويرى ذاته الذات الواحدة ، وصفته صفتها ، وفعله فعلها لاستهلاكه بالكلية في عين التوحيد ، وليس للإنسان وراء هذه الرتبة مقام في التوحيد .

ولما انجذب بصيرة الروح إلى مشاهدة جمال الذات استتر نور العقل الفارق بين الأشياء في غلبة نور الذات القديمة ، وارتفع التميّز بين القدام والحدوث لزهوق الباطل عند مجيء الحق .

١- صدر الآية ٣١ ، من السورة ٣ : آل عمران . وتمام الآية : قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ .

وقيل: إلى هذا المعنى يشير ما ورد في الحديث النبويّ: **عَلِيٌّ مَمْسُوسٌ فِي ذَاتِ اللَّهِ**.

ولعلّ هذا هو السرّ في صدور بعض الكلمات الغريبة من مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة البيان وأمثالها - انتهى .

ويقول المجلسي في ختام هذا البحث الذي ينتهي هنا: الاكتفاء بما أسلفنا وأومأنا، وترك الخوض في تلك المسالك الخطيرة أولى وأحوط وأحرى، **وَاللَّهُ الْمُؤَفَّقُ لِلْهُدَى**^١.

وقد اعتبر الشيخ بهاء الدين العاملي رحمه الله هذه الرواية، واحدة من الروايات الأربعين الصحيحة في كتابه «الأربعين». وقد نقلها بسند متصل عن الكليني، كما فعل المجلسي، ثم اختتمه بشرح جميل مرّت مقتطفات منه^٢.

وقد ذكر أيضاً، السيّد علي خان الحسيني الحسني المدني الشيرازي المعروف بالكبير، هذه الرواية في «شرح الصحيفة المباركة الكاملة السجّادية»^٣. وكذا فعل السيّد حسن الشيرازي في كتابه «كلمة الله»^٤. وأورد ذلك أيضاً، الغزالي في كتابه «إحياء العلوم» في باب المحبّة

١- «مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول» ج ١٠، ص ٣٨٣ إلى ٣٩٦، حديث ٨، كتاب الإيمان والكفر، باب من أذى المسلمين واحتقرهم، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٤ هـ.
٢- كتاب «الأربعين» ص ٢٩٥ إلى ٣٠٣، الحديث ٣٥، الطبعة الحجرية (ناصرية)، سنة ١٢٧٢ هـ.

٣- «رياض السالكين» ج ٦، ص ١٥٧، في شرح الدعاء الخامس والأربعين، طبعة رابطة المدرّسين.

٤- «كلمة الله» ص ٦٨، حديث رقم ٦٧، تحت عنوان (زُلفى المؤمن)، وذكر مصادره في ص ٥١٩ عن «المحاسن» للبرقي، و«الكافي» للكليني في ثلاثة مواضع.

والشوق إلى الله .^١

واستشهد السيد حيدر الآملي بهذا الحديث في كتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» الذي طبع بتصحيح هنري كوربن ، في أربعة مواضع :

الأول : في صفحة ٢٠٤ ، برقم (٣٩٣) : **أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِيهِ (أَي مَقَامِ الْوَحْدَةِ الذَّاتِيَّةِ) فَكَقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ : لَا يَزَالُ الْعَبْدُ - إِلَى آخِرِهِ .**

الثاني : في صفحة ٢٤٩ ، برقم (٤٩٥) : **قَلْنَا : جَوَابُكَ فِي هَذَا السُّؤَالِ مِنْ طَرَفِهِمْ (هُوَ) فِي غَايَةِ الْوُضُوحِ ؛ وَهُوَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : نَحْنُ إِذَا اثْبَتْنَا أَنَّ الْإِمَامَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَعْصُومًا وَمَنْصُوصًا (عَلَيْهِ) - إِلَى آخِرِهِ .**

الثالث : في صفحة ٦٠٥ ، برقم (١٢٦٩) : **وَحَقُّ الْيَقِينِ هُوَ أَوَّلُ دُخُولِهِمْ فِي الْبَقَاءِ الْحَقِيقِيِّ الْحَاصِلِ بَعْدَ الْفَنَاءِ الْكُلِّيِّ الْمُسَمَّى بِالْفَرْقِ بَعْدَ الْجَمْعِ ، الَّذِي هُوَ مَقَامُ التَّكْمِيلِ وَالرُّجُوعِ إِلَى الْكَثْرَةِ بِاللَّهِ لَا بِهِ ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : «وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» . وَلِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ - إِلَى آخِرِهِ .**

الرابع : في صفحة ٦٧٥ ، برقم (١١٩) : **وَهَذَا هُوَ مَقَامُ مُشَاهَدَةِ الْعَبْدِ نَفْسَهُ مَعَ كَثْرَتِهَا فِي مِرَاةِ الْحَقِّ وَاحِدَةً - إِلَى آخِرِهِ .**

وهؤلاء هم من الخاصة الذين نقلوا هذه الرواية في الكتب المذكورة ، ويتضح من كتاب «سرّ العالمين» ، أنّ الغزالي كان قد تشيع في آخر عمره ، وقد استوفينا البحث في هذا الأمر في الجزء الثامن من «معرفة الإمام» من سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية .^٢

١- «إحياء العلوم» ج ٤ ، ص ٢٦٣ ، طبعة دار الكتب العربية الكبرى ، مطبعة ميمنة -

مصر ، سنة ١٣٣٤ .

٢- «معرفة الإمام» ج ٨ ، من الدرس ١١٨ إلى ١٢٠ .

وقد تمّ بحث هذا الحديث المبارك من قبل العبد الحقير ، مؤلف هذا الكتاب «معرفة الله» في أماكن عدّة في سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة هذه : الجزء التاسع من «معرفة الإمام»^١ والجزء الثاني من «معرفة المعاد»^٢ وكذلك في «مهر تابان» (= الشمس الساطعة) ،^٣ و«التوحيد العلميّ والعينيّ» .^٤

ومن العامّة ، رواه البخاريّ في كتاب «الرقاق» ، باب التواضع .^٥ وذكره أيضاً الراغب الإصفهانيّ في «المفردات» في كتاب القاف ، في مادّة قرب بقوله : وعلى هذا القرب ، نبه عليه الصلاة والسلام فيما ذكر عن الله تعالى :

مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا ، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا .

وعنه قوله أيضاً : مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدٌ بِمِثْلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ - إلى

آخر الخبر .^٦

وقد رواه أحمد بن حنبل عن عبد الواحد ، مولى عروة ، عن عروة ، عن عائشة ،^٧ وقد بحث الشيخ عزيز الدين النسفيّ هذا الحديث في ثلاثة مواضع من كتاب «الإنسان الكامل» :

١- «معرفة الإمام» ج ٩ ، من الدرس ١٣١ إلى ١٣٤ .

٢- «معرفة المعاد» ج ٢ ، المجلس ٩ .

٣- انظر : «الشمس الساطعة» البحث الفلسفيّ .

٤- خلال التذييل على المكتوب السادس للمرحوم السيّد ، ص ٢٩٩ .

٥- «صحيح البخاريّ» ج ٨ ، ص ١٠٥ ، طبعة بولاق .

٦- «المفردات في غريب القرآن» ص ٣٩٩ ، العمود الأيسر ، تحقيق السيّد محمّد سيّد

الجيلانيّ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبيّ .

٧- «مسند أحمد بن حنبل» ج ٦ ، ص ٢٥٦ ، دار صادر ، المكتب الإسلاميّ - بيروت .

الأول: خلال بحثه في العقل ودرجاته، فهو يعتبر أن العقل الأعلى والأرقى موجود لدى مَنْ تحقق في شأنه الحديث القدسي: كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَدَاً وَلِسَاناً، بِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَنْطِقُ.
الثاني: وخلال بحثه في المشكاة، فهو يطنب في الشرح حتى يصل إلى هذا الحديث.

الثالث: وخلال بحثه في لقاء الله، يستشهد بهذا الحديث^١. ويقول الملاح حسين الواعظ الكاشفي في «الرسالة العلية» عند ذكره لمقام القرب: قال الله تعالى: وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. وعندها يذكر هذا الحديث القدسي^٢.

١- «الإنسان الكامل» للنسفي، بتصحيح ومقدمة فرانسوا ماريجان موله، طبعة تابان، سنة ١٣٤١، الصفحات: ١٣٦ و ٢٨٥ و ٣٠٥ على التوالي. قال بخصوص الموضوع الثالث هذا ما ترجمته:

«(٢١) يا أيها الدرويش! لن يكون بإمكان السالك معرفة أي شيء ورؤيته كما هو ما لم يتشرف بلقاء الله. وليس للسالك شغلاً شاغلاً غير معرفة الله ورؤيته، ومعرفة صفاته ورؤيته. فمن لم يرى الله ولم يعرف صفاته فهو كمن جاء (إلى الدنيا) أعمى وخرج (منها) أعمى. فإذا وصل السالك إلى نور الله فقد خلف وراءه كل الرياضات والمجاهدات الصعبة، ووصل إلى المقام الذي يقول عنه الله: كُنْتُ لَهُ سَمْعاً وَبَصَراً وَيَدَاً وَلِسَاناً، وَبِي يَسْمَعُ وَبِي يُبْصِرُ وَبِي يَبْطِشُ وَبِي يَنْطِقُ. وكذا فقد وصل إلى المقام الذي قال عنه رسول الله عليه السلام: أَتَقْوُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ. وعند وصول السالك إلى نور الله فهو حينئذٍ سائر في طريق نور الله. فقد كان حتى تلك اللحظة سائراً في طريق نور العقل؛ وهو ذا عمل العقل قد انتهى؛ وهو الآن سائر في طريق نور الله. ويسير طوراً في طريق نور الله حيث تزال كل الحُجُب النورانية والظلماتية من أمام السالك، فيرى الأخير الله ويعرفه. إذن فلا يمكن رؤية نور الله أو معرفته إلا بنور منه أيضاً».

٢- «الرسالة العلية في الأحاديث النبوية» (شرح أربعين حديثاً نبوياً بتصحيح

ويذكر الملا عبد الرزاق الكاشاني في «شرح منازل السائرين» في قسم الحقائق، في باب الحياة:

«وأصل المحبة هو العلم بالآيات والأخبار الواردة في المحبة والشوق والإرادة كما في قوله تعالى: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ. [٥٤/٥] وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ. [١٦٥/٢] قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ. [٣١/٣] وعن الرسول الأكرم صلى الله عليه [وآله] وسلم حاكياً عن ربه عز وجل: لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ - إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَإِنْ أَحَبَّ الْعِبَادِ إِلَى اللَّهِ الْأَخْفِيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ. ١ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ. ٢

◀ السيد جلال الدين الأرموي المحدث). هذا وقد توفي الكاشفي سنة ٩١٠.

نعم، فهذه الرواية موجودة في ص ١٧٠ و ١٧١ من هذه الرسالة. وجاء في كتاب «تشييع وتصوف (=التشييع والتصوف) تأليف الدكتور كامل مصطفى الشيباني، وترجمة ذكاوتي القراكوزلو، ص ٣٢٥، ضمن بيان ترجمة أحوال الكاشفي ما يلي:

«ويبدو أن الواعظ الكاشفي كان من الأفاضل النوادير الذين لم يجد المذهب أو الطريقة أو التعصب سبيلاً إلى أنفسهم فكان طرازاً غريباً من الرجال، شبيهاً برجل من الشيعة اشتهر بتلك السماحة أيضاً هو بهاء الدين العاملي. ومع أن الواعظ الكاشفي كان صوفياً نقشبندياً وفقهياً حنفياً ألف في الفقه الحنفي رسالة برأسها «هدية العارفين» ج ١، ص ٣١٦ - التعليقة)، كتب سنة ٩٠٨ أول وأهم رسالة في مجالس العزاء الحسيني سماها «روضة الشهداء في مقاتل أهل البيت».

١- «سنن ابن ماجه» (كتاب الفتن، الباب ١٦، من ترجى له السلامة من الفتن: ١٣٢١/٢) عن الرسول الكريم... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَبْرَارَ الْأَتْقِيَاءَ الْأَخْفِيَاءَ، الَّذِينَ إِذَا غَابُوا لَمْ يُفْتَقَدُوا، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُدْعَوْا وَلَمْ يُعْرَفُوا. (التعليقة).

٢- «الجامع الصغير» للسيوطي (باب الميم: ١٦٠/٢) و«معاني الأخبار» باب معنى ما روي أن من أحب لقاء الله. (التعليقة)؛ وشرح الكاشاني لـ«منازل السائرين» للخواجه عبد الله الأنصاري، ص ٥٢٨، منشورات بيدار.

وقد تطرّق أبو مظفر منصور السمعاني في كتاب «روح الأرواح» إلى ذكر وشرح هذا الحديث القدسي في ثلاثة مواضع: في باب «الحقّ المبين» و«الواجد» و«المنتقم».^١

واستشهد الشيخ نجم الدين الرازي به في موضعين من كتاب «مرصاد العباد»، وقال في الموضوع الثاني في مقام تجلّي الألوهيّة: «إنّ محمّداً عليه الصلاة هو مصداق لتجلّي الألوهيّة، حتّى أضحى الوجود المحمّديّ إثباتاً لوجود الذات الإلهيّة حيث يقول تعالى: إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ.

لم ينل أحد من الأنبياء عليهم السلام هذا الشرف والمنزلة الرفيعة، ولكن كلّ من عزم على أن يأكل من هذه المائدة، فله أن يسعى للدنو من مضيّفه، والتقرّب إليه أكثر فأكثر كما في قوله سبحانه لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوْافِلِ. [حتّى آخر الحديث].

وهذه السعادة إنّما هي من خاصيّة تجلّي الذات الإلهيّة».^٢

واستشهد كذلك الشيخ نجم الدين الرازي بهذا الخبر في أحد المواضع في رسالة «العشق والعقل»، حيث يستدلّ على عدم قدرة العقل في متابعة هذا الطريق، إلى أن يقول:

«ومن هنا، فلا سبيل إلّا بطيّ طريق العشق، حيث يتجرّد العشق من الحروف، ويرتدي حلّة الجذبة، فيجتاز السالك بجذبة واحدة مقام قاب قوسين ليصل به إلى مرتبة الوجود، وتضعه في مقام أَوْ أَدْنَى وَعَلَى بَسَاطِ

١- «روح الأرواح في شرح أسماء الملك الفتاح» بتصحيح نجيب مائل الهروي،

ص ٤٤٢، ٤٩٩، ٥٥٢، «انتشارات علمي و فرهنگي» (=المنشورات العلميّة والثقافيّة).

٢- «مرصاد العباد» ص ٢٠٨، ٣٢٠، و ٣٢١، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب.

القرب ، حيث :

جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ تُوَازِي عَمَلَ الثَّقَلَيْنِ .

أي أنه لا يمكن الوصول إلى ما يوازي عمل الثقلين إلا بالجذبة .
وأن ينسلخ من مرحلة فأذْكَرُونِي ، ويتجلى جمال مرحلة أذْكَرْكُمْ ، فيكون
الذاكر مذكوراً ، والعاشق معشوقاً ، وحينما يوصل العشق العاشق بمعشوقه ،
فإنَّ العشق يبقى بصفة (الدلالة) على الباب والعاشق يُقَدِّم إلى حضرة وصال
المعشوق بصفة الفَراشة ، ووجوده يسكبه على قدم شعلة شمع جلال
المعشوق حتى يُضَيِّف المعشوق العاشق المحترق بنور جماله . فيتجلى
الوجود المجازي للعاشق ، والوجود الحقيقي للمعشوق من مكنم كُنْتُ كَنْزاً
مَخْفِياً فلا يبقى من العاشق إلا اسمه . شعر :

عشق آمد و شد چو خونم اندر رگ و پوست

تا کرد مرا تهی و پر کرد ز دوست

اجزای وجود من همه دوست گرفت

نامی است ز من بر من و باقی همه اوست^١

فيكون هذا هو معنى لَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَابِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ

[حتى آخر الرواية]»^٢.

١- يقول :

«جاء الحبَّ وصار دمي في عروقي فأفرغني ثم ملأني من حبِّ صدوق

وصار الحبيب كلَّ همِّي ووجودي فما أبقى لي غير اسمي دون وجودي»

٢- رسالة «عشق و عقل» ص ٦٤ إلى ٦٦ ، و ١١٧ و ١١٨ ، (معيار الصدق في مصداق

العشق) ، طبعة بنگاه ترجمه ونشر كتاب . ويقول معلق الكتاب :

«حديث قدسي مشهور مروى على وجوه مختلفة . ذكره الهجویری في «كشف

المحجوب» ص ٣٩٣ ، طبعة ليننغراد ، وجاء ذكره في «إحياء العلوم» و«الجامع الصغير» ⇨

وقد استند الهجويريّ الغزنويّ في كتابه «كشف المحجوب» إلى هذا الخبر في موضعين اثنين^١. واستدلّ الملاً مسكين في تفسير «حدائق الحقائق» بهذه الرواية في موضع واحد^٢.
 وذكر كل من عبد الحليم محمود ومحمود بن شريف هذا الحديث القدسيّ في مقدّمتهما في شرح «الحكم العطائية» للشيخ أحمد زروق خلال بيان وتعداد مدارج الإنسان^٣.
 وقد نظم ابن الفارض المصريّ أبياتاً تفيد معنى هذا الحديث في كتابه «نظم السلوك»:

وَجَاءَ حَدِيثِي فِي اتِّحَادِي ثَابِتٌ
 رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ

«وإتحاف السادة المتّقين». وقد أشار مولانا جلال الدين إلى مضمون هذا الحديث في «المنثويّ» حيث قال:

رو كه بي يَسْمَعُ و بي يُبْصِرُ توئی سرّ توئی چه جای صاحب سرّ توئی
 آنکه بی یَسْمَعُ و بی یُبْصِرُ شده است در حق این بنده آن هم بیّهده است
 يقول: «اذهَبْ، فَأَنْتَ مَنْ قِيلَ عَنْهُ (بي يَسْمَعُ وبي يُبْصِرُ)، وَأَنْتَ السَّرُّ لِأَنَّكَ أَنْتَ
 صاحب السَّرِّ.

إنّ مقام (بي يَسْمَعُ وبي يُبْصِرُ) لا يمكن إطلاقه على هذا العبد جزافاً.

١- «كشف المحجوب» تصنيف أبو الحسن عليّ بن عثمان الجبلايّ الهجويريّ الغزنويّ، بتصحيح و.جوكوفسكي، ص ٣٢٦ و ٣٩٣، طبعة مكتبة طهوري.

٢- تفسير «حدائق الحقائق» لمعين الدين الفراهي الهرويّ، ص ٢٧٨، منشورات

أمير كبير.

٣- «حِكْمَ ابن عطاء الله» شرح الشيخ أحمد زروق، ص ٤، طبعة طرابلس الغرب، مكتبة النجاح، حيث يقول: وفي حديث قدسيّ يقول سبحانه: عِبْدِي! اَعْبُدْنِي أَجْعَلْكَ رَبَّانِيًّا، تَقُولُ لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ. وفي حديث قدسيّ آخر يقول (الحديث إلى آخره).

يُشِيرُ بِحُبِّ الْحَقِّ بَعْدَ تَقَرُّبٍ
إِلَيْهِ بِنَفْلِ أَوْ آدَاءٍ فَرِيضَةٍ
وَمَوْضِعُ تَنْبِيهِ الْإِشَارَةَ ظَاهِرٌ
بِكُنْتُ لَهُ سَمْعًا كَنُورِ الظَّهِيرَةِ
تَسَبَّبَتْ فِي التَّوْحِيدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ
وَوَاسِطَةَ الْأَسْبَابِ إِحْدَى أَدِلَّتِي
وَوَحَّدْتُ فِي الْأَسْبَابِ حَتَّى فَقَدْتُهَا
وَرَابِطَةَ التَّوْحِيدِ أَجْدَى وَسِيلَتِي
وَجَرَّدْتُ نَفْسِي عَنْهُمَا فَتَجَرَّدْتُ
وَلَمْ تَكْ يَوْمًا قَطُّ غَيْرَ وَحِيدَةٍ
وَعَصْتُ بِحَارِ الْجَمْعِ بَلْ خُضْتُهَا عَلَى أَنْ
فِرَادِي فَاسْتَخَرَجْتُ كُلَّ يَتِيمَةٍ
لِأَسْمَعِ أَفْعَالِي بِسَمْعِ بَصِيرَةٍ
وَأَشْهَدَ أَقْوَالِي بِعَيْنِ سَمِيعَةٍ^١

واستدل كذلك سعيد الدين سعيد الفرغاني بهذا الحديث في موضعين
من شرحه العربي والفرسي للتائية: الأول في شرحه لقول ابن الفارض:
جَوَاهِرُ أَنْبَاءٍ ، زَوَاهِرُ وَصَلَةٍ طَوَاهِرُ أَنْبَاءٍ ، قَوَاهِرُ صَوْلَةٍ^٢

١- «ديوان ابن الفارض» ص ١٤٢ ، الطبعة الأولى ، ١٣٧٢ هـ ؛ وطبعة بيروت ١٣٨٢ هـ ؛
«نظم السلوك» البيت ٧١٩ إلى ٧٢٦ ؛ وقد ورد البيت الخامس في كلا النسختين هكذا: أجدى
وسيلة . وفي الشرح العربي للفرغاني في ج ٢ ، ص ٢٠١ : أجدى وسيلتي وهو الصحيح .
٢- عن «مشارك الدراري» المشروح بالفارسية ص ٤٥٧ ، والذي ذكر هذا الحديث في
ص ٤٦ .

والثاني في شرحه لقول هذا العارف :

وَجَاءَ حَدِيثِي فِي اتِّحَادِي ثَابِتٌ رِوَايَتُهُ فِي النَّقْلِ غَيْرُ ضَعِيفَةٍ
وقد ذكر هذا البيت ، وبيتين آخرين بعده ، سبقت الإشارة إليهما
هنا ، واستدلّ بهذا الخبر في موضعين أثناء شرح وافٍ لهما ، ولأنّ شرحه ،
في الحقيقة ، هو شرحٌ للحديث الذي نحن بصدده ، فما أجمل أن ننقل هنا
عباراته ، حتّى نتعرّف أكثر على مفاد ومحتوى هذا الحديث ، وأن نستوعب
واقع معنى أبيات ابن الفارض بشكل أفضل :

يقول الفرغاني^١ : «يَحْتَمِلُ قَوْلُهُ: «وَجَاءَ حَدِيثِي...» أَنْ يَكُونَ عَلَيَّ

١- وليان عظمة المَقَامِ الْعِلْمِيِّ للفرغاني والقيمة الأدبية لكلامه، نكتفي هنا بذكر ما
قاله آية الله مير سيّد حامد حسين الموسويّ النيشابوريّ الهنديّ في كتاب «عبارات الأنوار»
ج ١، من المجلد (١٢) : سند حديث الثقلين والموجود في القسم الثاني حسب طبعة مؤسّسة
نشر نفائس المخطوطات (إصفهان) ، من ص ٤٧٣ إلى ٤٧٥ ، برقم ١١٣ . فقد قال آية الله
النيشابوريّ الهنديّ ما ترجمته :

«وأما إثبات سعيد الدين محمّد بن أحمد الفرغانيّ لحديث الثقلين فقد قال في شرحه
بالفارسيّة على القصيدة التائيّة لابن الفارض عن تفسيره للبيت التالي :

وَأَوْضَحَ بِالتَّأْوِيلِ مَا كَانَ مُشْكَلاً عَلَيَّ بِعِلْمٍ نَالَهُ بِالْوَصِيَّةِ
ما يلي : لقد أوضح عليّ بالتأويل ما قد أشكل من المعنى وأشبه فيه من مراد القرآن
والحديث على غيره من الصحابة وخاصة عمر؛ وهو الذي كان يُردّد دوماً (مقولته المشهورة)
بهذا الخصوص: لَوْلَا عَلَيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ. مع أنّ (عليّاً) كان قد تطرّق إلى هذه المشكلات وحلّها
بالعلم الذي كان قد ورثه عن المصطفى بواسطة الوصيّة التي قال فيها: إِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ
التَّقْلِينَ كِتَابَ اللَّهِ وَعَثَرَتِي أَهْلَ بَيْتِي! أَذْكَرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي ، ثلاث مرّات ، ثم عاد وكرّر
قوله: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى غَيْرَ أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي . وبواسطة قوله: أَنَا مَدِينَةُ
الْعِلْمِ وَعَلَيٌّ بِأَبْهَا - انتهى كلام الفرغانيّ .

ومحمد العلامة الفرغانيّ المبهره ومعاليه المزهرة واضحة لكل من يبحث في

لِسَانَ الْجَمْعِ الْإِلَهِيِّ؛ فَإِنَّ هَذَا حَدِيثٌ إلهِيٌّ . وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ عَلَى لِسَانِ
الْجَمْعِ الْمُحَمَّدِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ .

ويشير ذلك الحديث على تحقق محبة الحق لي ومحبتتي له ، وذلك

كتاب «عبر في خبر من غير» للذهبي ، و«نفحات الأنس» لعبد الرحمن الجامي ، و«كنايب أعلام الأخيار من فقهاء مذهب النعمان المختار» لمحمود بن سليمان الكفوي ، و«كشف الظنون» لمصطفى بن عبد الله السطنطيني ، وغير ذلك من الكتب الأخرى . وقد سبق بعون الله المنيل في مجلد حديث مدينة العلم ، بيأنها بالتفصيل . وهنا نكتفي بالإشارة إلى ما قاله عبد الرحمن الجامي في كتاب «نفحات الأنس» ، وهو (ما ترجمته):

وكان الشيخ سعيد الدين الفرغاني رحمه الله تعالى من أكمل أرباب العرفان وأكابر أصحاب الذوق والوجدان . فلم يُبين أحد مسائل علم الحقيقة بهذه الدقة والصحة كما فعله هو في ديباجة «شرح القصيدة التائية الفارضية» . فقد قام أولاً بشرحها بالفارسية ، ثم عرض ذلك على شيخه (الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره ، فاستحسن شيخه ذلك وكتب بعض العبارات في هذا الباب ، فوضع الشيخ سعيد تلك العبارات المكتوبة بعينها في ديباجته على الشرح الفارسي تيمناً وتبركاً . وثانياً ، ولتعميم الفائدة وتتميمها ، قام بنقلها إلى العربية وأضاف عليها فوائد كثيرة وزيادات أخرى . جزاه الله عن الطالبين خير الجزاء .

وله مُصنَّفٌ آخر يُسمى بـ«مناهج العباد إلى المعاد» في أصحاب المذاهب الأربعة رضوان الله عليهم أجمعين وهو في مسائل العبادات وبعض المعاملات التي لا غنى لسالكي هذا الطريق عنها؛ والتي لا يمكن سلوك طريق الحقيقة بدونها في بيان آداب الطريقة بعد إصلاح وتصحيح أحكام الشريعة . والحق أنه كتاب مفيد وهو ما لا بد لأي طالبٍ ومريدٍ إلى آخره .

فهذا الفرغاني ، شيخهم السعيد المسعود ، وخبيرهم الحميد المحمود ؛ قد أثبت هذا الخبر النافع كالأزهار والورود العاطر ، كالتقار الساطع من العود . فالعجب كل العجب من الجاحد العنود ، والمنكر الكنود ؛ كيف لا يزعه وازع عن الإنكار والجحود ، ولا يصرفه صارف عن البغي والمُرود ! والله العاصم عن شر كل معاندٍ حسودٍ لدودٍ ، وهو الوافي عن زيغ كل حيودٍ ميودٍ .

بعد طلبي للتقرب والزلفنى إلى الحق بأداء النوافل والفرائض والعبادات .
ويبدو موضع الإشارة في هذا الحديث إلى الاتحاد واضحاً وجداً جلياً
وصريح كنور الشمس الوضاح في صدر النهار وكبد السماء ؛ وذلك ممّا
قَصَدَهُ بقوله : كُنْتُ لَهُ سَمْعاً .

وأما لفظ الحديث ، كما ورد في «صحيح البخاريّ» ومسلم فهو :
مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ .
وَلَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي
يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يُنْطِقُ بِهِ ، وَرِجْلَهُ الَّتِي
يَمْشِي بِهَا - الحديث .

واعلم ، أن المحبّة شدة الرغبة الباطنيّة من أجل الوصول إلى كمالٍ
من الكمالات ، وحققتها : الآصرة القويّة الوحدانيّة بين الطالب
والمطلوب ، ومعناها : تسلّط عوامل الاتحاد أو الاشتراك ، ممّا يستلزم زوال
عوامل التفاضل أو الاختلاف بين الطالب والمطلوب .

والمحبّ هو من تظهر فيه هذه الآصرة أولاً ، وتتعلّب وتتسلّط عليه
حتى يقوم الطالب بإزالة عوامل التفاضل عن نفسه ، أو عمّا يطلب . وأصل
هذه المحبّة ، هو حقيقة فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ ، حيث كانت ذات الحق الواحدة
مُحِبّة ، وكان المحبوب كمال وجوده وظهور الكمالات الأسمائيّة له ،
وتعكس مرآة المحبوب ، الحقيقة الإنسانيّة ، صورةً ومعنىً ، ولا شيء
غيرها . لِكَمَالِ جَمْعِيَّتِهَا وَتَمَامِ مُضَاهَاتِهَا وَقَابِلِيَّتِهَا ، وَقُصُورِ غَيْرِهَا عَنْ
ذَلِكَ .

وَالِيهِ الْإِشَارَةُ فِيمَا رُوِيَ مِنَ الْحَدِيثِ الْإِلَهِيِّ خِطَاباً لِمُحَمَّدٍ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وَأَلِهِ] وَسَلَّم : لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الْكَوْنَ .

وبحكم هذه المحبّة ، تعيّن تجلّ من الله ، بصورة إجماليّة في باطن

تلك الحقيقة الإنسانية في جوهرها ، والتي تشير إلى البرزخية والجمعية بين الواحديّة والأحديّة أولاً ، وبين العلم بالعالم وبين الوجود ثانياً ، ثم سار وتنزل من باطن تلك الحقيقة الإنسانية في صورٍ تفصيليّة ، والتي هي عبارة حقائق العالم ، لكمال الظهور الذي كان هو المحبوب الأوّل ، حتّى يصل إلى هذه الصورة العنصريّة الإنسانية ، وهي الصورة الإجماليّة الواقعيّة لتلك الحقيقة الإنسانية .

وأما مرآة الجمعيّة وكمال ظهور ذلك التجلي ، فواقع الوحداية لذلك النزوع والمحبة ، تزامن مع هذا التجلي ، وهي مستترة في باطنه . ولما كان ذلك التجلي وحدائياً ، كان لزاماً أن يكون محلّه ومرآته وظهوره في هذا النزول ، أمراً وحدائياً كذلك ، وما كان لغير العدالة والاعتدال الموحدّين للكثرة في هذه المراتب ، بل في عالم التركيب والكثرة من أثر وظلّ وصورة من حقيقة الوحدة ، ولا جرم أن مرآة ظهور ذلك التجلي في كلّ مرتبة ، هي أمر معتدل ، حتّى تكون مرآته ، حقيقة وسطية ، وعدالة إمكان كلّ ممكن في عالم المعاني والأرواح ، وذلك بين جهة الوجود وجهة المحال . وأما في عالم المثال والحس ، فلم يكن مظهر ذلك التجلي إلاّ مزاجاً معتدلاً من الطبيعة والعناصر والمولدات ، وحصيلة هذه الجملة من مراتب الاعتدالات ، هو إظهار الاعتدال الإنسانيّ الموجود في الوسط ، وصورة الوحدة والعدالة لذلك هي البرزخية الأولى والثانية .

ولما كان ظهور ذلك التجلي في نزوله ، في جملة هذه المراتب ، ولأنّه تلبس بصور إنسانية تفصيليّة وإجماليّة ، فقد اجتمعت حوله أحكام الكثرة والتعيّنات ، والنسب والإضافات ، والتي هي من مستلزمات الأجزاء والأطراف ، وآثار الانحراف ، فخرج كلّ حكم من تلك الأحكام على صورة أمل وأمنية وطلب لذّة وشهوة ، وأرادت التغلب على حكم الوحدة

والبساطة وصوره الجمعيّة وعدالتها وتوجيهها نحو أوصاف الكثرة والتركيب وأحكام الانحرافات والتغلب عليها . وكان أمر الشجرة ، والهبوط من الجتّة ، صورة وأثراً لتلك الغلبة .

فتطلّبت تلك المحبّة الوجدانية - وهي الآصرة المستترة في باطن التجلّي - وضع ميزان اعتداليّ يمثّل الشريعة والطريقة ، لتربط هذا الإنسان المتعرّض للمحبوب بالواسطة ، بجمله من الإرادات والمقاصد والحركات والسكنات الخاصّة بها ، وبالوحدة والعدالة ، ظاهراً وباطناً .

وتستتر حقيقة هذه المحبّة في الباطن ، وهي لسان هذا الميزان الذي هو عين الفرائض ، بحكم انتشار وحدة الأمر «وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ» فَإِنَّ مُطْلَقَ الْأَمْرِ يَقْتَضِي الْفَرْضِيَّةَ ، فيسري أثر هذه المحبّة في باطن أجزاء عمود الميزان وكفّتيه ، اللتين هما بمثابة سنن ونوافل هذا الميزان ، فتغدو حُجُب الحقيقة الإنسانيّة ضعيفة وشفافة ولطيفة ، تلك الحقيقة التي تكون بمرتبة المحبوبيّة بحكم العناية اللاعليّة في الأزل ، والتي غلبت عليه بحكم الوجوب والوحدة ، وبحكم استعداده الكامل زمان السير والمرور عبر المراتب تنازلياً ، طرأت الحجب الضعيفة والشفافة واللطيفة عليه ، فإذا تيسّر أداء الفرائض بإخلاص وبالكامل بسبب محبوبيّته ، فبمجرد أداء تلك الفرائض ظاهراً وباطناً ترتفع الحُجُب ، وحينها ، يظهر حكم حقيقة تلك المحبّة والوحدة الحقيقيّة فيه ، والتي باطنها لسان في قلبه ، فتجذبه نحوها رغم إرادته ، وتجعل منه مرآة كمال ظهورها ، حتّى يظهر الحكم السابق فَأَحْبَبْتُ فِيهِ بَوَاسِطَتِهَا ، وتكون نتيجة ذلك الظهور إِنَّ اللَّهَ قَالَ عَلَيَّ لِسَانِ عَبْدِهِ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ .

وذلك تحقيق قوله : مَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ . ذلك أن لا شيء من الميزان أقرب إلى الوحدة من لسان

الميزان ؛ وكذا لا شيء أقرب إلى الوحدة الحقيقية للمحبة من أداء الفرائض عند سريان وحدة الأمر فيه .

وأما إذا كان ذلك موجوداً من قبل في مبدأ الحكم والاستعداد الإنساني ، في زمان مروره ونزوله عبر المراتب ، فستجتمع حوله قيود وصفات الكثرة الإنسانية وبكثافة ، وتتغلب على حكم وحدته ، فسيحتاج ذلك الشخص إلى رياضة ومجاهدة كثيرتين ، ولا تتيسر استقامة واعتدال ذلك الميزان الذي يمثل أداء الفرائض قلباً وقالباً ، إلا بملازمة السنن والنوافل من الأذكار والأعمال وشتى أنواع القربات ، التي تخالفها النفس ، شرط توفّر الإخلاص ومجانبة الشبهات وصغائر الرياء ، وترك جميع اللذات والشهوات النفسية التي تتوقّف عليها استقامة ميزان الشريعة والطريقة بصورة كاملة . كما جاء في الحديث :

إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ الصَّلَاةُ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ خَابَ وَخَسِرَ . وَإِنْ أَنْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْئًا قَالَ الرَّبُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: انظُرُوا! هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ فَيُكْمَلُ بِهَا مَا أَنْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ؟! ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ .

يدلّ ظاهر الحديث على أنّ النوافل هي مكملات للفرائض .

وعلى هذا ، فيلزم على السالك الذي وقع في رتبة المحبّ منذ الأزل المداومة على هذه السنن والنوافل ، حتّى يتسنّى له بعد ملازمته للإخلاص والتوحيد في العمل الاقتراب من لسان الميزان ، ويتمكّن أثر المحبة الكامن في كفتي وأجزاء عمود ميزان الشريعة والطريقة من إزالة كلّ صور وإحكام انحرافات نفس هذا السالك ، حتّى تعادل كفتا الميزان وعموده . وحينئذٍ ، يظهر القلب الذي هو محلّ ذلك اللسان المذكور ، ويظهر فيه ذلك التجلّي الوجوديّ بوحدته الحقيقية ، ويزيل ذلك الأثر من المحبة الذي

تزامن مع هذا التجلّي واللسان ورافقهما كلّ حُكم امتيازيّ فيما بين الوجود المضاف إلى النفس والقوى والمدارك الباقية فيه ، ويُظهر بدلاً من ذلك حكم عوامل الاتحاد .

فينكشف حينئذٍ هذا المعنى لهذا السائر المحبّ ، في الحقيقة ، بظهور حكم المحبّة الذي هو إزالة للأحكام الامتيازية للنسب والإضافات أنّ هذا الوجود الواحد الذي كان سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله حتّى هذه اللحظة ، وأنّه لم يكن يسمع إلاّ بنور الوجود الواحد الحقّ ، ولم يكن ليرى ولا لينطق ولا يبطن ولا يسير إلاّ به .

وقد كان محبوباً عن هذا العلم حتّى الآن بسبب تقيّده بأحكام تلك النسب والإضافات التي هي أحكام امتيازية ، فارتفعت الحجب والموانع بسبب حقيقة المحبّة التي أزلت تلك القيود ، وانكشفت حقيقة هذا العمل ساطعة وضّاءة .

وهذا هو معنى قوله : **وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمِعُهُ وَبَصَرُهُ وَلِسَانُهُ وَيَدُهُ** - الحديث .

وإذن ، ففي هذا الحديث الصحيح دلالة صريحة على صحّة وثبوت ما ادّعيته في التوحيد ؛ **وَاللَّهُ الْمُلْهَمُ لِلصَّوَابِ** ^١ .

١- شرح «مشارق الدراري» ص ٦٠٥ إلى ٦١٠ ، طبعة انجمن فلسفه و عرفان اسلامي (بالفارسية)؛ والشرح بالعربية المطبوع في مصر سنة ١٢٩٣ هـ: ج ٢ ، ص ١٩٧ إلى ٢٠٠ .
قال العلامة شمس الدين محمّد بن محمود الأمليّ في كتاب «نفائس الفنون» ج ٢ ، ص ٢٦ و ٢٧ (ما ترجمته):

«ولأنّ حقيقة المحبّة هي نوع من علاقات الاتحاد التي تربط المحبّ بالمحجوب ، وجذبة من جذبات المحجوب التي تجذب المحبّ نحوه ، فينسلخ المحجوب تدريجياً من جميع صفاته نتيجة هذه الجذبة وتلك العلاقة ، ثمّ تسلبه ذاته بقبضة قويّة ومقتدرة»

وعلى أساس فناء الصفات واندكاك عالم الوجود في عالم الحق ،
 يصرح العارف الجليل المغربي بقوله :
 دیده‌ای وام کنم از تو ، به رویت نگرم
 زانکه شایسته دیدار تو نبود نظرم
 چون ترا هر نفسی جلوه به حسنی دگر است
 هر نفس زان نگران در تو به چشمی دگرم
 توئی از منظر چشمم نگران بر رخ خویش
 که توئی مردمک دیده و نور بصرم^١

و تضيفي عليه ذاتاً أخرى غيرها تناسباً أتصافه بصفاته هو . وبعد ذلك ، تتبدل صفاته
 الموجودة داخل تلك الذات؛ كما قال الجنيد: : المحبة دخول صفات المحب على البدن من
 المحب . وهنا يتضح لدينا سر فاذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ، وهي حقيقة:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
 فإذا أبصرتني أبصرتة
 نحن روحان حللنا بدنا
 وإذا أبصرتة أبصرتنا

ومع ذلك فلا يوجد سبب معين للمحبة (كما قيل) حيث:

إن المحبة أمرها عجب
 تلقى عليك وما لها سبب

ثم قال في ص ٣٢: «وقال بعضهم: إن الفناء هو الغياب عن الأشياء ، والبقاء حضور مع
 الحق ؛ وهذا المعنى هو نتيجة السكر . فقد قال صاحب «العوارف»: الفناء المطلق المطابق ،
 هو ما يستولي من أمر الحق سبحانه على العبد ، فيغلب كون الحق على كونه العبد . وهذه
 هي حقيقة مطلق الفناء».

١- يقول: «أعزني بصرأ لأنظر إليك به وإن كانت عيني لا تليق النظر إليه .

إن في كل نفس منك يتجلى مظهر آخر لجمالك ، وفي كل مرة أخاف فيها عليك
 فألحظك بعيني الأخرى .

أنت ناظر إلى حسنك وجمالك من نظرات عيوني ، لأنك أنت إنسان عيني وبؤبؤها

ونور بصري».

هر كه بی رسم و اثر گشت به کویش پی برد
 من بی رسم و اثر ناشده ، پی می نبرم
 تا زمن هست اثر ، از تو نیابم اثری
 کاشکی در دو جهان هیچ نبودی اثرم
 نتوانم به سر کوی تو کردن پرواز
 تا ز اقبال تو حاصل نبود بال و پرم
 بوی جانبخش تو همراه نسیم سحر است
 زان سبب مرده انفاس نسیم سحرم
 یار هنگام سحر بر دل ما کرد گذر
 گفت چون جلوه کنان بر دل تو می گذرم
 مغربی آینه دل ز غبار دو جهان
 پاک بزدای که پیوسته در او می نگرم^۱
 ونظم الحکیم الجلیل الحاج ملا هادی السبزواری شعراً قال فيه :

١- يقول: «إِنَّ مَنْ ذاب في الحق وانمحي فيه قد وصل إلى طوره، لكنني لم أصل إليه لأتني ما ذُبت ولا انمحي فيهِ.

فما زال أثر مني موجوداً ، لم أعثر لك على أثر ، فيا ليت ما كان لأثري من وجود في العالمين.

ليست لي القدرة على الطيران في سماءك ، حتى تمنى عليّ بجناحين .
 إن ريحك العطرة تعانق نسيم السحر ، ولهذا تراني قتيل نسيم ذلك السحر .
 مرّ الحبيب بجانب قلبي ساعة السحر ، قال : سأمرُّ على قلبك كما يفعل من يُريد الظهور (للآخرين).

يا مغربي! أزل غبار العالمين عن مرآة القلب وطهرها ، لأنني ما فتئت أنظر فيها .
 «ديوان شمس مغربي» ص ٨٦ و ٨٧ ، طبعة الإسلامية.

ای به ره جستجوی ، نعره زنان دوست دوست
 گر به حرم ور به دیر ، کیست جز او ، اوست اوست
 پرده ندارد جمال غیر صفات جلال
 نیست بر این رخ نقاب ، نیست بر این مغز پوست
 جامه دران گل از آن نعره زنان بلبلان
 غنچه بیچد به خود ، خون به دلش توبه پوست
 دم چو فرو رفت هاست ، هوست چو بیرون رود
 یعنی از او در همه هر نفسی های و هوست
 یار به کوی دل است ، کوی چو سرگشته گوی
 بحر به جوی است و جوی این همه در جستجوست
 با همه پنهانیش هست در اعیان عیان
 با همه بی‌رنگیش در همه ز او رنگ و بوست^۱

۱- يقول: «يا مَنْ تصرخ في بحثك: الحبيب الحبيب، مَنْ ذا غيره موجود في الحرم أو الدير؟ إنه هو.»
 لا ستار يُغْطِي الجمال سوى صفات الجلال ، ولا خمار يُخْفِي هذا الوجه ولا قشر يحيط بهذا اللب.
 إِنَّ الزهور تشقُّ أكامها لغناء البلابل ، والبراعم تملأ قلوبها بالدم.
 إِنَّ النَّفْس حين يدخل في الشهيق ، ويخرج في الزفير يعني أَنَّ منه (من الله) شهيقاً وزفيراً في كلِّ نفس.
 إِنَّ الحبيب (موجود) في طريق القلب والطريق كأنه حيران ، واتحد البحر بالغدير وأضحى الغدير يبحث كلَّ هذا البحث.
 إنه مع اختفائه واستتاره ظاهر وعيان في الأعيان ، وبالرغم من عدم تلوُّنه فقد اقتبس كلَّ شيء لونه وعبيره منه.»

یار در این انجمن یوسف سیمین بدن
 آینه‌خانه جهان، او به همه رو به روست
 پرده حجازی بساز یا به عراقی نواز
 غیر یکی نیست راز؛ مختلف از گفتگوست
 مخزن اسرار اوست سر سویدای دل
 در پیش اسرار باز در به در و کوبه کوست^۱

روی آية الله المرحوم الحاج ميرزا جواد آقا الملكى التبريزي هذا
 الحديث على صورتين . فقد قال : فلو كان العمل عملاً فلا بد أن يُخبر نوراً
 ومعرفةً في القلب . فلا يزال يزداد نوره حتى يكون محسوساً لكل أحد .
 أما سمعت ما في الحديث القدسي :

لَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَيَّ بِالنَّوْفِلِ حَتَّى أَجْعَلَهُ مِثْلِي - إلى آخره .
 وَلَا يَزَالُ يَتَقَرَّبُ الْعَبْدُ إِلَيَّ بِالنَّوْفِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ وَكُنْتُ سَمِعُهُ الَّذِي
 يَسْمَعُ بِهِ - إلى آخره .^۲

ويفصّل المحقق الفيض الكاشاني سماع الإمام جعفر الصادق عليه

۱- يقول : «إِنَّ مَثَلَ الْحَبِيبِ فِي حَفْلِنَا هَذَا كَمَثَلِ يَوْسُفَ ذِي الْجِسْمِ الْفَضِيِّ اللَّوْنِ ،
 يُشْبِهُ الْحَجْرَةَ الْمُغَطَّاةَ جِدْرَانِهَا بِالْمَرَايَا ، فَأَيْنَمَا وَاكَيْتَ وَجْهَكَ رَأَيْتَهُ ، فَهُوَ أَمَامَ الْجَمِيعِ .
 اصْنَعْ سِتَاراً حِجَازِيّاً أَوْ اعْرِضْ لِحَنّاً عِرَاقِيّاً ، فَلَا وَجُودَ إِلَّا لِسِرِّ وَاحِدٍ ؛ مُخْتَلَفٌ عَنِ كُلِّ
 (ما عهدناه من) حديث .

إنّه هو مخزن الأسرار وعيبتها وهو سرّ سویداء القلب ، وهو الذي يعرف الأسرار
 جميعاً .

«ديوان حکيم حاج ملا هادي سبزواري» المعروف بـ «اسرار» ص ۳۸ و ۳۹ ، مكتبة

تقفي ، إصفهان .

۲- «أسرار الصلاة» ص ۱۷۵ ، طبعة مطبعة حيدري ، سنة ۱۳۸۰ .

السلام كلامه هو كلام الله وبإذن الله بما يلي :
 وَعَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ حَالَةٍ لَحِقَتْهُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى خَرَّ
 مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ؛ فَلَمَّا أَفَاقَ قِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : مَا زِلْتُ أُرَدِّدُ هَذِهِ الْآيَةَ
 عَلَى قَلْبِي حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا ، فَلَمْ يَثْبُتْ جِسْمِي لِمُعَايَنَةِ
 قُدْرَتِهِ^١.

ويقول المحقق الفيض أيضاً في هذا الكتاب^٢ : «وقد أخبر جعفر بن
 محمد الصادق عليه السلام عن أعلى درجات هذه الحالة بقوله : وَاللَّهِ لَقَدْ
 تَجَلَّى اللَّهُ لِيَخْلُقَهُ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُونَ^٣. وبعدها بصفحة واحدة
 يورد الفيض هنا نفس الرواية السابقة التي نقلها في «أسرار الصلاة» .

يقول السيد ابن طاووس رحمه الله في كتاب «فلاح السائل»^٤ : فَقَدْ
 رُوِيَ أَنَّ مَوْلَانَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ [عَلَيْهِ السَّلَامُ] كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي
 صَلَاتِهِ ، فَعُشِيَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ : مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا أَنْتَهَتْ حَالُكَ
 إِلَيْهِ ؟ فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ : مَا زِلْتُ أُكْرِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى حَالٍ كَأَنِّي
 سَمِعْتُ مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا ، عَلَى الْمُكَاشَفَةِ وَالْعِيَانِ ، فَلَمْ تَقُمْ الْقُوَّةُ
 الْبَشَرِيَّةُ بِمُكَاشَفَةِ الْجَلَالَةِ الْإِلَهِيَّةِ .

وبعدها يقول السيد في توضيحه : «أنت الذي لا تعرف حقيقة هذا
 الأمر ، إياك وأن تستبعد ذلك ، أو يوسوس الشيطان لك فيجعلك تشك أو

١- «المحججة البيضاء» ج ١ ، ص ٣٥٢ ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٣٩ شمسي
 (١٩٦٠م)، كتاب «أسرار الصلاة» ؛ ويقول في التعليق عليه : عن «بحار الأنوار» عن «فلاح
 السائل» .

٢- ج ٢ ، ص ٢٤٧ ، كتاب آداب تلاوة القرآن .

٣- يقول في تعليقه : قد نقله الشهيد في «أسرار الصلاة» ص ٢٠٤ .

٤- ص ١٠٧ و ١٠٨ ، طبعة فرهومند ، سنة ١٣٨٢ .

تتردد في قبول هذا الذي نرويه لك . فعليك أن تؤمن بذلك ، أفلم تسمع بقول البارئ جلّ جلاله : فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا .

ويحكي آية الله الحاج ميرزا جواد آقا الملكي التبريزي في رسالة «لقاء الله»^١ وكذلك في كتاب «أسرار الصلاة»^٢ نفس عبارة السيّد في «فلاح السائل» ، ويقول في ص ٢١٢ من هذه الطبعة (وفي ص ٩٣ من الطبعة القديمة) : «والارتقاء هو أن تسمو به القراءة صعوداً حتى يصل إلى الحالة التي يسمع بها كلام الله كما رأيت في قراءة الإمام الصادق عليه السلام في الجملة التي يقول فيها : حَتَّى سَمِعْتُهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِ بِهَا» .

وفي ص ٢٤٢ من هذه الطبعة (ص ١٠٧ من الطبعة القديمة) يقول : وَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوِيَ مِنْ غَشْوَةِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ تَكَرُّارِ «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» ؛ وما روي عن الإمام السجّاد عليه السلام : إِذَا قَرَأَهُ ، يُكْرِرُهُ حَتَّى يَكَادُ أَنْ يَمُوتَ» .

يروى المجلسي رضوان الله عليه في «بحار الأنوار»^٣ عن «فلاح السائل» : «قال صاحب كتاب «زهرة المهج و توارىخ الحجج» بسنده عن الحسن بن محبوب ، عن عبد العزيز العبدي ، عن ابن أبي يعفور أنّه قال : قَالَ مَوْلَانَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ أَقْشَعَرَ جِلْدَهُ وَاصْفَرَ لَوْنُهُ وَارْتَعَدَ كَالسَّعْفَةِ»^٤ .

١- من النسخة الخطيّة بقلم الحقيّر: ص ١٦ و ١٧ ؛ ومن النسخة المطبوعة: ص ٤٣ .

٢- الطبعة الحجرية ، أحمد شاهي: ص ٨٤ و ٨٥ ؛ وطبعة فروهمند: ص ١٩٥ و ١٩٦ .

٣- طبعة الإسلامية ، ج ٨٤ ، ص ٢٤٧ ، كتاب الصلاة ، باب آداب الصلاة .

٤- «فلاح السائل» ص ١٠١ - التعليقة .

وبنفس المعنى يروي الكليني أن مولانا زين العابدين عليه السلام كان إذا قال: «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ»، يُكْرَرُهَا فِي قِرَاءَتِهِ حَتَّى كَانَ يَظُنُّ مَنْ يَرَاهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْرَفَ عَلَى مَمَاتِهِ.^١

وَرَوِيَ أَنَّ مَوْلَانَا جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كَانَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي صَلَاتِهِ فَعُشِيَ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أَفَاقَ سُئِلَ مَا الَّذِي أَوْجَبَ مَا انْتَهَتْ حَالُهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ مَا مَعْنَاهُ : مَا زِلْتُ أُكْرِرُ آيَاتِ الْقُرْآنِ حَتَّى بَلَغْتُ إِلَى حَالٍ كَأَنِّي سَمِعْتُهَا مُشَافَهَةً مِمَّنْ أَنْزَلَهَا».^٢ انتهت رواية المجلسي رحمه الله .

ويروي الكليني في «أصول الكافي»^٣ عن علي بن إبراهيم ، بإسناده عن الزهري قال: «قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ : لَوْ مَاتَ مَنْ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَمَا اسْتَوْحِشْتُ بَعْدَ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ مَعِي . وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَرَأَ «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» يُكْرِرُهَا حَتَّى كَادَ أَنْ يَمُوتَ .

يقول الملا عبد الرزاق الكاشاني في كتاب «الاصطلاحات» على هامش «شرح منازل السائرين» في «مائة باب» للخواجة عبد الله الأنصاري: الْمُطَّلَعُ هُوَ مَقَامُ شُهُودِ الْمُتَكَلِّمِ عِنْدَ تِلَاوَةِ آيَاتِ كَلَامِهِ مُتَجَلِّياً بِالصِّفَةِ الَّتِي هِيَ مَصْدَرُ تِلْكَ الْآيَةِ . قَالَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ [عَلَيْهِمَا السَّلَامُ]: لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنْ لَا يُبْصِرُونَ . وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي الصَّلَاةِ فَخَرَّ مَعْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ : مَا زِلْتُ أُكْرِرُهَا حَتَّى سَمِعْتُ مِنْ قَائِلِهَا .

قال الشيخ الكبير شهاب الدين قدس الله سره: كَانَ لِسَانُ جَعْفَرِ

١- «فلاح السائل» ص ١٠٤ - التعليقة.

٢- «فلاح السائل» ص ١٠٧ و ١٠٨ - التعليقة.

٣- ج ٢، ص ٦٠٢، كتاب فضل القرآن، الطبعة الثانية، سنة ١٣٨١، مكتبة الصدوق.

الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَشَجَرَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَ نِدَائِهِ مِنْهَا بِأَنِّي أَنَا اللَّهُ . وَلَعَمْرِي أَنَّ الْمُطَّلَعَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ مَقَامٌ شُهُودِ الْحَقِّ فِي كُلِّ شَيْءٍ مُتَجَلِّياً بِصِفَاتِهِ الَّتِي ذَلِكَ الشَّيْءُ مَظْهَرُهَا ؛ لَكِنْ لَمَّا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ [صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ] : «مَا مِنْ آيَةٍ إِلَّا وَلَهَا ظَهْرٌ وَبَطْنٌ ، وَلِكُلِّ حَرْفٍ حَدٌّ وَلِكُلِّ حَدٍّ مُطَّلَعٌ خَصُّوهُ بِذَلِكَ»^١ .

يقول الغزالي في «إحياء العلوم»^٢ : وأخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه عن عظمة قراءة القرآن قال : وَاللَّهِ لَقَدْ تَجَلَّى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِخَلْقِهِ فِي كَلَامِهِ وَلَكِنَّهُمْ لَا يُبْصِرُونَ . وَقَالَ أَيْضاً وَقَدْ سَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ لِحِقَّتُهُ فِي الصَّلَاةِ - حَتَّى آخِرِ الرَّوَايَةِ الْمَرْوِيَةِ فِي «فَلَاحِ السَّائِلِ» وَعِنْدَهَا يَقُولُ : «وَعَلَيْهِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الدَّرَجَةِ ، تَزْدَادُ حِلَاوَةَ الْقِرَاءَةِ وَلَذَّةَ الْمُنَاجَاةِ حَتَّى يَقُولُ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ : لَقَدْ اعْتَدْتُ عَلَى قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَلَكِنْ بَدُونَ أَنْ أَشْعُرَ بِحِلَاوَةِ ذَلِكَ ، حَتَّى صرْتُ أَقْرَأَهُ بِشَكْلِ وَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ مِنْ لِسَانِ النَّبِيِّ وَهُوَ يَتْلُوهُ عَلَى أَصْحَابِهِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ ، ارْتَقَيْتُ مَرْتَبَةً أَعْلَى ، وَذَلِكَ بِقِرَاءَتِهِ بِشَكْلِ يَجْعَلُنِي وَكَأَنِّي أَسْمَعُ جِبْرَائِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْقِيهِ عَلَى النَّبِيِّ ، وَبَعْدَهَا أَكُونُ فِي حَالَةٍ وَكَأَنِّي أَسْمَعُهُ مِنَ النَّاطِقِ بِالْقُرْآنِ نَفْسَهُ . وَهَنَا ، أَشْعُرُ بِلَذَّةٍ وَنَعِيمٍ لَا أَقْوَى عَلَيْهِمَا وَلَا أَتَمَلِّكُ نَفْسِي» - انْتَهَى كَلَامُ الْغَزَالِيِّ .

يقول مؤلف «كشف الغايات في شرح ما اكتنفت عليه التجليات»^٣

١- الطبعة الحجرية ، ص ١٢٠ .

٢- طبعة دار الكتب العربية الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٥٩ .

٣- طبعة مركز نشر دانشگاهی - طهران ١٤٠٨ هـ ، بتحقيق عثمان إسماعيل يحيى ،

وهو شرح على كتاب «التجليات الإلهية» لمحيي الدين بن عربي: كَانَ
الإمام جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّادِقِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ذَاتَ يَوْمٍ فِي الصَّلَاةِ ،
فَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ . فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ : مَا زِلْتُ أُكْرِرُ آيَةً حَتَّى سَمِعْتُ مِنْ
قَائِلِهَا ، فَكَانَ بِي مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَ . (عن «عوارف المعارف» للسهروردي
و«إحياء العلوم»).

يقول الحكيم السيزواري في «ديوان أسرار»^١ :

شورش عشق تو در هيچ سرى نيست كه نيست

منظر روى تو زيب بصرى نيست كه نيست

نيست يك مرغ دلى ، كش نفكندى به قفس

تير بيداد تو تا پر به پرى نيست كه نيست

ز فغانم ز فراق رخ و زلفت به فغان

سگ كويت همه شب تا سحرى نيست كه نيست

نه همين از غم او سينه ما صد چاك است

داغ او لاله صفت بر جگرى نيست كه نيست^٢

١- ص ٣٩ و ٤٠ ، طبعة كتابفروشى ثقفي - إصفهان ، سنة ١٣٣٨ شمسي (= ١٩٥٩م).

٢- يقول : «ليس من رأس إلا وفيه هياج حبك ، وليس من بصر إلا وهو ناظر إلى

طلعتك الجميلة.

لقد أسرت في قفصك كل طائر من طيور القلوب وحبسته فيه ، وإن سهامك القاتلة

لا تعرف الخيبة أبداً.

ما بقي صوت لعواء كلب عند حيك لارتفاع صوت صراخي وأنيبي كل ليلة إلى وقت

السحر.

ليست صدورنا هي وحدها التي تمرقت بسبب الحزن عليه وحسب ، بل إن الأسي

الذي خلفه فينا وضع علائمه واضحة على جميع الأكباد».

موسئى نىست كه دعوىّ أنا الحقّ شنود
ور نه اين زمزمه اندر شجرى نىست كه نىست
چشم ما ديدة خفّاش بود ورنه ترا
پرتو حسن به ديوار و درى نىست كه نىست
گوش اسرار شنو نىست وگر نه اسرار
برش از عالم معنى خبرى نىست كه نىست^١

١- يقول: «ليس هناك موسى لىسمع نداء (أنا الحقّ)، وإلا فليس من شجرة إلا وتضجّ بهذا النداء.

لا شك أنّ عيوننا تشبه عيون الخفافيش، وإلا، فنور جمالك الذي لا نظير له يملأ الأبواب والجدران.

ولىست هناك أذنّ واعية تعي تلك الأسرار، وإلا فمن أين حصل «أسرار» على (كلّ تلك) الأخبار من عالم المعنى؟».

الْبَحْثَانِ الْحَادِي عَشْرَ وَالثَّانِي عَشْرَ

اللَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، افْتَحْ عَيْنَيْكَ وَحَدِّقْ

وَتَفْسِيرُ الْآيَةِ الْمُبَارَكَةِ

مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ
وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ
وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ

قَالَ اللَّهُ الْحَكِيمُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ :
مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ .^١
والآيات السابقة لها هي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَ * أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ *
وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ
الْكَاذِبِينَ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ .

أما الآيات اللاحقة لها فهي :
وَمَنْ جَاهِدْ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ *
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ
أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ .

١- الآية ٥، من السورة ٢٩: العنكبوت.

في الآية ، موضوع البحث ، يعد الله سبحانه وتعالى شأنه ، المشتاقين إلى رؤيته صراحةً بلقائه وزيارته ، وينبته إلى أن الأمر لا ينتهي بمجرد قول الشهادتين والإيمان باللسان ، بل إن المؤمنين أمامهم امتحانات عديدة عليهم اجتيازها ، وبدون الاختبار ، ووضع المتفوهين بالشهادتين والإيمان باللسان على محك التجربة ، يستحيل على أحد الصعود إلى درجات النعيم والفوز بالجنان ولقاء جمال الوهاب المتان ، وهي سنة سنّية ، ودأب قديم لله في إخضاع كل الأمم والأقوام للامتحان ، حتى يتبين المؤمن الصادق من المدعي الكاذب .

ولقد ساء ما يعتقد به البعض وضلّ ضلالاً كبيراً ، أنه بارتكاب القبائح والمعاصي يسبقون إرادة الله واختياره وقدره وقضائه ، بل سيندحرون ، وسيتبين لهم أنهم توهموا كونهم أحراراً غير مقتيدين في ارتكابهم تلك الأعمال في عالم الكون والأمر والخلق والإيجاد ، ساء ما يعتقدون به ويظنون ، حيث لم يعقلوا أن استباقهم لأمر الله وتأخرهم عنه ، هو أمر إلهي محيط بهم ، وأنهم بطريقة تفكيرهم هذه إنما يضعون أنفسهم في قبضة إرادة الله القاهرة ومشيتته الغالبة .

وأما الذين يتوقون إلى رؤية الله ولقائه ، فستتحقق لهم أمنيتهم تلك ، ولن يخيب أملهم أو تحبط مساعيهم ؛ وسيحين موعد اللقاء ، وتطوى صفحة البعد والهجران ، فالله الواحد العالم بالخلق والسميع بهم ؛ على علم تام بتلك الأمنية ، وسيكشف النقاب عن وجهه المشرق ، وسيلقى السالك جازته لقاء سعيه واجتهاده الحثيث في سبيل لقاء الله ورؤيته .

إن اجتهاد الناس ورغبتهم في لقاء الله ، لا ينفع الله في شيء ، لأنه غني عن العالمين ، وإن مردود وثواب اجتهاد وسعي الإنسان المجاهد والساعي والسالك ، إنما هو عائد له .

إن الذين آمنوا بالله لا بلسانهم بل بأعماق قلوبهم ، وأعقبوا ذلك أعمالاً صالحة تُرضي الله المحبوب الأزلي ، الذين تجيش في نفوسهم فكرة لقاء الله ، فلا جرم أن الله سبحانه سيغفر ما تقدم من ذنوب هؤلاء المحببين الصادقين ويثيبهم على صالح أعمالهم .

قال جناب أستاذنا الأعظم المفسر الأكبر : العلامة الطباطبائي قدس الله تربته المنيفة في تفسير هذه الآيات :

«يلوح من سياق آيات السورة وخاصة ما في صدرها من الآيات أن بعضاً ممن آمن بالنبوي صلى الله عليه وآله بمكة قبل الهجرة رجع عنه خوفاً من فتنة كانت تهدده من قبل المشركين ، فإن المشركين كانوا يدعونهم إلى العود إلى ملتهم ويضمنون لهم أن يحملوا خطاياهم إن اتبعوا سبيلهم فإن أبوا فتنوهم وعذبوهم ليعيدوهم إلى ملتهم .

يشير إلى ذلك قوله تعالى : وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ - الآية ١ .

وقوله : وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ - الآية ٢ .

وكان في هؤلاء الراجعين عن إيمانهم من كان رجوعه بمجاهدة من والديه على أن يرجع وإحاح منهما عليه في الارتداد كبعض أبناء المشركين على ما يستشتم من قوله تعالى : وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا - الآية ٣ ، وقد نزلت

١- الآية ١٢ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٢- الآية ١٠ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٣- الآية ٨ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

السورة في شأن هؤلاء .

فغرض السورة على ما يستفاد من بدئها وختامها والسياق الجاري فيها أنّ الذي يريده الله سبحانه من الإيمان ليس هو مجرد قولهم : **ءَامَنَّا بِاللَّهِ** ، بل هو حقيقة الإيمان التي لا تحرّكها عواصف الفتن ولا تغيّر ها غير الزمن ، وهي إنما تثبتت وتستقرّ بتوارد الفتن وتراكم المحن .

فالناس غير متروكين بمجرد أن يقولوا : **ءَامَنَّا بِاللَّهِ** دون أن يُفتنوا ويمتحنوا فيظهر ما في نفوسهم من حقيقة الإيمان أو وصمة الكفر فليعلمنّ الله الذين صدقوا ويعلم الكاذبين .

فالفتننة والمحنة سُنّة إلهية لا معدّل عنها تجري في الناس الحاضرين كما جرت في الأمم الماضية كقوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم ولوط وشعيب وموسى فاستقام منهم من استقام وهلك من هلك . **وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ** ^١ .

فعلى من يقول : **ءَامَنْتُ بِاللَّهِ** أن يصبر على إيمانه ويعبد الله وحده فإن تعدّرت عليه القيام بوظائف الدين فليهاجر إلى أرض يستطيع فيها ذلك فأرض الله واسعة ولا يخفّ عسر المعاش فإنّ الرزق على الله .

وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ^٢ .

وأما المشركون الذين يفتنون المؤمنين من غير جرم أجرموه إلا أن يقولوا : **رَبُّنَا اللَّهُ** فلا يحسبوا أنّهم يُعجزون الله ويسبقونه ، فأما فتنتهم للمؤمنين وإبذائهم وتعذيبهم فإنّما هي فتنة لهم وللمؤمنين غير خارجة عن علم الله وتقديره ، فهي فتنة وهي محفوظة عليهم إن شاء أخذهم بوبالها في

١- ذيل الآية ٣٣ ، من السورة ١٦ : النحل .

٢- صدر الآية ٦٠ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

الدنيا وإن شاء أخرهم إلى يوم يُرجعون فيه إليه ، وما لهم من محيص .
وأما ما لفقوه من الحجّة وركنوا إليه من باطل القول فهو داحض
مردود إليهم والحجّة قائمة تامّة عليهم .

ثم يصل سماحة الأستاذ إلى تفسير الآية الثانية فيقول :
قوله تعالى : **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَذِبِينَ .**

اللامان للقسم ، وقوله : **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** حال من الناس في
قوله : **أَحْسِبَ النَّاسَ ،** أو من ضمير الجمع في قوله : **لَا يُفْتَنُونَ .** وعلى
الأول فالإنكار والتوبيخ متوجه إلى ظنهم أنهم لا يفتنون مع جريان السنّة
الإلهيّة على الفتنة والامتحان ، وعلى الثاني إلى ظنهم الاختلاف في فعله
تعالى حيث يفتن قوماً ولا يفتن آخرين ، ولعلّ الوجه الأول أوفق للسياق .
فالظاهر أنّ المراد بقوله : **وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ** أنّ الفتنة
والامتحان سنّة جارية لنا وقد جرت في الذين من قبلهم وهي جارية
وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا .^١

وقوله : **فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا** إلى آخر الآية ، تعليل لما قبله ،
والمراد بعلمه تعالى بالذين صدقوا [و] بالكاذبين ظهور آثار صدقهم
وكذبهم في مقام العمل بسبب الفتنة والامتحان الملازم لثبوت الإيمان في
قلوبهم حقيقة وعدم ثبوته فيها حقيقة فإنّ السعادة التي تترتب الإيمان
المدعو إليه وكذا الثواب إنما تترتب على حقيقة الإيمان الذي له آثار
ظاهرة من الصبر عند المكاره والصبر على طاعة الله والصبر عن معصية
الله لا على دعوى الإيمان المجردة .

١- ذيل الآية ٢٣ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

ويمكن أن يكون المراد بالعلم علمه تعالى الفعلي الذي هو نفس الأمر الخارجي ، فإنَّ الأمور الخارجيَّة بنفسها من مراتب علمه تعالى ، وأمَّا علمه تعالى الذاتي فلا يتوقَّف على الامتحان البتَّة .

والمعنى : أَحَسِبُوا أن يتركوا ولا يُفْتَنُوا بمجرد دعوى الإيمان وإظهاره ، والحال أنَّ الفتنة سنَّتنا وقد جرت في الذين من قبلهم ، فمن الواجب أن يتميَّز الصادقون من الكاذبين بظهور آثار صدق هؤلاء وآثار كذب أولئك ، الملازم لاستقرار الإيمان في قلوب هؤلاء وزوال صورته الكاذبة عن قلوب أولئك .

والالتفات في قوله «فليعلمنَّ الله» إلى اسم الجلالة قيل : للتحويل وتربية المهابة ، والظاهر أنَّه في أمثال المقام لإفادة نوع من التعليل . وذلك أنَّ الدعوة إلى الإيمان والهداية إليه والثواب عليه لمَّا كانت راجعة إلى المسمَّى بالله الذي (مِنْهُ يَبْدَأُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَبِهِ يَقُومُ كُلُّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْهِ يَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ بِحَقِيقَتِهِ) . فمن الواجب أن يتميَّز عنده حقيقة الإيمان من دعواه الخالية ، ويخرج عن حال الإبهام إلى حال الصراحة ، ولذلك عدل عن مثل قولنا : فَلَنَعْلَمَنَّ ، إلى قوله : فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ .

قوله تعالى : أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَن يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ .

«أَمْ» منقطعة ، والمراد بقوله : الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ المشركون الذين كانوا يفتنون المؤمنين ويصدّونهم عن سبيل الله ، كما أنَّ المراد بالناس في قوله : أَحَسِبَ النَّاسُ هم الذين قالوا : ءَأَمَّنَّا ، وهم في معرض الرجوع عن الإيمان خوفاً من الفتنة والتعذيب .

والمراد بقوله : أَن يَسْبِقُونَا ، الغلبة والتعجيز بسبب فتنة المؤمنين وصدّهم عن سبيل الله ، على ما يعطيه السياق .

وقوله : سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، تخطئة لظنهم أنهم يسبقون الله بما يمكرون من فتنة وصدّ ، فإن ذلك بعينه فتنة من الله لهم أنفسهم وصدّ لهم عن سبيل السعادة ؛ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ^١ .
ثم يصل العلامة بعد بيان موجز إلى هذه الآية ، فيقول في تفسيرها وتفسير الآيتين اللتين تعقبانها :

«قوله تعالى : مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . إلى تمام ثلاث آيات . لما وبّخ سبحانه الناس على استهانتهم بأمر الإيمان ورجوعهم عنه بأيّ فتنة وإيذاء من المشركين ووبّخ المشركين على فتنتهم وإيذائهم المؤمنين وصدّهم عن سبيل الله إرادة لإطفاء نور الله وتعجيزاً له فيما شاء وخطأ الفريقين فيما ظنّوا . رجوع إلى بيان الحقّ الذي لا معدّل عنه والواجب الذي لا مخلص منه ، فبيّن في هذه الآيات الثلاث أنّ من يؤمن بالله لتوقع الرجوع إليه ولقائه ، فليعلم أنّه آتٍ لا محالة وأنّ الله سميع لأقواله عليم بأحواله وأعماله ، فليأخذ حذره وليؤمن حقّ الإيمان الذي لا يصرفه عنه فتنة ولا إيذاء وليجاهد في الله حقّ جهاده ، وليعلم أنّ الذي ينتفع بجهاده هو نفسه ولا حاجة لله سبحانه إلى إيمانه ولا إلى غيره من العالمين ، وليعلم أنّه إن آمن وعمل صالحاً فإنّ الله سيكفر عنه سيئاته ويجزيه بأحسن أعماله .

والعلمان الأخيران يؤكّدان العلم الأوّل ويستوجبان لزومه الإيمان

١- الآيتان ٤٢ و ٤٣ ، من السورة ٣٥ : فاطر : وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لِيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ الْإِيمَانِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * أَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأُولِينَ فَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا .

وصبره على الفتن والمحن في جنب الله .

فقوله : مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ ، رجوع إلى بيان حال مَنْ يقول : آمنت فإنه إنما يؤمن لو صدق بعض الصدق لتوقعه الرجوع إلى الله سبحانه يوم القيامة ، إذ لولا المعاد للغي الدين من أصله ، فالمراد بقوله : مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ؛ أو من كان يقول : آمَنْتُ بِاللَّهِ . فالجملة من قبيل وضع السبب موضع المسبب .

والمراد بـ لِقَاءَ اللَّهِ وقوف العبد موقفاً لا حجاب بينه وبين ربه ، كما هو الشأن يوم القيامة الذي هو ظرف ظهور الحقائق ، قال تعالى :

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۱ .

وقيل : المراد بلقاء الله هو البعث . وقيل : الوصول إلى العاقبة من لقاء ملك الموت والحساب والجزاء . وقيل : المراد ملاقة جزاء الله من ثواب أو عقاب . وقيل : ملاقة حكمة يوم القيامة ، والرجاء على بعض هذه الوجوه بمعنى الخوف .

وهذه وجوه مجازية بعيدة لا موجب لها إلا أن يكون من التفسير بلازم المعنى .

وقوله : فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ، الأجل هو الغاية التي ينتهي إليها زمان الدين ونحوه ، وقد يطلق على مجموع ذلك الزمان والغالب في استعماله هو المعنى الأوّل .

وَأَجَلَ اللَّهِ : هو الغاية التي عينها الله تعالى للقاءه ، وهو آت لا ريب فيه وقد أكد القول تأكيداً بالغاً ، ولازم تحتم إتيان هذا الأجل وهو يوم القيامة أن لا يسامح في أمره ولا يستهان بأمر الإيمان بالله حق الإيمان

١- ذيل الآية ٢٥ ، من السورة ٢٤ : النور .

والصبر عليه عند الفتن والمحن من غير رجوع وارتداد ، وقد زاد في تأكيد القول بتذييله بقوله : **وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ** ، إذ هو تعالى لَمَا كَانَ سَمِيعاً لأقوالهم عليماً بأحوالهم فلا ينبغي أن يقول القائل : آمنت بالله إلا عن ظهر القلب ومع الصبر على كل فتنة ومحنة .

ومن هنا يظهر أن ذيل الآية : **فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ** من قبيل وضع السبب موضع المسبب كما كان صدرها : **مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ** أيضاً ، والأصل من قال : **آمَنْتُ بِاللَّهِ** . فليقله مستقيماً صابراً عليه مجاهداً في ربه . وقوله : **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ، المجاهدة والجهاد مبالغة من الجهد بمعنى بذل الطاقة ، وفيه تنبيه لهم أن مجاهدتهم في الله بلزوم الإيمان والصبر على المكاره دونه ليست ممّا يعود نفعه إلى الله سبحانه حتى لا يهتمهم ويُلغوه لغناهم عنه ، بل إنّما يعود نفعه إليهم أنفسهم ، لغناه تعالى عن العالمين ، فعليهم أن يلزموا الإيمان ويصبروا على المكاره دونه .

فقوله : **وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ** تأكيد لحجّة الآية السابقة . وقوله : **إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** تعليل لما قبله .

والالتفات من سياق التكلم بالغير إلى اسم الجلالة في الآيتين نظير ما مرّ من الالتفات في قوله : **فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا** .

وقوله : **وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ** . بيان لعاقبة إيمانهم حقّ الإيمان المقارن للجهاد ويتبين به أنّ نفع إيمانهم يعود إليهم لا إلى الله سبحانه وأنّه عطية من الله وفضل .

وعلى هذا فالآية لا تخلو من دلالة ما على أنّ الجهاد في الله هو الإيمان والعمل الصالح ، فإنّها في معنى تبديل قوله في الآية السابقة : «ومن

جاهد» من قوله في هذه الآية : «والذين آمنوا وعملوا الصالحات» .
وتكفير السيئات هو العفو عنها ، والأصل في معنى الكفر هو الستر ،
وقيل : تكفير السيئات هو تبديل كفرهم السابق إيماناً ومعاصيهم السابقة
طاعات ، وليس بذلك .

وجزاؤهم بأحسن الذي كانوا يعملون هو رفع درجاتهم إلى ما
يناسب أحسن أعمالهم أو عدم المناقشة في أعمالهم عند الحساب إذا كانت
فيها جهات رداءة وخسة فيعاملون في كل واحد من أعمالهم معاملة من أتى
بأحسن عمل من نوعه فتحتسب صلاتهم أحسن الصلاة وإن اشتملت على
بعض جهات الرداءة وهكذا»^١ .

وعموماً ، فإنّ هذه الآية الشريفة التي نحن بصدددها ، وبالنظر إلى ما
أوردناه من تفسير العلامة قدس الله سرّه تبين بوضوح أنّ لقاء الله هو أمر
حتمي ، وللوصل إلى ذلك ، لزم أن يعمل الراغبون للقائه على حزم أمرهم
وأن يتهيأوا لذلك ويخطوا بخطوات ثابتة وبعزم راسخ للمضي في هذا
الطريق ، وألا يخشوا أية آفة أو عاهة في هذا السبيل ، وألا يردعهم رادع
أو مانع يصادفهم ، وعليهم إزالة كل تلك الموانع بالاستعانة بالله ،
ولا يستوحشوا ممّا يلاقيهم من محن واختبارات مفروضة في هذا الطريق ،
حتّى ينعموا بوصاله سبحانه ويمدد منه . إنّ هذا ليس حكراً على أمة خاتم
الأنبياء ، فهذه السنّة مع جميع الأمم السالفة ، وكلّ الأقوام المؤمنة بأنبيائها .
إنّ الأعذار لن تجدي شيئاً ، وتأجيل العمل إلى الغد ، لن يُثمر ،
وإسدال ستار الجهل والحُمق على البصيرة يحول دون ورود النور إلى
القلوب .

١- «الميزان في تفسير القرآن» ج ١٦ ، ص ١٠١ إلى ١٠٧ ، طبعة الآخونديّ .

فكيف لله أن يفهم عباده ، وبأية وسيلة أو طريقة ، فيعقل السفهاء ، ويفيق النائمون ، وينتبه الغافلون ؟

فوالله وتالله وبالله ، لو لم تكن في القرآن كله إلا هذه الآيات الأخيرة المذكورة في أول سورة العنكبوت ، والتي تمّ تفسيرها إجمالاً من قبل الأستاذ العلامة فقيده الفقه والعلم والعرفان والبصيرة والشهود ، فنقرأها ونفهمها ، لكفى بها من عبرة ، فما بالك مع باقي الآيات في القرآن التي تبحث جلّها وحدة الحقّ ، ووجود واجب الوجود ، والتي تبين لنا بوضوح وصریح البيان لقاءه سبحانه .

نخست ديدہ طلب کن ، پس آنگھی دیدار
از آنکہ یار کند جلوہ بر اولو الأبصار
ترا کہ دیدہ نباشد کجا توانی دید
به گاہ عرض تجلی جمال چہرہ یار
اگر چہ جملہ یرتو ، فروغ حُسن وی است
ولی چو دیدہ نباشد کجا شود نَظّار
ترا کہ دیدہ نباشد چہ حاصل از شاہد
ترا کہ گوش نباشد چہ سود از گفتار^١

١- يقول: «في البدء اطلب عينين ، ثم اسأل عن اللقاء والموعود ، حتّى يتجلى الحبيب لأولي الأبصار .

فإذا لم تكن لك عينان فأنتى لك أن تبصر مكان تجلي جمال مُحَيّا الحبيب؟
إنّه وإن كان النور كلّهُ هو شعاع حسنه (أي الحبيب) ، لكن لا يمكنك أن تكون ناظرًا ما لم تكن لديك عينان تبصر بهما .
إذا لم تكن لديك عينان فما الفائدة من حضور الحبيب عندك ، وإذا لم تكن لديك أذنان فما فائدة التحدّث (معه) .»

ترا که دیده بود پر غبار ، نتوانی
 صفای چهره او دید با وجود غبار
 اگر چه آینه داری برای حسن رخس
 ولی چه سود که داری همیشه آینه تار
 بیا به صیقل توحید ، آینه بزداى
 غبار شرک ، که تا پاک گردد از زنگار
 اگر نگار تو آئینه‌ای طلب دارد
 روان تو دیده دل را به پیش او می‌دار
 جمال حسن ترا صد هزار زیب افزود
 از آنکه حسن ترا مغربی است آینه دار^۱
هُوَ الْحُبُّ
هُوَ الْحُبُّ فَاسْلَمَ بِالْحَشَا مَا الْهَوَى سَهْلٌ
فَمَا اخْتَارَهُ مُضْنَى بِهِ ، وَلَهُ عَقْلٌ

۱- يقول : «وإذا كانت عينك مليئة بالغبار ، لن تستطيع معاينة صفاء وجهه (أي الحبيب) مع وجود ذلك الغبار.

إنك وإن كنت تملك مرآة لحسن محيآه ، لكن لا فائدة منها إذا كانت لا تُظهر الأشياء فيها بوضوح.

تعال وأزِلْ غبار الشرك عن المرآة بمصقلة التوحيد حتى تتطهر وتخلص من كل صدأ (بها).

إذا كان معشوقك وحبيبك يتطلب مرآة ، لزم أن تضع عيني فؤادك أمامه .
 لقد أضفى الجمال والحسن عليك ألف نوع من الزينة ، لأن «المغربي» هو الحامل
 للمرأة التي ترى فيها نفسك» .

«ديوان شمس المغربي» ص ٦٧ و٦٨ ، طبعة الإسلامية ، سنة ١٣٤٨ شمسية هجرية
 (١٩٦٩م).

وَعِشْ خَالِيًا ، فَالْحُبُّ رَاحَتُهُ عَنَا
 وَأَوْلَاهُ سُقْمٌ ، وَأَخِرُهُ قَتْلُ
 وَلَكِنْ لَدَيَّ الْمَوْتُ فِيهِ صَبَابَةٌ
 حَيَاةٌ لِمَنْ أَهْوَى ، عَلَيَّ بِهَا الْفَضْلُ
 نَصَحْتُكَ عِلْمًا بِالْهَوَى وَالَّذِي أَرَى
 مُخَالَفَتِي ، فَاخْتَرْتُ لِنَفْسِكَ مَا يَحْلُو
 فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا ، فَمُتْ بِهِ
 شَهِيدًا وَإِلَّا فَالْغَرَامُ لَهُ أَهْلُ
 فَمَنْ لَمْ يَمُتْ فِي حُبِّهِ لَمْ يَعِشْ بِهِ
 وَدُونَ اجْتِنَاءِ النَّحْلِ مَا جَنَتِ النَّحْلُ
 تَمَسَّكَ بِأَذْيَالِ الْهَوَى ، وَاخْلَعَ الْحَيَا
 وَخَلَّ سَبِيلَ النَّاسِكِينَ ، وَإِنْ جَلُّوا
 وَقُلْ لِقَتِيلِ الْحَبِّ : وَفَيْتَ حَقَّهُ
 وَلِلْمُدَّعِي : هَيْهَاتَ مَا الْكَحْلُ الْكَحْلُ^١
 تَعَرَّضَ قَوْمٌ لِلْغَرَامِ وَأَعْرَضُوا
 بِجَانِبِهِمْ عَنِ صِحَّتِي فِيهِ وَاعْتَلُّوا
 رَضُوا بِالْأَمَانِي ، وَابْتَلُّوا بِحُظُوظِهِمْ
 وَخَاضُوا بِحَارِ الْحَبِّ دَعْوَى فَمَا ابْتَلُّوا
 فَهُمْ فِي السَّرَى لَمْ يَبْرَحُوا مِنْ مَكَانِهِمْ
 وَمَا ظَعَنُوا فِي السَّيْرِ ، عَنْهُ وَقَدْ كَلُّوا

١- الكحل : عينٌ مكحولَةٌ ؛ الكحل : سوادُ العينِ خِلقَةٌ.

وَعَنْ مَذْهَبِي ، لَمَّا اسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَيَّ الـ
هَدَى حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ضَلُّوا
أَحِبَّةَ قَلْبِي ، وَالْمَحَبَّةُ شَافِعِي
لَدَيْكُمْ ، إِذَا شِئْتُمْ بِهَا اتَّصَلَ الْحَبْلُ
عَسَى عَطْفَةٌ مِنْكُمْ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ
فَقَدْ تَعَبْتُ بِسِنِّي وَبَيْنَكُمْ الرُّسُلُ
أَحِبَّايَ أَنْتُمْ ، أَحْسَنَ الدَّهْرِ أَمْ أَسَا
فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ ، أَنَا ذَلِكَ الْخِلُّ
إِذَا كَانَ حَظِّي الْهَجْرُ مِنْكُمْ وَلَمْ يَكُنْ
بِعَادٍ فَذَلِكَ الْهَجْرُ عِنْدِي هُوَ الْوَصْلُ
وَمَا الصَّدُّ إِلَّا الْوُدُّ مَا لَمْ يَكُنْ قَلِيًّا
وَأَضْعَبُ شَيْءٍ غَيْرِ إِعْرَاضِكُمْ سَهْلًا
وَتَعْذِيبِكُمْ عَذْبٌ لَدَيَّ وَجَوْرُكُمْ
عَلَيَّ بِمَا يَقْضِي الْهَوَى لَكُمْ عَدْلًا
وَصَبْرِي صَبْرٌ عَنْكُمْ ، وَعَالِيكُمْ
أَرَى أَبَدًا عِنْدِي مَرَارَتُهُ تَحْلُو
أَخَذْتُمْ فُؤَادِي وَهُوَ بَعْضِي فَمَا الَّذِي
يَضْرُكُكُمْ لَوْ كَانَ عِنْدَكُمْ الْكُلُّ
نَأَيْتُمْ فَغَيْرَ الدَّمْعِ لَمْ أَرْ وَافِيًّا
سِوَى زَفْرَةٍ مِنْ حَرِّ نَارِ الْجَوَى تَغْلُو
فَسُهْدِي حَيٌّ فِي جُفُونِي مُخَلَّدٌ
وَنَوْمِي بِهَا مَيِّتٌ وَدَمْعِي لَهُ غُسْلٌ

هَوَى طَلَّ مَا بَيْنَ الطُّلُولِ دَمِي فَمِنْ
جُفُونِي جَرَى بِالسَّفْحِ مِنْ سَفْحِهِ وَبُلُّ
تَبَالَهُ قَوْمِي ، إِذْ رَأَوْنِي مُتَيَّمًا
وَقَالُوا : بِمَنْ هَذَا الْفَتَى مَسَّهُ الْخَبْلُ ؟
وَمَاذَا عَسَى عَنِّي يُقَالُ سِوَى : غَدَا
بِنُعْمٍ لَهُ شُغْلٌ ، نَعَمَ لِي بِهَا شُغْلٌ
وَقَالَ نِسَاءُ الْحَيِّ : عَنَا بِذِكْرِ مَنْ
جَفَانَا ، وَبَعْدَ الْعِزِّ لَذَّةُ الذُّلِّ
إِذَا أَنْعَمْتَ نِعْمَ عَلَيَّ بِنَظْرَةٍ
فَلَا أَسْعَدْتُ سُعْدَى وَلَا أَجَمَلْتُ جُمَّلُ
وَقَدْ صَدَيْتُ عَيْنِي بِرُؤْيَاهَا
وَلَسْتُ جُفُونِي تُرَبِّهَا لِالصَّدَا يَجْلُو
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي قَتِيلٌ لِحَاظِهَا
فَإِنَّ لَهَا فِي كُلِّ جَارِحَةٍ نَضْلُ
حَدِيثِي قَدِيمٌ فِي هَوَاهَا وَمَا لَهُ
كَمَا عَلِمْتَ بَعْدُ ، وَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ
وَمَا لِي مِثْلٌ فِي غَرَامِي بِهَا ، كَمَا
غَدَتْ فِتْنَةٌ فِي حُسْنِهَا مَا لَهَا مِثْلُ
حَرَامٌ شِفَا سُقْمِي لَدَيْهَا رَضِيْتُ مَا
بِهِ قَسَمْتُ لِي فِي الْهَوَى وَدَمِي حِلُّ
فَحَالِي وَإِنْ سَاءَتْ فَقَدْ حَسَنْتُ بِهَا
وَمَا حَطَّ قَدْرِي فِي هَوَاهَا بِهِ أَعْلُو

وَعِنُونِ مَا فِيهَا لَقِيتُ وَمَا بِهِ
 شَقِيتُ وَفِي قَوْلِي اخْتَصَرْتُ وَلَمْ أَغْلُ
 خَفِيتُ ضَنْيَ حَتَّى لَقَدْ ضَلَّ عَائِدِي
 وَكَيْفَ تَرَى الْعُودَ مَنْ لَا لَهُ ظِلُّ
 وَمَا عَثَرْتُ عَيْنٌ عَلَى أَثْرِي وَلَمْ
 تَدْعُ لِي رَسْمًا فِي الْهَوَى الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
 وَلِي هِمَّةٌ تَعْلُو إِذَا مَا ذَكَرْتُهَا
 وَرُوحٌ بِذِكْرَاهَا إِذَا رَخِصَتْ تَعْلُو
 جَرَى حُبُّهَا مَجْرَى دَمِي فِي مَفَاصِلِي
 فَأَصْبَحَ لِي عَنْ كُلِّ شُغْلٍ بِهَا شُغْلُ
 فَنَافِسٌ بِبَدْلِ النَّفْسِ فِيهَا أَخَا الْهَوَى
 فَإِنْ قَبِلْتَهَا مِنْكَ يَا حَبِّذَا الْبَدْلُ
 فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فِي حُبِّ نَعْمٍ بِنَفْسِهِ
 وَلَوْ جَادَ بِالْذُّنْيَا إِلَيْهِ انْتَهَى الْبُخْلُ
 وَلَوْ لَا مُرَاعَاةَ الصُّيَانَةِ غَيْرَةً
 وَلَوْ كَثُرُوا أَهْلُ الصَّبَابَةِ أَوْ قَلُّوا
 لَقُلْتُ لِعُشَّاقِ الْمَلَاحَةِ أَقْبِلُوا
 إِلَيْهَا عَلَى رَأْيِي وَعَنْ غَيْرِهَا وُلُّوا
 وَإِنْ ذِكْرَتْ يَوْمًا فَخِرُوا لِذِكْرِهَا
 سُجُودًا وَإِنْ لَاحَتْ ، إِلَى وَجْهِهَا صَلُّوا
 وَفِي حُبِّهَا بَعْتُ السَّعَادَةَ بِالشَّقَا
 ضَالًّا وَعَقْلِي عَنْ هُدَايَ بِهِ عَقْلُ

وَقُلْتُ لِرُشْدِي وَالتَّسْكِ والتُّقَى
 تَخَلُّوا ، وَمَا بَيْنِي وَبَيْنَ الهَوَى خَلُّوا
 وَفَرَّغْتُ قَلْبِي عَنْ وُجُودِي مُخْلِصاً
 لَعَلِّي فِي شُغْلِي بِهَا مَعَهَا أَخْلُو
 وَمِنْ أَجْلِهَا أَسْعَى لِمَنْ بَيْنَنَا سَعَى
 وَأَعْدُو ، وَلَا أَعْدُو لِمَنْ دَابُّهُ العَدْلُ
 فَأَرْزَاحُ لَلْوَاشِينِ بَيْنِي وَبَيْنِهَا
 لَتَعْلَمَ مَا أَلْقَى وَمَا عِنْدَهَا جَهْلُ
 وَأَصْبُو إِلَى العُدَالِ حُبًّا لِذِكْرِهَا
 كَأَنَّهُمْ مَا بَيْنَنَا فِي الهَوَى رُسُلُ
 فَإِنْ حَدَّثُوا عَنْهَا فَكُلِّي مَسَامِعُ
 وَكُلِّي إِنْ حَدَّثْتَهُمْ ، أَلْسُنُ تَتَلُو
 تَخَالَفَتِ الأَقْوَالُ فِينَا تَبَائِنًا
 بِرَجْمِ ظُنُونِ بَيْنَنَا مَا لَهَا أَصْلُ
 فَشَنَعَ قَوْمٌ بِالْوِصَالِ وَلَمْ تَصِلْ
 وَأَرْجَفَ بِالسُّلُوانِ قَوْمٌ وَلَمْ أَسْلُ
 فَمَا صَدَقَ التَّشْنِيعُ عَنْهَا لِشِقْوَتِي
 وَقَدْ كَذَبَتْ عَنِّي الأَرَاجِيفُ وَالنَّقْلُ
 وَكَيْفَ أَرْجِي وَصَلْ مَنْ لَوْ تَصَوَّرَتْ
 حِمَاها المُنَى وَهَمًّا ، لَضَاقَتْ بِهِ السُّبُلُ
 وَإِنْ وَعَدَتْ لَمْ يَلْحَقِ الفِعْلُ قَوْلَهَا
 وَإِنْ أُوْعَدَتْ فَالقَوْلُ يَسْبِقُهُ الفِعْلُ

عِدِينِي بِوَضَلٍ وَأَمْطَلِي بِسَجَازِهِ
 فَعِنْدِي إِذَا صَحَّ الْهَوَى حَسَنَ الْمَطْلِ
 وَحُرْمَةِ عَهْدٍ بَيْنَنَا عَنْهُ لَمْ أَحُلْ
 وَعَقْدٍ بِأَيْدٍ بَيْنَنَا مَا لَهُ حَلٌّ
 لَأَنْتِ عَلَى غَيْظِ النَّوَى وَرَضَى الْهَوَى
 لَدَيَّ وَقَلْبِي سَاعَةً مِنْكَ مَا يَخْلُو
 تُرَى مُقَلَّتِي يَوْمًا تَرَى مَنْ أُحِبُّهُمْ
 وَيُعْتَبِنِي دَهْرِي وَيَجْتَمِعُ الشَّمْلُ
 وَمَا بَرِحُوا مَعْنَى أَرَاهُمْ مَعِي فَإِنْ
 نَأَوْا صُورَةً فِي الذَّهْنِ قَامَ لَهُمْ شَكْلٌ
 فَهُمْ نُصِبُ عَيْنِي ظَاهِرًا حَيْثُمَا سَرَوْا
 وَهُمْ فِي فُؤَادِي بَاطِنًا أَيْنَمَا حَلُّوا
 لَهُمْ أَبَدًا مِنِّي حُنُوءٌ وَإِنْ جَفَوْا
 وَلِي أَبَدًا مَيْلٌ إِلَيْهِمْ وَإِنْ مَلُّوا^١

فتوى پير مغان دارم و قولى است قدیم

که حرام است می آنجا که نه یارست ندیم^٢

١- «ديوان ابن الفارض المصري» ص ٣٨ إلى ٤٢ ، اللامية، الطبعة الأولى، ١٣٧٢ هـ.ق، دار العلم للجميع ؛ ومن طبعة سنة ١٣٨٢ ، دار صادر- دار بيروت: ص ١٣٤ إلى ١٣٩ ؛ وفي «شرح الديوان الكامل لابن الفارض» تصنيف الشيخين : حسن البوريني وعبد الغني النابلسي ، (من طبعة دار التراث بيروت) ج ٢ ، ص ١٠٨ إلى ١٣٦ ، ولأجل التركيب الأدبي لهذه اللامية ، أو للمعاني العرفانية الراقية التي تحملها ، فقد جاء شرحها بشكل كامل ووافٍ .

٢- يقول : «إنّ لديّ فتوى من شيخ الحانة وقول قدیم له كذلك (مفادهما) ، أنّ ٥

چاک خواهم زدن این دلّی ریائی چکنم
روح را صحبت ناجنس عذابى است الیم
تا مگر جرعه فشاند لب جانان بر من
سالها شد که منم بر در میخانه مقیم
مگرش خدمت دیرین من از یاد برفت
ای نسیم سحرى یاد دهش عهد قدیم
بعد صد سال اگر بر سر خاکم گذری
سر بر آرد ز گلم رقص کنان عظم رمیم
دلبر از ما به صد امید ستد اوّل دل
ظاهراً عهد فراموش نکند خلق کریم
غنچه گو تنگدل از کار فروبسته مباش
کز دم صبح مدد یابی و انفاس نسیم^۱

⇨ احتساء الخمره حرام إذا لم يكن الحبيب موجوداً يشاركك الشراب.
١- يقول: «سأمرّق ثوب الرياء إرباً إرباً، إذ لا حيلة لي غير ذلك، لأنّ التحدّث إلى روح العاشق الطاهرة لا تتناسب والرياء أو الخداع، لأنّ ذلك تعذيب مؤلّم للروح. ليت شفّتي الحبيب تُريق عَليّ ولو جرعة، فإنّي مُقيم عند باب الحانة سنين طوالاً. هل نَسِيّ خدمتي له في السابق؟ يا نسيم السّحر! ذكّرهُ بالعهد القديم. (وقل له: لو مررت على رفاتي بعد مضيّ مائة عام على موتي، فإنّ عظامي النخرة ستخرج من التراب وترقص لك. إنّ الذي شغف حُبّه قلبي كان يُمَمِّينا بألف أمل وأمنية للوصال، فليس حَرِيّ بَمَن كان ذا خُلُقٍ كريم (وسجايًا حميدة) أن يَنَس (أو يَتَناسى) العهود (التي قطعها لنا). قل للبراعم أن لا تحزن ولا تكتئب لانغلاقها، لأنّه ستصلك من نسيم الصباح ما يُمدّدك بأسباب الحياة (وستفتّحين بواسطة نسيم الربيع)».

فكر بهبود خود ای دل ز دری دیگر کن
 درد عاشق نشود به ، به مداوای حکیم
 گوهر معرفت اندوز که با خود ببری
 که نصیب دگران است نصاب زر و سیم
 دام سخت است مگر یار شود لطف خدا
 ورنه آدم نبرد صرفه ز شیطان رجیم
حافظ ارسیم و زرت نیست چه شد شاکر باش

چه به از دولت لطف سخن و طبع سلیم^١
 وهنا يحكم العقل السليم بأن يكون القلب كله ملكاً لله ، بغض النظر
 عن الطقوس والعادات والتقاليد التي تشغل الإنسان عن ربه بغيره ؛ وأن
 يواصل الإنسان السير منفرداً في طريق الصدق ، ولقاء ربه الودود
 ومرضاته ، منفرداً ، ولو وقف بوجه جميع العالمين ، وأن ينهج منهج
 الرسول الكريم : لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا

١- يقول : «أَيُّهَا الْفُؤَادُ ! إِنْ كُنْتَ تَبْغِي مَدَاوَاةَ نَفْسِكَ فَفَكَّرْ وَابْحَثْ عَنْ وَسِيلَةِ أُخْرَى ، فَإِنَّ آلَامَ الصَّبِّ لَا يَشْفِيهَا دَوَاءَ الْحَكِيمِ .

اكتَنَزُ لِنَائِي الْعِرْفَانَ وَكَشَفَ الْحَقِيقَةَ حَتَّى تَتِمَّكَ مِنْ حَمَلِهَا مَعَكَ (إِلَى الْعَالَمِ الْآخِرِ) ،
 فِي حِينِ أَنَّهُ يَتَوَجَّبُ عَلَى الْمَرْءِ إِعْطَاءَ زَكَاةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ إِذَا مَا وَصَلَ حَدَّ النَّصَابِ .
 إِنَّ الشَّرْكََ وَالْمَصِيدَةَ (الَّتِي نَصَبَهَا الشَّيْطَانُ لَنَا) مُحْكَمَةٌ وَلَا يُمْكِنُنَا الْفِرَارُ مِنْهَا إِلَّا لَطْفَ
 إِلَهِيٍّ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ اللَّطْفَ لَمَا اسْتَطَاعَ آدَمُ (أَبُو الْبَشَرِ) مِنَ التَّغَلُّبِ عَلَى الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ .
يا حافظ! إِنْ لَمْ تَكُنْ غَنِيًّا وَلَمْ تَكُنْ تَمْلِكُ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ فَلَا تَأْتِبْهُ لِدَلِكْ وَكُنْ شَاكِرًا ،
 فَلَا أَفْضَلَ مِنْ كَوْنِكَ صَاحِبَ لِسَانٍ ذَرَبٍ وَطَبِيعِ سَلِيمٍ وَقَرِيحَةٍ جَيِّدَةٍ» .

«ديوان الخواجه شمس الدين حافظ الشيرازي» ص ٤٩٩ و ٥٠٠ ، الغزلية رقم ٣٦٧ ،
 طبعة منشورات صفیٰ عليشاه ، سنة ١٣٧٦ شمسيّة هجريّة (١٩٩٧م) .

اللَّهُ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا^١ وينصت لنداء الحقّ القائل: قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ^٢.

ولا يكتفي بقدميه ، بل زحفاً على صدره ، وصولاً إلى بارئه ، وأن ينطق بكلّ جوارحه مليئاً ذلك النداء . وأن يخرج من زمرة المرتدّين ، وينضوي تحت لواء يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ، وَلَا يَخَافُونَ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ :
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^٣.

وهكذا تطلّ قصيدة الغزل التي نظمها حكيم شيراز عن عالم الغيب تعزف نشيد البارئ سبحانه ليظلّ صوته وصداه على الدوام في أسمع أولي البصائر .

دست از طلب ندارم تا کام من برآید
یا جان رسد به جانان یا جان ز تن برآید
بگشای تربتم را بعد از وفات و بنگر
کز آتش درونم دود از کفن برآید^٤

١- الآية ٢١ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

٢- آخر الآية ٩١ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٣- الآية ٥٤ ، من السورة ٥ : المائدة .

٤- يقول : «لن أكف عن البحث (عمّا أبحث) حتّى أصل إلى مرادي وهدفي ، وهو: إمّا

أن أصل إلى حبيبي أو أهلك دون ذلك .

انبش قبري بعد وفاتي وانظر ، إلى الدخان الصاعد من كفني بسبب النار التي تستعر في

داخلي» .

بنمای رخ که خلقی واله شوند و حیران
 بگشای لب که فریاد از مرد و زن برآید
 جان بر لب است و حسرت در دل که از لبانش
 نگرفته هیچ کامی جان از بدن برآید
 از حسرت دهانش آمد به تنگ جانم
 خود کام تنگدستان کی زان دهن برآید
 بر بوی آنکه در باغ یابد گلی چو رویت
 آید نسیم و هر دم گِرد چمن برآید
 گویند ذکر خیرش در خیل عشقبازان
 هر جا که نام **حافظ** در انجمن برآید^۱

نقل السید هاشم البحرانیّ روایة لطيفة و ظريفة عن يونس بن ظبيان ،
 عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام حول منهج وسلوك أولي

١- يقول : «أظهِرْ مُحْيَاكَ فَالْخَلْقُ كُلُّهُ مُتَمِّمٌ وَحِيرَانٌ ، وَافْتَحْ ثَغْرَكَ حَتَّى تَصْعَدَ صَرَخَاتِ
 الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَتَتَعَالَى أَصْوَاتُهُمْ .

لقد ملّ بدني وضاق قلبي بسبب الغمّ والحسرة لعدم حصولي على قبلة (من الحبيب).
 متى سيُلبّي الحبيب مطلبنا ويمنّ علينا برشفة من لُمي شفّتيه؟
 لقد هبّ النسيم وطاف بالمرح كلّ لحظة على أمل أن يصفح وردة جميلة كطلعتك؟
 متى ذُكِرَ اسم **حافظ** في أيّ جمع للعشّاق ، فإنّه يُدكّرُ بالخير والحسنى» .
 ديوان «الخواجة شمس الدين حافظ الشيرازي» ص ٣١٥ و ٣١٦ ، الغزلية رقم ٢٣٣ ،
 طبعة منشورات صفّي عليشاه ، سنة ١٣٧٦ شمسيّة (١٩٩٧م) . يبدأ عجز البيت الأوّل في هذه
 المجموعة ، بعبارة «يا تن رسد به جانان» ، ولكن ركّابة المعنى التي تُسبّبها هذه العبارة في
 هذه الحالة ، جعلتنا نستعيض عنها بـ«يا جان رسد به جانان» التي وردت في بعض النسخ من
 «ديوان حافظ» وهي الأصحّ .

الألباب ، وكيفية محبتهم لله ، والأعمال التي يتقربون بها إلى الله فتوصلهم إلى لقائه ومعرفته ، حتى يصل في نهاية الأمر إلى أن على كل من يروم الوصول إلى مقام الكمال ، أن يسير على نهج الأئمة عليهم السلام حتى يتسنى له اجتياز كل العقبات والطرق الصعبة والتخلص من حبائل الشيطان والنفس الأمارة بالسوء ، وبذلك يتم له الوصول إلى علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين . وقد ذكر روايات عدة في تفسير الآية الكريمة :

يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ
الْعَالِينَ .^١

منها هذه الرواية :

عن ابن بابويه ، عن علي بن الحسين ، عن أبي محمد هارون بن موسى ، عن محمد بن همام ، عن عبد الله بن جعفر الحميري ، عن عمر بن علي العبدي ، عن داود بن كثير الرقي ، عن يونس بن ظبيان أنه قال : دخلت على الصادق عليه السلام ، فقلت : يا ابن رسول الله ! إنني دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول إن الله له وجه كالوجه ، وبعضهم يقول : له يدان ، واحتجوا لذلك قول الله تعالى : بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرْتَ . وبعضهم يقول : هو كالشباب من أبناء ثلاثين سنة ، فما عندك في هذا يا ابن رسول الله ؟

١- الآيات ٧١ إلى ٧٦ ، من السورة ٣٨ : ص ، وهي : إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ اِنِّي خَلِقُ
بَشَرًا مِّنْ طِينٍ * فَاِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيْهِ مِنْ رُّوْحِيۡ فَقَعُوْا لَهٗۙ وَّسَجِدُوْا فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ
كُلُّهُمْ اٰجْمَعُوْنَ * اِلَّا اِبْلِيسَ اَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ * قَالَ يَاۤ اِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ اَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اَسْتَكْبِرْتَ اَمْ كُنْتَ مِنَ الْعٰلِيْنَ * قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِيۡ مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ
مِنْ طِيْنٍ .

قال يونس : وكان متكئاً فاستوى جالساً وقال : **اللَّهُمَّ عَفْوِكَ ! عَفْوِكَ !**
 ثم قال : **يا يُونُسُ ! مَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ وَجْهًا كَالْوَجْهِ فَقَدْ أَشْرَكَ . وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ لِلَّهِ جَوَارِحَ كَجَوَارِحِ الْمَخْلُوقِينَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ ، فَلَا تَقْبَلُوا شَهَادَتَهُ ! وَلَا تَأْكُلُوا ذَيْبِحَتَهُ ! تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُصِفُهُ الْمُشْبِّهُونَ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ . فَوَجْهُ اللَّهِ أَنْبِيَاؤُهُ وَأَوْلِيَاؤُهُ .**

وَقَوْلُهُ : خَلَقْتَ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبِرْتَ ، فَالْيَدُ : الْقُدْرَةُ [كَقَوْلِهِ :] وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ (لأنَّ «أَيَّدَ» من مادة «يَد»). أَي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَوَّامٌ بِنَصْرِهِ . فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ فِي شَيْءٍ ، أَوْ عَلَى شَيْءٍ ، أَوْ تَحَوَّلَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ ، أَوْ يَخْلُو مِنْهُ شَيْءٌ ، وَلَا يَخْتَلِي مِنْهُ مَكَانٌ ، أَوْ يَشْغَلُ بِهِ شَيْءٌ ؛ فَقَدْ وَصَفَهُ بِصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ .

وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ . لَا يُقَاسُ بِالْمِقْيَاسِ ، وَلَا يُشَبَّهُ بِالنَّاسِ . وَلَا يَخْلُو مِنْهُ مَكَانٌ ، وَلَا يَشْتَغَلُ بِهِ مَكَانٌ . قَرِيبٌ فِي بُعْدِهِ ، بَعِيدٌ فِي قُرْبِهِ . ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّنَا لَا إِلَهَ غَيْرُهُ .

فَمَنْ أَرَادَ اللَّهَ وَأَحَبَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَهُوَ مِنَ الْمُوَحِّدِينَ . وَمَنْ أَحَبَّهُ بِغَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ فَاللَّهُ مِنْهُ بَرِيءٌ وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ .

ثم قال عليه السلام : **إِنَّ أَوْلِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِالْفِكْرَةِ حَتَّى وَرِثُوا مِنْهُ حُبَّ اللَّهِ . فَإِنَّ حُبَّ اللَّهِ إِذَا وَرِثْتَهُ الْقُلُوبُ اسْتَضَاءَ بِهِ وَأَسْرَعَ إِلَيْهِ اللَّطْفُ ،^٢ فَإِذَا نَزَلَ مَنزِلَةُ اللَّطْفِ (ونزل عليه الاسم الإلهي اللطيف) صَارَ مِنْ أَهْلِ الْفَوَائِدِ .**

١- هكذا وردت في النسخة المسجلة ، والصحيح هو أو يختلي ، وجاء في «أقرب

الموارد»: «الخلوة: المكان الذي يختلي فيه الرجل .

٢- جاء في «أقرب الموارد»: «لَطَفَ بِهِ وَ- لَهُ (ن) لُطْفًا: رَفَقَ بِهِ ، وَ- اللَّهُ لِلْعَبْدِ ⇨

فَإِذَا صَارَ مِنْ أَهْلِ الْفَوَائِدِ تَكَلَّمَ بِالْحِكْمَةِ . وَإِذَا تَكَلَّمَ بِالْحِكْمَةِ صَارَ صَاحِبَ فِطْنَةٍ ١ . فَإِذَا نَزَلَ مَنزِلَةَ الْفِطْنَةِ عَمِلَ بِهَا فِي الْقُدْرَةِ ، فَإِذَا عَمِلَ بِهَا فِي الْقُدْرَةِ عَمِلَ فِي الْأَطْبَاقِ السَّبْعَةِ .

فَإِذَا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنزِلَةَ صَارَ يَتَقَلَّبُ فِي لُطْفٍ وَحِكْمَةٍ وَبَيَانٍ .

فَإِذَا بَلَغَ هَذِهِ الْمَنزِلَةَ جَعَلَ شَهْوَتَهُ وَمَحَبَّتَهُ فِي خَالِقِهِ .

فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ نَزَلَ الْمَنزِلَةَ الْكُبْرَى ؛ فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ ، وَوَرِثَ الْحِكْمَةَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَتْهُ الْحُكَمَاءُ ، وَوَرِثَ الْعِلْمَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَتْهُ الْعُلَمَاءُ ، وَوَرِثَ الصِّدْقَ بِغَيْرِ مَا وَرِثَهُ الصِّدِّيقُونَ .

إِنَّ الْحُكَمَاءَ وَرِثُوا الْحِكْمَةَ بِالصَّمْتِ . وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرِثُوا الْعِلْمَ بِالطَّلَبِ . وَإِنَّ الصِّدِّيقِينَ وَرِثُوا الصِّدْقَ بِالْخُشُوعِ وَطَوْلِ الْعِبَادَةِ .

فَمَنْ أَخَذَهُ بِهَذِهِ السَّيْرَةِ إِمَّا أَنْ يَسْفَلَ وَإِمَّا أَنْ يَرْفَعَ . وَأَكْثَرُهُمُ الَّذِي يَسْفَلُ وَلَا يَرْفَعُ إِذَا لَمْ يَرَعْ حَقَّ اللَّهِ وَلَمْ يَعْمَلْ بِمَا أَمَرَهُ بِهِ .

فَهَذِهِ صِفَةٌ مَنْ لَمْ يَعْرِفِ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ ، وَلَمْ يُحِبَّهُ حَقَّ مَحَبَّتِهِ .

(يا يونس!) فَلَا يَغُرَّنَكَ صَلَاتُهُمْ وَصِيَامُهُمْ وَرَوَايَاتُهُمْ وَعُلُومُهُمْ؛

فَإِنَّهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ ٢ .

ثم قال الإمام: يا يونس! إِذَا أَرَدْتَ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ فَعِنْدَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ! فَإِنَّا وَرِثْنَاهُ، وَأَوْتَيْنَا شَرْحَ الْحِكْمَةِ وَفَضَلَ الْخِطَابِ .

وبالعبد: رفق به وأوصل إليه ما يُحِبُّ برفقٍ، و-: وعصمه فهو لطيف به، والاسم: اللطيف، و-الشيء: دنا .

١- جاء في «أقرب الموارد»: الْفِطْنَةُ بالكسر: الحَذَقُ والفهم، وقد تُفسَّرُ بجودة تَهَيُّؤِ النَّفْسِ لتصوُّر ما يردُّ عليها مِنَ الْغَيْرِ؛ ويُقَابَلُهَا الْعَبَاوَةُ . ج: فِطْنٌ .

٢- مقتبس من الآيتين ٥٠ و ٥١، من السورة ٧٤: المدثر: كَأَنَّ نَهْمَ حُمْرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ*

فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ .

يقول يونس : قلتُ : يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ !

وَكُلُّ مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ وَرِثَ كَمَا وَرِثْتُمْ مِنْ عَلِيٍّ وَفَاطِمَةَ ؟!

قال عليه السلام : مَا وَرِثَهُ إِلَّا الْأَئِمَّةُ الْإِثْنَا عَشَرَ !

يقول يونس : قلت يا بن رسول الله سمَّهم لي !

قال عليه السلام : أَوْلَهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَبَعْدَهُ الْحَسَنُ

وَالْحُسَيْنُ ، وَبَعْدَهُ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ ، وَبَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ، وَبَعْدَهُ أَنَا ،

وَبَعْدِي مُوسَى وَلَدِي ، وَبَعْدَ مُوسَى عَلِيُّ ابْنُهُ ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ مُحَمَّدٌ ، وَبَعْدَ

مُحَمَّدٍ عَلِيٌّ ، وَبَعْدَ عَلِيٍّ الْحَسَنُ ، وَبَعْدَ الْحَسَنِ الْحُجَّةُ ؛ اضْطَفَّأَنَا اللَّهُ

وَطَهَّرَنَا ، وَأَنَا مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ .

قال يونس ثم قلتُ له : يا بن رسول الله ! دخل عليك ابن عبد الله بن

مسعود وسألك ما سألت فأجبته بغير ما أجبته به .

قال : يَا يُونُسُ ! كُلُّ امْرِيٍّ مَا يَحْتَمِلُهُ ! وَلِكُلِّ وَقْتٍ حَدِيثُهُ ! وَإِنَّكَ

لَأَهْلٌ لِمَا سَأَلْتَهُ ! فَارْتَمِهِ إِلَّا عَنِ أَهْلِهِ !

يروى العلامة المجلسي رحمه الله في «بحار الأنوار» عن «مصباح

الشرعية» :

قَالَ الصَّادِقُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْإِخْلَاصُ يَجْمَعُ حَوَاصِلَ الْأَعْمَالِ .

١- «البرهان في تفسير القرآن» ج ٢ ، ص ٩٣٠ ، الطبعة الحجرية ، سنة ١٣٠٢هـ ؛ وقد

روى هذه الرواية شيخنا الأقدم علي بن محمد الخزاز القمي الرازي مع اختلاف طفيف في

الألفاظ وبنفس السند دون واسطة ابن بابويه بل عن علي بن الحسين (أبيه) مباشرة ، في

كتاب «كفاية الأثر في النص على الأئمة الاثني عشر» ص ٢٥٥ إلى ٢٥٩ ، طبعة انتشارات

بيدار ، سنة ١٤٠١هـ .

٢- جاء في «أقرب الموارد» : الحاصل من كل شيء : ما بقي وثبت وذُهب ما سواه ،

يكون من الحساب والأعمال ونحوها . وحاصل الشيء : بقيته ؛ ج : حواصل . الحاصل ⇨

وَهُوَ مَعْنَى مِفْتَاحِهِ الْقَبُولُ ، وَتَوْقِيعُهَا الرِّضَا .

فَمَنْ تَقَبَّلَ اللَّهُ مِنْهُ وَرَضِيَ عَنْهُ فَهُوَ الْمُخْلِصُ وَإِنْ قَلَّ عَمَلُهُ . وَمَنْ لَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنْهُ فَلَيْسَ بِمُخْلِصٍ وَإِنْ كَثُرَ عَمَلُهُ ؛ اِعْتِبَارًا بِأَدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِبْلِيسَ . (إِذْ تُقْبَلُ عَمَلُ آدَمَ مَعَ قَلْتِهِ ، وَلَمْ يُتَقَبَّلْ عَمَلُ إِبْلِيسَ مَعَ كَثْرَتِهِ) .

وَعَلَامَةُ الْقَبُولِ وَجُودُ الْاِسْتِقَامَةِ بِبَدَلِ كُلِّ الْمُحَابِّ ، مَعَ إِصَابَةِ عِلْمٍ كُلِّ حَرَكَةٍ وَسُكُونٍ .

فَالْمُخْلِصُ ذَائِبٌ رُوحُهُ ، بِأَذَلِّ مُهْجَتِهِ فِي تَقْوِيمِ مَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْأَعْمَالُ وَالْعَامِلُ وَالْمَعْمُولُ بِالْعَمَلِ . لِأَنَّهُ إِذَا أَدْرَكَ ذَلِكَ فَقَدْ أَدْرَكَ الْكُلَّ . وَإِذَا فَاتَهُ ذَلِكَ فَاتَهُ الْكُلُّ . وَهُوَ تَصْفِيَةٌ مَعَانِي التَّنْزِيهِ فِي التَّوْحِيدِ .^٢

كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : هَلَكَ الْعَامِلُونَ إِلَّا الْعَابِدُونَ ؛ وَهَلَكَ الْعَابِدُونَ إِلَّا الْعَالِمُونَ ؛ وَهَلَكَ الْعَالِمُونَ إِلَّا الصَّادِقُونَ ؛ وَهَلَكَ الصَّادِقُونَ إِلَّا

◀ أيضاً: ما خلص من الفضة من حجارة المعدن ، ويقال للذي يُخْلِصُهُ: مُخَصِّلٌ .

وجاء في النسخة المصححة والمطبوعة للشيخ المصطفوي (مركز نشر كتاب - طهران)

سنة ١٣٧٩ ، ص ٥٢ و٥٣ ، باب ٧٦ : يَجْمَعُ فَوَاضِلَ الْأَعْمَالِ .

وفي نسخة المألا عبد الرزاق الجيلاني الشارح لـ «مصباح الشريعة» الذي صححه السيد

جلال الدين المحدث الأرموي وطبعته (انتشارات دانشگاه طهران) سنة ١٣٤٤ ، ج ٢ ،

ص ١٣٦ : فَوَاضِلٌ .

١- لا وجود لكلمة علم في «المستدرک» .

٢- في نسخة «البحار» و«مصباح الشريعة» لحجة الإسلام المصطفوي كذا: فِي تَقْوِيمِ

مَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْأَعْمَالُ ، وَالْعَامِلُ وَالْمَعْمُولُ بِالْعَمَلِ . وَأَمَّا فِي نَسْخَةِ «شرح المصباح» للمألا

عبد الرزاق الجيلاني ، وتصحيح الأرموي ، ج ٢ ، ص ١٣٧ ، فقد وردت العبارة الآنفة كذا: فِي

تَقْوِيمِ مَا بِهِ الْعِلْمُ وَالْأَعْمَالُ وَالْعَامِلُ وَالْمَعْمُولُ وَالْعَمَلُ .

ولهذا نقلنا العبارات التي تلت العبارة المذكورة هنا عن نسخة المألا عبد الرزاق

الجيلاني .

المُخْلِصُونَ ؛ وَهَلَكَ الْمُخْلِصُونَ إِلَّا الْمُتَّقُونَ ؛ وَهَلَكَ الْمُتَّقُونَ إِلَّا الْمُوقِنُونَ ؛ وَإِنَّ الْمُوقِنِينَ لَعَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ .
 قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ
 الْيَقِينُ» .

وَأَدْنَى حَدِّ الْإِخْلَاصِ بَدَلُ الْعَبْدِ طَاقَتَهُ ، ثُمَّ لَا يَجْعَلُ لِعَمَلِهِ عِنْدَ اللَّهِ
 قَدْرًا فَيُوجِبُ بِهِ عَلَى رَبِّهِ مُكَافَأَةً بِعَمَلِهِ . لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَوْ طَالَبَهُ بِوَفَاءٍ حَقُّ
 الْعُبُودِيَّةِ لَعَجَزَ .

وَأَدْنَى مَقَامِ الْمُخْلِصِ فِي الدُّنْيَا السَّلَامَةُ مِنْ جَمِيعِ الْآثَامِ ، وَفِي
 الْآخِرَةِ النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ وَالْفَوْزُ بِالْجَنَّةِ .^١

١- «بحار الأنوار» ج ٧٠ ، ص ٢٤٥ ، طبعة الدار الإسلامية ؛ وفي طبعة الكمباني
 القديمة: ج ١٥ ، من القسم الثاني، ص ٨٦ ، باب الإخلاص ومعنى قُربه تعالى؛ وفي
 «مستدرك الوسائل» ج ١ ، ص ١٠ ، الطبعة الحجرية ، مقدّمة العبادات ، باب وجوب
 الإخلاص في العبادة والنية ، من «مصباح الشريعة» ؛ وكتاب «أسرار الصلاة» للشهيد الثاني ،
 ص ١٢٥ ، الطبعة الحجرية ، طهران سنة ١٣١٢ ، ضمن بيان أسرار النية من «مصباح
 الشريعة» ؛ و«مصباح الشريعة» ص ٥٢ و٥٣ ، الباب ٧٦ ، من طبعة مركز نشر كتاب ، بتصحيح
 وتعليق حجّة الإسلام والمسلمين الحاجّ الشيخ حسن المصطفوي .

وقد أضاف المَلّا عبد الرزاق الجيلاني هنا شرحاً وهذه ترجمته : «ونسب الإتيان إلى
 الموت لا إلى المخاطب بسبب مرارة الموت وأنّ الموت ليس ممّا يمكن للإنسان أن يصله
 فيرضى به ، إذن ففي قصّة الموت نرى وصول الموت إليه لا وصوله هو إلى الموت . أو هو
 إشارة إلى عَظَمِ منزلة الموت باعتبار الأحوال التي تسبقه وتخلفه . أي أنه بسبب كون الموت
 مخيفاً ومهولاً فإنّ وصول العبد الضعيف إليه مُتَعَسِّرٌ أو قل مُتَعَدَّرٌ ، فإذا وقع (الموت) فإنّ
 ذلك مُتَصَوِّرٌ من قِبَلِ الموت لا من قِبَلِ العبد ؛ [كما نُقِلَ] عن الخواجة جمال الدين محمود
 الشيرازي والذي كان من جملة تلاميذ المَلّا جلال الدواني أنه قال لأستاذه يوماً: يا شيخنا!
 هل سيأتي علينا يوم يمكن لنا أن نصل فيه إلى الفضيلة وبالجملة نرتقي فيه درجات

نعم رأينا في رواية أولي الألباب أن الإمام عليه السلام صرح بمعاينة الله ومشاهدته في القلب (فَعَايَنَ رَبَّهُ فِي قَلْبِهِ) ، وهذه إنما تكون بجهد النفس والروح التي شرحها الإمام قبل هذا وأكد أن نتيجة ذلك وثمرته هو الورد في المنزلة الكبرى ولقاء رب العزة .

وقد لاحظنا في هذه الرواية الأخيرة عن «مصباح الشريعة» أن النجاة إنما تكون بالإخلاص في العمل ، مؤكدة أن البذل في سبيل المحبوب بشكل صحيح وأصيل مع العلم بصواب كل حركة وسكنة يؤديها ، وصهر الروح وبذل المهجة والنفس في سبيل الله ، واعتبار ذلك ميزاناً ومعياراً لقبول الأعمال والأفعال .

إن الطريق الأقوم والسبيل الأرشد ، هما ما سار فيه الأنبياء والنخبة من الأولياء . وهو جدّ خطير ودقيق ، إنه عشق لله ، الحيّ ذي الجلال والواحد القهار . وما أخطره وما أعظمه ، وما أكثر ما يحمل من معاني الشوق والحبّ ، حتى غدا خلاصة أعمال الكائنات ورجح على عبادة الثقلين .

إنّها قوة الحبّ التي تزيل الموانع وتدكّ الحصون وتعين على اجتياز العقبات والسير في غمرة الظلمة ، وتعبر بالمرء بحار الحسرة وصحارى

« العلم فنكون في عداد الفضلاء؟! فقال أستاذه: لن تصلوا إلى الفضل أبداً ، لكنّ الفضل نفسه سيصلكم! أي أنّ الفضيلة والعلم سينزلان تدريجياً ويصلان إليكم .

ويفسر الصوفيّة اليقين بمرتبة الوصول إلى الحقّ . أي أنّ من وصل الحقّ عن طريق الرياضات والمجاهدات وهجر المتعلقات البدنيّة ورفض الغواشي الهيوليّة سقطت عنه العبادات وزُفِعَ عنه التكليف؛ وهذا ممّا لا معنى له على الإطلاق؛ إذ إنّه لو كان الوصول إلى أعلى مراتب الرياضة وأقصى درجاتها ينتج عنه سقوط التكليف لكان سقوطها أوجب للأنبيا والأوصياء» .

الحيرة ، وعوالم التيه والضلال ، ولولا ذلك ما استطاعت جميع قوى الدنيا أن تخطو بالإنسان شبراً إلى الأمام بدون إرادة الله . إنَّ الحبَّ حلال المشاكل ومفتاح سرِّ النجاح .

ای رُخت چون خلد و لعلت سلسبیل
 سلسبیلت کرده جان و دل سبیل
 سبز پوشان خطت بر گرد لب
 همچو مورانند گرد سلسبیل
 ناوک چشم تو در هر گوشه‌ای
 همچو من افتاده دارد صد قتیل
 یا رب این آتش که بر جان من است
 سرد کن زانسان که کردی بر خلیل
 من نمی یابم مجال ای دوستان
 گرچه دارد او جمالی بس جمیل^١

١- يقول : « يا مَنْ وجهه كَجَنَّةِ الخُلْدِ وشفتهاه (تنبعان) ماءً سلسبيلاً ، لقد أباح لك لُماك العذب أرواح العاشقين وقلوبهم .

إنَّ الشَّعْرَ الأخضر اللون الذي يعلو شفتك العُليا كأنه نَمْلٌ مُصَطَّفٌ أمام عين السلسبيل (الذي هو فَمُك).

إنَّ سهام عينيك قد أطاحت بالمئات من القتلى من أمثالي في كل زاوية وركن .
 إلهي ! أطفئ النار المستعرة في داخلي واجعلها برداً وسلاماً كما جعلتها كذلك على (إبراهيم) خليلك .

إنَّه لا سبيل ولا إذن لي (للوصول إلى جمال حبيبي وحسنه) ، بالرغم من أنَّ جماله وحُسنه لا يضاهيهما شيء .» .

پای ما لنگ است و منزل بس دراز
دست ما کوتاه و خرما بر نخیل
شاه عالم را بقا و عزّ و ناز
باد و هر چیزی که باشد زین قبیل^۱

حافظ از سرپنجه عشق نگار

همچو مور افتاده شد در پای پیل^۲

روی العلامة المجلسي رحمه الله عن كتاب «الخرائج والجرائح»
للقطب الراوندي رحمه الله عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام عن أبيه
عليه السلام أنه قال :

مَرَّ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَرْبَلَاءَ فَقَالَ : لَمَّا مَرَّ بِهِ أَصْحَابُهُ وَقَدِ
اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ بَيْنِي وَيَقُولُ :

هَذَا مَنَاحُ رِكَابِهِمْ ، وَهَذَا مُلْقَى رِحَالِهِمْ ، هَا هُنَا مُرَاقٌ دِمَائِهِمْ ؛ طُوبَى

۱- وجاء في التعليقة أنّ البيت التالي هو من ضمن الغزليّة أعلاه كذلك :

عقل در حسنت نمی یابد بَدَل
طبع در لطفت نمی بیند بَدیل
يقول : «لم يَرَ (أو لم يَشْهَدْ) العقل لِحُسْنِكَ نظيراً ، ولم يجد (أو ما وَجَدَ) الطَّبْعُ بَدِيلاً
أو مثلاً لِلطَّفِيفِ».

۲- يقول : «إِنَّ رِجْلَيْ عَرَجَاوَانِ وَالْمَقَامَ جَدَّ بَعِيدٍ ، وَيَدَايَ قَصِيرَتَانِ فِي حِينِ أَنَّ الْبَلْحَ
عَالٍ (لا يمكن الوصول إليه).

فليعش سلطان العالم وليدّم بقاؤه وعزّه ودلاله ، وكلّ ما يَمْتُّ له بصله أو يختصّ به.
لقد صار **حافظ** كنملة موطوءة بأقدام الفيل ، وذلك لجبروت العشق وقدرته عليه
وهيمته لقواه».

ديوان «الخواجه شمس الدين حافظ الشيرازي» ص ۴۱۶ ، الغزليّة رقم ۳۰۸ ، طبعة
منشورات صفّي عليشاه ، سنة ۱۳۷۶ شمسيّة (۱۹۹۷م).

لَكَ مِنْ تُرْبَةٍ عَلَيْهَا تُرَاقِ دِمَاءُ الْأَجَبَةِ!

وَقَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : خَرَجَ عَلَيَّ يَسِيرٌ بِالنَّاسِ ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِكَرْبَلَاءَ عَلَى مِيلَيْنِ أَوْ مِيلٍ ، تَقَدَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَتَّى طَافَ بِمَكَانٍ يُقَالُ لَهُ : الْمِقْدَفَانِ . فَقَالَ : قُتِلَ فِيهَا مِائَتَا نَبِيٍّ وَمِائَتَا سَبِطٍ كُلُّهُمْ شُهَدَاءُ .
وَمَنَاخُ رِكَابٍ وَمَصَارِعُ عُشَاقٍ شُهَدَاءُ . لَا يَسْبِقُهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ؛ وَلَا يَلْحَقُهُمْ مَنْ بَعْدَهُمْ .^١

روى العالم الكبير والمحقق العظيم المرحوم الحاج الشيخ جعفر الشوشترى عن مجاهد ، عن ابن عباس أنه قال :

كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام عندما خرج إلى صفين ، فلما وصل إلى نينوى على شطّ الفرات ، ناداني بأعلى صوته وقال : يَا بَنَ عَبَّاسِ !
أَتَعْرِفُ هَذَا الْمَوْضِعَ ؟!

أجبتة : كلا يا أمير المؤمنين ، لا أعرفه .

قال عليه السلام : لَوْ عَرَفْتُهُ كَمَعْرِفَتِي ، لَمْ تَكُنْ تَجُوزُهُ حَتَّى تَبْكِي

كَبْكَايِي !

يقول ابن عباس : فبكى عليه السلام حتى اخضلت لحيته الشريفة وجرت دموعه على صدره . وبكىنا نحن أيضاً معه ، وكان يقول :

أَوْهَ ! أَوْهَ ! مَا لِي وَلَا لِي أَبِي سُفْيَانُ ؟! مَا لِي وَلَا لِي حَرْبِ حِزْبِ الشَّيْطَانِ وَأَوْلِيَاءِ الْكُفْرِ ؟! يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! فَقَدْ لَقِيَ أَبُوكَ مِثْلَ الَّذِي تَلَقَى مِنْهُمْ !

١- «بحار الأنوار» طبعة الكمباني: ج ٩ ، ص ٥٨٠ ؛ وطبعة آخوندي: ج ٤١ ،

ص ٢٩٥ ، الرواية رقم ١٨ ، وذكر المرحوم الشيخ جعفر الشوشترى القسم الأول من الرواية في كتاب «خصائص الحسين» عليه السلام ، ص ١١٥ و١١٦ ، الطبعة الحجرية .

ثم طلب ماءً ليتوضأ ، وصلى قدرأ ، ولما فرغ من صلاته ، أخذته غفوة لساعة فلما أفاق نادى : يا بن عباس ! فأجبتة : لبيك .

قال عليه السلام : أَلَا أُحَدِّثُكَ بِمَا رَأَيْتُ فِي مَنَامِي أَنِفًا عِنْدَ رَقَدَتِي؟! فقلت : قد رقدت عينك ، أبشر يا أمير المؤمنين ، إنها رؤيا خير ! فقال عليه السلام : كَأَنِّي بِرِجَالٍ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ ؛ وَمَعَهُمْ أَعْلَامٌ بَيِّضٌ ، وَقَدْ تَقَلَّدُوا سُيُوفَهُمْ وَهِيَ بَيِّضٌ تَلْمَعُ ، وَقَدْ خَطُّوا حَوْلَ هَذِهِ الْأَرْضِ خَطَّةً .

ثُمَّ رَأَيْتُ كَأَنَّ هَذَا النَّخِيلَ قَدْ ضَرَبَتْ بِأَغْصَانِهَا الْأَرْضَ ، تَضْطَرِبُ بِدَمٍ عَبِيْطٍ . وَكَأَنِّي بِالْحُسَيْنِ سَخَلْتِي وَفَرَّخِي وَمُضْغَتِي وَمُخِّي ، قَدْ غَرَّقَ فِيهِ يَسْتَغِيثُ فِيهِ فَلَا يُغَاثُ .

وَكَأَنَّ الرِّجَالَ الْبَيْضَ قَدْ نَزَلُوا مِنَ السَّمَاءِ يُنَادُونَهُ وَيَقُولُونَ : صَبْرًا آلَ الرَّسُولِ ! فَإِنَّكُمْ تُقْتَلُونَ عَلَى أَيْدِي شِرَارِ النَّاسِ وَهَذِهِ الْجَنَّةُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ إِلَيْهِ مُشْتَاقَةٌ . ثُمَّ يَعْزُونِي وَيَقُولُونَ : يَا أَبَا الْحَسَنِ ! أَبْشِرْ فَقَدْ أَقَرَّ اللَّهُ بِهَ عَيْنِكَ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ !

ثُمَّ انْتَهَتْ هَكَذَا ! وَالَّذِي نَفْسٌ عَلَيَّ بِيَدِهِ ، لَقَدْ حَدَّثَنِي الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ : أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي خُرُوجِي إِلَى أَهْلِ الْبَغْيِ عَلَيْنَا !

وَهَذِهِ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَا ، يُدْفَنُ فِيهَا الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَبْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ وُلْدِي وَوُلْدِ فَاطِمَةَ . وَإِنَّهَا لَفِي السَّمَاوَاتِ مَعْرُوفَةٌ تُذَكَّرُ أَرْضُ كَرْبٍ وَبَلَا كَمَا تُذَكَّرُ بُقْعَةُ الْحَرَمَيْنِ وَبُقْعَةُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ - إِلَى آخِرِهِ ١ .

١- «خصائص الحسين» ص ١١٢ و ١١٣ ، الطبعة الحجرية ، سنة ١٣٠٣ هـ .

وأيضاً يروي آية الله الشوشتريّ أعلى الله مقامه : أنه لما سار الحسين عليه السلام نحو المدينة حضر جماعة من الجنّ عنده ، وكان عليه السلام ينوح ويقرأ المراثي في حين كانوا يستمعون له . وتفصيل الرواية أنه لما حضرت مواكب الجنّ المسلمين عند الإمام عليه السلام قالوا : يَا سَيِّدَنَا ! نَحْنُ شَيْعَتُكَ وَأَنْصَارُكَ ، فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ وَمَا تَشَاءُ ! وَلَوْ أَمَرْتَنَا بِقَتْلِ كُلِّ عَدُوٍّ لَكَ وَأَنْتَ بِمَكَانِكَ ، لَكَفَيْنَاكَ ذَلِكَ !

فَجَزَاهُمْ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَيْرًا وَقَالَ لَهُمْ : أَوْ مَا قَرَأْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ عَلَى جَدِّي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

«أَيُّمَا تَكُونُوا يُذْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ»؟^١

ويقول الله سبحانه : لَبَّرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ.^٢ وَإِذَا أَقَمْتُ بِمَكَانِي فَبِمَاذَا يُبْتَلَىٰ هَذَا الْخَلْقُ الْمَتَعُوسُ^٣ وَبِمَاذَا يُخْتَبَرُونَ؟! وَمَنْ ذَا يَكُونُ سَاكِنَ حُفْرَتِي بِكَزْبَلَا؟ وَقَدْ اخْتَارَهَا اللَّهُ يَوْمَ دَحَى الْأَرْضِ وَجَعَلَهُ مَعْقِلًا لِشَيْعَتِنَا ، وَيَكُونُ لَهُمْ أَمَانًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ! وَلَكِنْ تَحْضُرُونَ يَوْمَ السَّبْتِ وَهُوَ يَوْمٌ عَاشُورَا الَّذِي فِي آخِرِهِ أُقْتِلُ ، وَلَا يَبْقَىٰ بَعْدِي مَطْلُوبٌ مِنْ أَهْلِي ! وَتُسَبَّىٰ أَخَوَاتِي وَأَهْلُ بَيْتِي ، وَيَسَارُ بِرَأْسِي إِلَىٰ يَزِيدَ لَعْنَهُ اللَّهُ !

فقال جماعة الجنّ : يا حبيب الله وابن حبيب الله ، لو لم تكن طاعتك مفروضة ولم تجز مخالفتك ، لجعلنا أعداءك هباءً منثوراً قبل أن

١- صدر الآية ٧٨ ، من السورة ٤ : النساء .

٢- مقطع من الآية ١٥٤ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٣- جاء في «أقرب الموارد» : تَعَسَّ (ل) تَعَسَّأً : لَغَةً فَهُوَ تَعَسَّسٌ مِثْلُ تَعَبٍ . وَتَتَعَدَّى هَذِهِ بِالْحَرَكَةِ وَبِالْهَمْزَةِ فَيُقَالُ : تَعَسَّهَ اللَّهُ وَاتَّعَسَّهَ . وَمِنْهُ : هُوَ مَنْحَوْسٌ مَتَعَوْسٌ ، تَعَسَّأَ لَهُ ، أَيْ أَلْزَمَهُ اللَّهُ هَلَاكًا ، وَهُوَ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ عَامِلُهُ مَحذُوفٌ .

تصل أيديهم إليك .

فقال الإمام الحسين صلوات الله عليه لهم :
نَحْنُ وَاللَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْهِمْ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ
وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»^١.

وذكر أيضاً آية الله الشوشترى كلاماً حول مرثي سيد الشهداء عليه السلام ، واستماع عبد الله بن عمر أحياناً ، وعبد الله بن الزبير أحياناً أخرى لها خارج مكة ، وهذا الكلام هو :

إِنَّهُ لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ ، جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْعَبَّاسِ
وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ ، فَأَشَارَا عَلَيْهِ بِالْإِمْسَاكِ .
فَقَالَ لَهُمَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ وَأَنَا
مَاضٍ فِيهِ .

قَالَ : فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهُوَ يَقُولُ : وَاحْسِنَانَه !
ثُمَّ جَاءَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِصُلْحِ أَهْلِ الضَّلَالِ ، وَحَذَرَهُ مِنَ
الْقَتْلِ وَالْقِتَالِ .

فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ
تَعَالَى أَنَّ رَأْسَ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّا أُهْدِيَ إِلَيَّ مِنْ بَغْيِ بْنِ إِسْرَائِيلَ ؟!
أَمَا تَعْلَمُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانُوا يَقْتُلُونَ بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى طُلُوعِ
الشَّمْسِ سَبْعِينَ نَبِيًّا ثُمَّ يَجْلِسُونَ فِي أَسْوَاقِهِمْ يَبِيعُونَ وَيَشْتَرُونَ كَأَنَّ
لَهُمْ يَصْنَعُوا شَيْئًا ! فَلَمْ يُعْجَلِ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بَلْ أَخَذَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ أَخْذَ عَزِيزِ
ذِي انْتِقَامٍ ؟!

١- «خصائص الحسين» ص ١١٩ و ١٢٠ ؛ وهذه الآية هي مقطع من الآية ٤٢ ، من

السورة ٨: الأنفال .

يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ ! وَلَا تَدْعُ نَصْرَتِي !^١

١- «خصائص الحسين» ص ١٢١ و ١٢٢ .

انظر أيتها القارئ! فهذا عبد الله بن عمر بن الخطَّاب الذي ذكر العامَّة له ما استطاعوا من مناقب وأثار حميدة ؛ فبعد الله هذا يُبايع يزيد بن معاوية لعنة الله عليهما ويدع نُصرة سيّد الشهداء عليه السلام ؛ وبهذا ، فإنَّ عبد الله بن عمر لم يُبايع لا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولا ولده الحسين عليه السلام ، بينما بايع الحجاج بن يوسف الثقفي للخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان ، بطريقة مزرية ومهينة ؛ إذ قال له الحجاج عندما أراد عبد الله بن عمر مبايعته طالباً منه مدّ يده : لا تبايع يدي ! هاك إصبع قدمي اليسرى وبايعني عليها...! هذا ، وقد كانت عاقبة عبد الله بن عمر في نهاية الأمر أن مات مسموماً على يد الحجاج نفسه في حال يُرثى لها .

فقارن بينه وبين أصحاب أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، أيتها القارئ الكريم ، الذين أحلَّهم الإمام عليه السلام ليلة عاشوراء من بيعته وخيَّروهم بين البقاء معه والقتال إلى جانبه ، وبين الرحيل إلى ديارهم وأوطانهم مستعينين بظلمة الليل ، قائلاً لهم : إنَّ القوم إنَّما يطلبونني ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري !

ونذكر جواب بني هاشم والأنصار في إظهار وفائهم وفدائهم كما عبّر عنها الميرزا

محمد تقى حجّة الإسلام النير التبريزي في ديوان «آتشكده» :

گفت یاران : کای حیات جان ما	دردهای عشق تو درمان ما
رشته جانهای ما در دست توست	هستی ما را وجود از هست توست
سایه از خور چون تواند شد جدا	یا خود از صوتی جدا افتد صدا
زنده بی جان کی تواند کرد زیست	زندگی را بی تو خون باید گریست
ما به ساحل خفته و تو غرق خون	لا و حقّ البیتِ هذا لا یكون
کاش ما را صد هزاران جان بدی	تا نثار جلوه جانان بدی

يقول : قال الأنصار : يا حياة قلوبنا ، إنَّ آلام حبك ترياقتنا .

وإنَّ نسج ارواحنا في يدك ، فوجودنا نابع من وجودك .

فأنتي يمكن للظلّ الانفصال عن الشمس ، أو للصدأ أن ينفصل عن الصوت .

إِلَّا أَنَّ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ عَلَيْهِ سَلَامٌ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَالْإِمَامَ إِلَى قِيَامِ
يَوْمِ الدِّينِ ، رُوحِي وَأَرْوَاحُ الْعَالَمِينَ لَهُ الْفِدَاءُ ، لَمْ يَنْشُرْ عَنْ رَأْيِهِ وَتَصْمِيمِهِ ،
وَسَارَ قُدَمَاءً بِأَمْرِ اللَّهِ الْجَلِيلِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ ، وَطَبَقًا لِنَظَرِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ فِي
تَحْقِيقِ هَذَا الْأَمْرِ بِالتَّمَامِ وَالْكَمَالِ ، بَلْ إِنَّهُ كَانَ مَسْرُورًا وَمَغْتَبَطًا فِي قِيَامِهِ
وِثُورَتِهِ ضِدَّ ظَلَمِ بَنِي أُمَيَّةٍ وَيَزِيدٍ ، وَأَمْسَى مَثَلًا يُقْتَدَى بِهِ إِلَى أَبَدِ الْأَبْدَانِ ،
مُلَخَّصًا حَقَّهُ وَحَقَّ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَجَدِّهِ فِي أَرْجُوزَتِهِ الْمَدْوِيَّةِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ :

كَفَرَ الْقَوْمُ وَقُدَمَاءَ رَغِبُوا
عَنْ ثَوَابِ اللَّهِ رَبِّ الثَّقَلَيْنِ

وَأُثِبَتْ أَنَّ الْوَصَايَةَ تَخْتَصُّ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَّ إِمَامَتَهُ
هِيَ الْإِمَامَةُ الْحَقَّةُ ، وَأَنَّ حُكُومَةَ يَزِيدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ مَعَاوِيَةَ ،
وَعَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ عُثْمَانَ وَعَلَى أُسَاسِ حُكُومَةِ عُمَرَ ، وَعَلَى أُسَاسِ
حُكُومَةِ أَبِي بَكْرٍ ، إِنَّمَا هِيَ بَاطِلَةٌ وَجَوْفَاءُ .

◀ وكيف للحَيِّ أن يعيش بلا روح؟ فحياةً بدونك ينبغي أن يُذرف عليها بدل الدمع دما.

أَنْغَفُوا عَلَى السَّاحِلِ بَيْنَمَا تَغْرُقُ أَنْتَ فِي بَحْرِ الدَّمَاءِ . لَا وَحَقَّ الْبَيْتِ هَذَا لَا يَكُونُ .

فليت لنا مائة ألف روح لنشرها أمامك فداءً لروحك يا حبيبتنا.

در به روی ما مبد ای شهریار خلوت از اغیار باید ، نی ز یار

جان کلافه ، ما عجوز عشق کیش یوسفا از ما مگردان روی خویش

يقول: «فلا تصفق الباب في وجوهنا أيها الملك ، فالخلوة ينبغي أن تكون من الأجنب

لا الأحياء .

أرواحنا حيرى ، ونحن كالعجوز العاشقة ، فلا تعرض عنا يا يوسف.»

ما به آه خشک و چشم تر خوشیم یونس آب و خلیل آتشمیم

اندرین دشت بلا تا پا زديم پای بر دنیا و ما فيها زديم

يقول: «نحن سعداء بأهاتنا الحرى وأعيننا المخضلة بالدموع، كيونس في الماء،

وكالخليل في النار.

لقد سرنا قُدَمَاءً فِي صَحْرَاءِ الْبَلْوَى ، وَسَحَقْنَا بِأَقْدَامِنَا عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا .

واعلموا يا خلق الله ! واسمعوا أيّها الناس ! إنّ أبي وصيّ المصطفى ، وهو المرتضى خليفة الحق . وأنا الإمام الناطق بالحق ، ومن له حقّ مسك زمام الأمور الظاهريّة والباطنيّة والماديّة والمعنويّة وسوق البشر نحو الهداية وسُبل السلام . وقيادة الناس إلى شاطئ الأمن والأمان ، ويخلفني ابني عليّ من بعدي وهكذا حتّى آخر الأئمّة المعصومين عليهم السلام ، الطاهر الطهر المتمسك بحبل الله ، المعرض عن هوى النفس الأمّارة بالسوء ، وحبّ الجاه ، والمستند إلى عزّة صاحب العزّة ، الإمام المهديّ محمّد بن الحسن العسكريّ عجل الله تعالى فرجه الشريف .

أُفّ ، أُفّ لهذه الدنيا وحكومتها ! أُفّ أُفّ لعالم الشهوات والتوابع ! أرمي الوصول إلى مأمنه ، إنّ ربّي ومحبوبي الأزليّ ، الذي بذلت له مهجتي مذكنت في حجر النبيّ قال لي : يا حسين ! عليك بهذا الأمر هذا طريقك وهذا مسلكك .

فالنفس عزيزة على الذليل الذي يقبل بظلم دول الطغيان سابقاً وحاضراً .

لكنّي أنا الحسين ، ونفسي عزيزة إذا بذلتها لتحرير بني البشر من براثن هؤلاء الوحوش ، عندئذٍ ، سأستطعم لذة الفداء حينما أرى نفسي وأهل بيتي على هذا الطريق . هذا هو منهجيّ فمن أراد أن يكون حسيناً فليسلك هذا المنهج .

وذكر آية الله الشيخ الشوشتريّ قدّس الله تربته أنّ السيّد رحمه الله

قال :

وصل خبر استشهاد مسلم بن عقيل إلى الإمام في منزل «زُبالة» إلا أنّ

الإمام واصل سيره حتّى التقى بالفرزدق فسلمّ عليه وقال :

يَا بْنَ رَسُولِ اللَّهِ! كَيْفَ تَرَكْنَا إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ وَهُمْ الَّذِينَ قَتَلُوا ابْنَ

عَمَّكَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ وَشِيعَتَهُ!؟

يقول الراوي: فَاسْتَعَبَرَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَاكِياً . ثُمَّ قَالَ: رَحِمَ
اللَّهُ مُسْلِمًا! فَلَقَدْ صَارَ إِلَى رَوْحِ اللَّهِ وَرَيْحَانِهِ وَتَحِيَّتِهِ وَرِضْوَانِهِ!
أَمَا إِنَّهُ قَدْ قَضَى مَا عَلَيْهِ، وَبَقِيَ مَا عَلَيْنَا. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:
فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا تُعَدُّ نَفِيسَةً

فَدَارُ ثَوَابِ اللَّهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ

وَإِنْ تَكُنِ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ

فَقَتْلُ امْرِئٍ بِالسَّيْفِ فِي اللَّهِ أَفْضَلُ

وَإِنْ تَكُنِ الْأَرْزَاقُ قِسْمًا مُقَدَّرًا

فَقَلَّةُ حَرْصِ الْمَرْءِ لِلرِّزْقِ أَجْمَلُ

وَإِنْ تَكُنِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جَمْعُهَا

فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْحُرُّ يَبْخُلُ^١

وقد أنشد الميرزا سروش أبياتاً كذلك في كيفية استشهاد وتضحية

الإمام، نقتطف منها ما يلي:

گفت شاهها من فرشته نصرتم

كأمده سوى تواز آن حضرتم

آمدم از ذروه گردون به سطح

که منم نصر من الله وفتح^٢

١- «خصائص الحسين» ص ١٢٣.

٢- يقول: «قال: يا سلطان (الدنيا والآخرة)! أنا الملاك الذي جاء من لدن الحقّ تعالى

لنصرتك.

قد جئتُك من أعلى عليين إلى هنا، فأنا نصر من الله والفتح».

حکم کن ای أحمد معراج عشق
 تانه کوفه باز مانند نه دمشق
 حکم کن ای أحمد روز اُحد
 تا بلا باریم بر این قوم لُدّ
 گفت: رو رو عاجزان را یار باش
 باکه ای هان؟ خفته ای ، بیدار باش
 ای فرشته رو بخوان لَوْلَاكَ را
 تا بدانی صانع افلاک را
 ای فرشته هرچه آید بر سرم
 هیچ آوخ از درون برناورم
 ای فرشته حال عشق اندر تو نیست
 تا بدانی عاشقان را حال چیست
 تو همی بینی سپاه اندر سپاه
 من نمی بینم کسی غیر از إله^۱

۱- يقول: «فاحکمُ (بِمَا تَشَاءُ) يَا أَحْمَدُ مَعْرَاجَ الْحَبِّ وَالْعَشْقِ ، حَتَّى لَا أَبْقِيَ (عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ) لَا الْكُوفَةَ وَلَا دِمَشْقَ .

احکمُ یا أحمدَ یومِ اُحد ، حَتَّى تُمَطِّرَ الْبَلَاءَ عَلَی هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْمُعْتَدِينَ .
 قال : ماذا تقول ؟ هل أنت نائم أم صاح ؟ اذْهَبْ ، وَأَعِیْنِ الضَّعْفَاءَ .
 یا أَيُّهَا الْمَلَاكُ ! اذْهَبْ وَرَدِّدْ عِبَارَةَ (لَوْلَاكَ) ، حَتَّى تَعْلَمَ مَنْ هُوَ صَانِعُ الْأَفْلاکِ .
 أَيُّهَا الْمَلَاكُ ! إِنْ مَا يَنْزِلُ بِي مِنْ بَلَاءٍ ، لَنْ يَجْعَلَنِي أَصْرَحُ أَوْ أَقُولُ : أَوْ .
 أَيُّهَا الْمَلَاكُ ! (يَبْدُو) أَنَّ الْعَشْقَ لَمَّا يَدْخُلُكَ بَعْدَ ، لَتَعْلَمَ حَالُ الْعَاشِقِينَ وَحَالَتِهِمْ .
 أَنْتَ تَرَى جَيْشًا وَعَسَاكِرَ لَا غَيْرَ ، فِي حِينٍ لَا أَرَى إِلَّا الْإِلَهَ .»

تو همی بینی سنان اندر سنان
 من همی بینم جنان اندر جنان
 من دوئیّت از میان برداشتم
 من علم بر بام عشق افراشتم
 کیستم من آفتاب شرق عشق
 غرق عشقم غرق عشقم غرق عشق
 کی درنگد کی شکبید ای کیا
 عاشقی که گفت معشوقش بیا
 عون آن خواهد که جان خواهد به تن
 نه کسیکه عاشق جان باختن
 عاشقانه رفته اندر مهلکه
 حکم لا تُلقُوا به ایشان نامده
 حکم لا تُلقُوا بود مر خام را
 نه که خاصانِ بلا آشام را^۱

۱- يقول: «أنت لا ترى إلا تصادم الأسنّة وتزاحم الرماح ، وأنا لا أرى إلا جناناً وجنّات.

لقد أزلت عن نفسي الثنويّة ، ورفعت الراية فوق صرح العشق .
 أنا لستُ إلا شروق العشق (لا غروبه) ، فأنا غارقٌ في بحر العشق ويمّه ولججه .
 يا عظيم ! أيّ عاشقٍ توقّف وانتظر ، وقال لمعشوقه : تعال ؟
 إنّ الذي يُريد بقاء روحه داخل جسده هو الذي يحتاج إلى العون ، وليس العاشق الذي يشتهي إزهاق روحه (في سبيل معشوقه).

ذلك العاشق الذي رمى بنفسه وسط المهالك ، فأطلق عليه لقب (لا تُلقُوا).
 فإنّ حُكم (لا تُلقُوا) يخصّ الأغرار (الذين لا خبرة لهم في الحب) ، ولا يسري ⇨

مرغ آبی را بود آتش مَمات
 مرغ آتش را حیات اندر حیات
 از سمندر دور ران احراق را
 هین مترسان از بلا عشاق را
 شوق سر دادن ربوده خوابشان
 انتظار صبح صبر و تابشان^١

... حتى آخر القصيدة .^٢

﴿ حُكِمه على الخواصَّ المشتاقين إلى احتساء البلايا ﴾.

١- يقول : «إِنَّ النار لُتَحْرَقُ وتُمَيِّتُ الطائر المائي وحسب ، لكنَّ حياة طائر النار مرهونة بالنار (وبقاؤه منوط ببقائها).

أبعد النار عن السمندر ، ولا تُرهب العشاق أو تُخوفهم بالبلايا.
 إِنَّ هوى الفداء والتضحية قد أقلق منام هؤلاء العشاق ، وضقت صدورهم لفرط انتظارهم إلى الصباح».

٢- لقد دَوَّن الحقيير هذه القصيدة في كراسي الخطِّي السادس ص ٥٩ و ٦٠ نقلاً عن بعض المخطوطات. وقد أورد المرحوم الحاج ملا علي آقا واعظ التبريزي الخياباني ثلاثة أبيات من شعر الميرزا سروش في كتاب «وقائع الأيام» المجلد الخاص بمحرّم الحرام، من طبعة الدار الإسلامية، سنة ١٣٥٤، ص ٤٥٣، وهي :

شاه را بشكافت بازو ، ناوكش	تير بگذشت از گلوی نازکش
گفت هم جنّ و ملك: تَبَّتْ يداكُ	بازوی دست خدا را کرد چاك
شه ز دیده ریخت بر رویش گلاب	رفت از وی هوش در آغوش باب

يقول : «اخترق السهم نحره الرقيق ، فقطع شريانه (أي شريان الطفل الرضيع) وأصاب سهمٌ آخر ذراعَه (أي ذراع الأب).

لقد مرَّق ذراع الله (بعمله هذا) ، فصاحت الملائكة والجنّ معاً : تَبَّتْ يداكُ!
 ففقد الطفل وعيه في حجر أبيه ، فأراق سلطان الدنيا والآخرة من دموعه التي تُشبهه ﴿

وفي هذا الصدد ، قام الشاعر الجوديّ الخراسانيّ بنظم قصيدة صوّرت هذه الواقعة أروع تصوير حين قال :

باشد به سوى كعبه مقصود روى ما
 كأنجا برآيد آنچه بود آرزوى ما
 ما را خيال يك سر مو نيست غير دوست
 بر حال ما گواه بود مو به موى ما
 تخمى فشاندهايم و خوريم آنگهش ثمر
 كآبش دهد زمانه ز خون گلوى ما
 گشتيم ما مسافر كوئى كه اندر او
 جز تير و تيغ و نى نكند جستجوى ما
 كرديم رو به سوى ديارى كه هر قدم
 باشد بلا مقابل ، اجل رو به روى ما
 در كعبه‌اى مقام نمائيم كز صفا
 مسجد كائنات بود خاك كوى ما^١

﴿ ماء الورد على مُحيّاه ﴾.

وقال المرحوم المؤلّف نفسه في تعليقه : وهذا مذكور في بعض تواريخ العامّة وفي

«مصائب المعصومين».

١- يقول : «فلتبّق أنظارنا مُتوجّهة نحو كعبة المقصود ، حتّى تتحقّق أمّياتنا هناك . فلا شيء يشغل بالنّا قيّد شعرة إلّا الحبيب ، وعلى هذا تشهد كلّ شعرة فينا . لقد بذرنا حبّاً سنأكل ثمره بعد حين ، إذ سيرويه الزمان من دماء حناجرنا . وقد سيرنا في طريق تلاحقنا فيه الرماح والسهام والنبال . وتوجّهنا إلى ديار لا نرى أمامنا إليه إلّا أجلنا في كلّ حين . إنّنا نقيم في مُقام أضحى نراه مسجداً لكلّ الكائنات».

بر قبله اي براى نماز آوريم روى

كانجا بود ز خون سر ما وضوى ما^١

السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَعَلَى الْمُسْتَشْهِدِينَ بَيْنَ يَدَيْكَ وَرَحْمَةُ
اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ . يَا لَيْتَنَا كُنَّا مَعَكَ فَفَنُفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً . اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ شِيعَتِهِ
وَحَرَمِهِ وَالذَّايِنِينَ عَنْهُ ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِإِدْرَاكِ ثَارِهِ مَعَ الْإِمَامِ الْمُتَنْظِرِ
حُجَّةِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَسْكَرِيِّ عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرَجَهُ .

لله الحمد وله المنة على إتمام الجزء الأول من «معرفة الله» من القسم
الأول من سلسلة (العلوم والمعارف الإسلامية) بتوفيق من الرب الودود
ورعاية الإمام الحيّ الرؤوف صاحب العصر أرواحنا فداءه ، وذلك في
صبيحة يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر جمادى الأولى سنة
١٤١٥ هـ في مدينة مشهد المقدسة ، عَلَى ثَاوِيهَا وَسَاكِنِهَا وَشَاهِدِهَا آآآفُ
التَّحِيَّةِ وَالْإِكْرَامِ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ ، بتحرير الحقيقير الفقير السيّد
محمد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ غفر الله له ولوالديه .

بِمُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ ، وَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ
مِنَ الْآنَ إِلَى قِيَامِ يَوْمِ الدِّينِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

١- يقول : «وإننا نتوجه في صلاتنا إلى قبله ليس فيها من ماء لوضوئنا إلا دم

رؤوسنا» .

«وقائع الأيام» المجلد الخاص بمحرّم الحرام ، ص ٧٨ .